

روايات رومانسية عالمية

عبير

مارجري هيلتون

# طائر بلا جناح

www.liilas.com

مكتبة زهران

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE WHISPERING GROVE

# ١ - جزء من الحياة

أمعنت هيلين النظر في الفقرة ذاتها للمرة الثالثة، ولكنها لم تفقه شيئاً من معناها. فالتفتت بالاستماع إلى حفيف الصفحات المصفرة التي كانت تقلّبها بتبرّم وحدّة. حاولت أن توحي لنفسها بأنها تنعم بالهدوء ورباطة الجأش، ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك. فأعصابها متوترة إلى درجة الانفجار، ومشاعرها تتخبط بالرغبات المتناقضة والأفكار المتشابكة.

وتساءلت هيلين بدهشة، كيف كان يمكنها الاعتقاد بأن سفرها ليلاً سيشكّل النهاية السهلة لجميع مشاكلها ومتاعبها؟ وهل من الممكن أن اللجوء إلى طائرة خافتة الأنوار، تحلّق في ظلام دامس، سيوفر عليها آلام مشاعرها بعدم أنانية المحبة لنفسها لتخطي الواحدة تلو الأخرى! وشدّتها رغبة قوية لإلقاء نظرة أخيرة على تلك الحديقة حيث تكمن ذكرياتها وسعادتها. وأبصرت المسرح من حولها وهي تتذكر بيتها وعملها وكلبها.

شدّدت هيلين أصابعها على المحفظة التي أصبحت بين يديها باردة ورطبة قاسية وباردة. ولكنها قررت ألا تستسلم لعواطفها. فركّزت نظرها وتفكيرها على لوحة التعليمات إلى المسافرين وأعدّت نفسها لعملية الإقلاع التي ستبدأ بين لحظة وأخرى.

وأثناء ارتفاع الطائرة عن الأرض انتاب هيلين شعور بالخوف لم يبدده سوى صوت هادىء ومرح يقول:

«لا بأس الآن، لقد أصبحنا في الجو»

التفتت هيلين إلى مصدر الصوت يلفّها إحساس بالخجل بسبب الضعف الذي بدا عليها، فواجهتها ابتسامة عريضة من طفلة تجلس قربها. وبتهذيب واضح قالت الفتاة الصغيرة:



www.liilas.com

«هل يمكنك فتح حقيبتي البيضاء هذه؟ يوجد فيها معطفي، وأنا بحاجة إلى منديل من داخلها».

فتحت هيلين الحقيبة الجلدية، وأعادت إلى الفتاة المنديل مع ابتسامة قلبية تقديراً لأخلاقها الرفيعة. وكان أكثر ما أعجبها في جارتها الصغيرة تصرفها المتّزن والهادئ، بالرغم من أنها على ما يبدو ليست برفقة أحد. ومع تأكد هيلين من أن شركات الطيران تعتني بالأطفال الذين ترغمهم الظروف على السفر بمفردهم، فقد بدت الفكرة غريبة ومذهلة. أليس من الممكن أن يحدث خطأ ما في العمل المخطط المعدّ لتأمين راحة الطفل المسافر، أو أن يصل هذا الطفل إلى وجهته ولا يجد أحداً في استقباله؟

«هكذا فك حزمة المقاعد الآن».

قالتها الفتاة الجريئة وهي تفكّ تلك العملية الصغيرة بيسر ورشاقة، وبعد أن وجّهت ابتسامة رقيقة نحو المضيفة التي طلبت منها ذلك، نظرت إلى هيلين وقالت:

«لقد تمرنت عشرات المرات على ربط أحزمة الأمان وفكّها، عندما سافرت مع جدتي إلى إيطاليا في العام الماضي».

ثم عادت الطفلة إلى حقيبتها لتخرج منها بعض الحلويات وتعرض قسماً منها على جارتها قائلة:

«هل أثّر الارتفاع المفاجئ على أذنيك؟»

فردّت عليها هيلين بالإعجاب ووجّهت إليها سؤالاً عاقلاً:

«وهل تأثرت بذلك أنت بسبب الضغط الجوي؟»

«لا، لأني طوال الوقت أمضغ الحلوى وأبلعها. أتسمعين؟ إن قائد الطائرة يتحدث إلى الركاب».

أصغت الفتاة الصغيرة بكل اهتمام إلى التعليمات التي كان يدلي بها قائد الطائرة، والتي أنهاها كالمعتاد بتوجيه أمنيات طيبة للمسافرين برحلة مريحة وممتعة.

لم تسمع هيلين كلمة واحدة من تلك الرسالة، لأنها كانت تراقب عن كثب رفيقة سفرها التي أثارت فيها نوعاً من حب الاستطلاع. فالطفلة ليست عادية الجمال بل في المعروف عنه، ولكن قسمات وجهها الصغيرة



والبارزة تشع حولاً قدّاً خاصاً. وتوحي بشخصية قوية ومميزة. كذلك فإن شعرها الأسود الطويل الشبيه إلى حد كبير بشعر هيلين أملس وناعم ومشدود إلى ما وراء الرأس في عقدة جميلة وجذابة. وعيناها العسليتان واسعتان وبراقتان وتشعّان من ذكاء وسرعة خاطر. وفجأة قالت الفتاة الصغيرة:

«هل أنت مسافرة إلى نيروبي عاصمة كينيا؟»

«نعم. إلا أنني سوف أتوجه منها إلى محطة أخرى».

«وأنا أيضاً».

لم تبتسم الصغيرة وأضافت بشيء من التأفف والتململ:

«ألا ترين أن هذه الطائرة تتباطأ التي ستوصلني إلى وجهتي. بالمناسبة، إلى أين أنت ذاهبة؟»

ابتسمت هيلين وقالت:

«لا أعتقد أنك سمعت بها بالمرة. إنها جزيرة صغيرة في المحيط الهندي بين مدغشقر وموريشيوس تدعى....»

«جزيرة سلطندو، أليس كذلك؟»

واستوت الفتاة في جلستها ثم أضافت:

«إلى هناك حقاً ستذهبين؟ أنا أعيش في تلك الجزيرة».

وحدّقت هيلين لتبدي دهشتها. فقالت جارتها الصغيرة:

«وأنا أيضاً. بالأحرى سوف أعيش هناك مع أبي الذي لم أزره أبداً من قبل».

«وما اسمك أيتها الآنسة؟ أنا أدعى جوليت فلوتت. ولدت في جزيرة سلطندو، أوه كم أشعر بالحماس والاغتباط لأنني سأعيش هناك مع والدي. لقد عشت في إنكلترا منذ كنت في الرابعة من عمري. ولكن والدتي اضطرتني لذلك».

وخيّم شعور من الحزن والأسى على وجه جوليت. ثم مضت تقول:

«أصيب أبي بنوع من الحمّى، وقال لي والدي إن هناك مكاناً واحداً فقط يمكن أن تشعر فيه بالراحة، ويجب علينا أن ندعها تذهب إلى هناك مع أننا لن نتمكن أبداً من العودة إليها».

تشبثت هيلين بمشاكلها وأحزانها وهي تستمع بشفقة إلى الصغيرة

جوليت، ثم قالت لها بحنان:

«اعرف ذلك يا عزيزتي لأن امراً مماثلا حدث لأمي عندما كنت طفلة رضيعة».

هزت جوليت برأسها علامة الفهم والاستيعاب وتابعت رواية قصتها:

«بعد ذهاب والدتي اضطررت للسكن مع جدي وجدتي لأن والدي لم يكن قادراً على الاعتناء بي بمفرده. انه مدير شركة لانتاج السكر وتكريره. في العام الماضي أتى الى لندن لتمضية عطلته السنوية، وعند انتهائها اردت العودة معه الى سلمنتن، ولكنهم لم يسمحوا لي بذلك. لقد افتقدته كثيراً بعد ذهابه، وكنت ابكي لفترة طويلة كلما وصلتني منه رسالة، لدرجة ان جدي وجدتي وافقا اخيرا على زيارتي له. الفقير...».

ومسحت جوليت زنارها الحريري الناعم وقالت:

«الفقير. لقد خسرت بعضاً من وزني، فقد امتنعت عن تناول الطعام اكثر من مرة. من الآن فصاعداً سأهتم كثيراً بوالدي وارعاه، فانا كبيرة بما فيه الكفاية. انني في الثامنة من عمري».

وتوقفت جوليت عن الحديث لالتقاط انفاسها، ثم تطلعت نحو هيلين وسألتها:

«وأنت هل ستهتمين بوالدك مثلي؟»

هزت هيلين رأسها علامة النفي، وقالت:

«لا، اني سأعيش مع زوجة ابي وابنتها. فوالدي اصيب بنوبة قلبية في العام الماضي، وكان عليه الذهاب الى مكان آخر للاستشفاء».

رفعت جوليت حاجبيها وكأنها فهمت كل شيء، وتطلعت كل منهما نحو الأخرى بشيء من الشفقة والعطف. وكانت جوليت سباقة في الخروج من جو الحزن وشرود الذهن. فتغيرت ملامحها فجأة، وكأنها تذكرت تعليمات معينة كانت تهملها. وقالت بلهجة جدية:

«هل أضايقك بحديثي او بتصرفي؟»

دهشت هيلين لهذا التحول المفاجىء، واجابتها فوراً:

«ابداً معاذ الله. كنت منزعجة من طول الرحلة، ومن انني لا اعرف احداً على الطائرة يمكنني التحدث معه».

ظهر الارتياح على وجه جوليت وقالت:



«وربما ايضا كنت منزعجة، ولكن جدتي اوصتني بألا اشكل ازعاجاً للآخرين».

«لا لست منزعجة على الاطلاق، ولكن...».

وترددت هيلين لحظة ثم اضافت قائلة:

«ولكن، ليس من الحكمة دائما مصادقة الغرباء. فكم هناك من اصحاب السوء الذين يبدون للوهلة الأولى اناساً طيبين ومهذبين».

«اعرف ذلك. جدتي اخبرتني. ولكن بامكاني ان افرق بين الناس الطيبين فعلا واولئك الذين يتظاهرون بالحسن».

وقالت هيلين لنفسها وكأنها تخاطب جوليت بصمت:

«وهل بمقدورك فعلا يا حكيمتي الصغيرة؟ الفي ان تتذكري يا حبيبتي ان الاتكال على الغريزة فقط لا يمنع الانسان من الوقوع في الخطأ».

في هذا الوقت بدأت المضيفات بتقديم اطباق الطعام، والتهمت جوليت جميع الاصناف المقدمة اليها وكأنها عازمة على استعادة ما خسرته من وزنه بأسرع ما يمكن. الا ان شهية هيلين كانت شبه مفقودة، ولذا عرضت على جارتها طبق الحلوى المخصص لها فأكلته جوليت بسعادة فائقة، شاكرة اياها على مبادرتها الطيبة. وظلت هيلين خائفة لمدة عشر دقائق تسأل نفسها ما اذا كان من الحكمة اعطاء حصتها الى الفتاة الصغيرة، وبأي ذنب ستشعر لو اصيبت معدة جوليت بارتباك او ألم نتيجة لذلك. الا ان شيئا من هذا لم يحدث، بل على العكس فقد استمتعت كثيراً بمأكولاتها، وقالت لهيلين:

«اشعر الآن بتحسن كبير».

ثم استرخت في مقعدها وتنهدت قائلة:

«العلمين اني نسيت تقريباً ملامح والدي. لقد مضت سنة بكاملها من غير ان اراه».

«سوف ترينه غداً ان شاء الله، ولم يعد يفصلنا عن الغد سوى ساعات قليلة».

«اتمنى ان يأتي الغد في هذه اللحظة».

«ولماذا لا تحاولين النوم قليلا يا حبيبتي؟ الوقت سيمر سريعاً اذا كنت نائمة».

ابتسمت جوليت علامة الرضى وقالت:

«هذا ما ذكرته لي جدتي. لقد قالت انها ستتخطى جميع القواعد والأصول لتتركني اسهر امس ما شئت، وذلك حتى انام طوال الوقت في الطائرة. ولكنني لا اشعر الآن بالنعاس».

نظرت هيلين الى وجه صديقتها الصغيرة وتفحّصته، فتبيّن لها مدى التعب والإرهاق اللذين يخفيهما الحماس الشديد لملاقاة الوالد. وقالت لها بهدوء:

«اذاً فأنت بحاجة للنوم الآن فلن تتمكني من الضحك كثيراً مع والدك غداً بسبب التعب والإرهاق».

هزّت جوليت رأسها علامة الفهم والرضى، وتابعت هيلين حديثها بلهجة حنونة ومقنعة:

«اغمضي عينيك الآن وتخيلي اشياء جميلة. تظاهري بأنك تحلمين وسترين انك ستنامين خلال لحظات».

أطاعت جوليت تعليمات صديقتها الجديدة، فالتفتت نحو هيلين ووضعت رأسها بين المقعدين. وبعد فترة وجيزة من الصمت، قالت جوليت:

«اني اتذكر شيئاً امس. لقد فاجأتني جدتي بطريقة عزيزة، اذ اخذتني الى حفلة باليه. انا احب الباليه، جدتي قالت ان جزيرة سانتينير تفتقر الى هذا النوع من الرقص».

تمالكت هيلين اعصابها التي توترت فجأة، وسألت جوليت عما شاهدته في حفلة الأمس، فأجابت:

«بحيرة البجع، وهي اجمل مسرحية باليه شاهدتها في حياتي. تدور حول فتاة جميلة سحرها ساحر شرير وحوّلها الى بجعة. وقد وقع الأمير بحبها، الا انه كانت للساحر الشرير ابنة ادّعت انها ملكة البجع...».

وتنهدت جوليت قليلاً ثم اشرق وجهها الصغير وقالت:

«ووعد الأمير بأن يتزوج البجعة السوداء، فحدث برق ورعد افزعا الجميع، وكانت البجعة البيضاء تبكي خارج النافذة لأنها تعرف مصيرها المحتوم وهو الموت. والفتاة التي تقمصت دور البطلة كانت اجمل راقصة في العالم».



ثم تثاءبت قائلة بعد ان اغمضت عينيها بسبب النعاس الشديد:

«آه يا هيلين، كم اتمنى ان اصبح راقصة باليه».

في ذلك الوقت كان الحزن قد استبد بهيلين فلم تقوَ بأية كلمة خوفاً من ان تخونها نفسها واعصابها. وتدفقت من رأسها وافكارها الذكريات الأليمة لعالم كانت تتربع على اعلى قممه، حتى سلبها القدر القاسي ذلك السحر البرّاق. لقد عاشت هيلين مرة واحدة تلك الحالة الشديدة للبجعة البيضاء، ثم سعدت بتقديم تلك الشخصية المأساوية على مسرح لندن.

في تلك الساعات القليلة التي تقمصت فيها هيلين دور الأميرة الجميلة كان المجد الساطع والمستقبل الزاهر على قاب قوسين او أدنى من متناول يديها. ولكن القدر سلب منها ذلك المجد وتلك السعادة عندما ارسل امام دراجتها بقعة كبيرة من الزيت وكاحلاً صغيراً مدمّراً. فهوت هيلين، وتهاوت معها عروش الأحلام، وبدت امامها الحقيقة المرة. لقد انتهت كراقصة باليه ولن تتمكن ابداً من العودة الى الرقص.

اثناء ذلك كانت الطائرة الضخمة تتابع طريقها في فضاء اوروبا على علو آلاف الاقدام عن الأرض. وعندما انطفأت جميع الأنوار تقريباً داخل الطائرة، شعرت هيلين بالنعاس يزحف سريعاً الى عينيها المتعبتين، وقبل ان تستسلم الى النوم رفعت الساعد الذي يفصل بين المقعدين وحضنت رأس جوليت برفق وحنان قائلة لنفسها: «الماضي مضى الى غير عودة. والمستقبل كله امامي ويجب ان ابدأ من جديد انطلاقاً من هذه النقطة الصغيرة في المحيط الشاسع، وربما انها ستنتقل الى عطلتها الاخيرة كالمسألة غريبة. الا ان تلك الجزيرة ستكون موطني الذي لم يعد لها سواه. ترى ماذا سيحمل لها المستقبل، وهل بالامكان تعويض ما فات؟»

أفاقت هيلين على تقلبات جوليت، فاستوت في مقعدها وتطلعت من النافذة الصغيرة الى خيوط الفجر الارجوانية التي تنبئ بحلول يوم جديد. ثم سمعت صوتاً ناعساً يقول:

«هل اصبحنا على مقربة الوصول؟»

نظرت هيلين الى ساعتها وهزّت رأسها نفياً قائلة:

«لا يزال امامنا بعض الوقت على ما اعتقد».

«هل نحن الآن فوق افريقيا؟»
ابتسمت هيلين وردّت بالايجاب.
«ان افريقيا كبيرة جداً من حيث المساحة، أليس كذلك؟»
وقبل ان تتمكن هيلين من الرد عليها، وجّهت اليها جوليت سؤالا منتهي الحدة، وبصوت هامس تقريباً:
«أرجوك يا هيلين، هل يمكنني البقاء معك؟ اعني عندما تحط الطائرة في نيروبي وننتقل الى الطائرة الأخرى».
«بالطبع يا حبيبتي، سأبقى معك حتى أتأكد من ملاقاتك والدك. اما الآن فيجب ان نجمع اغراضنا لنكون جاهزين لدى مغادرة الطائرة لدى وصولنا الى نيروبي».
ولكن عندما حطت الطائرة الضخمة في مطار العاصمة الكينية، اقتربت احدى المضيفات من جوليت وتولت امر انزالها قبل بقية الركاب، مع ان الفتاة الصغيرة احتجت بتهذيب على ذلك، لأنها ارادت النزول مع رفيقة سفرها. ودّعتها هيلين بابتسامة تشجيعية، مفترضة ان المضيفة تطبق التعليمات الصادرة بهذا الخصوص، والتي تنص على تسليم الطفلة الى مسؤولين في شركة الطيران الأخرى يتولون هم مسؤوليتها حتى صعودها الى الطائرة الثانية.
كانت فترة الانتظار تزيد على الساعة. وهي مدة طويلة اذا امضاها الانسان بمفرده، الا انها ليست كافية بتاتاً لمغادرة المطار والقاء نظرة سريعة على معالم المدينة. وتنهدت هيلين بحسرة لأنها على ارض افريقيا ستغادرها الى غير رجعة، ومع ذلك فانها غير قادرة على مشاهدة اي شيء من نيروبي سوى المطار. وكانت نظرتها الوحيدة الى المطار نفسه كانت تجذبها بأبنيته الجميلة وحدائقه الرائعة التي تسبح تحت اشعة الشمس الافريقية الساحرة.
وكمعظم المسافرين العابرين، توجهت هيلين الى متجر المطار الذي يجتذب السياح عادة بما فيه من مصنوعات وطنية جميلة، وخاصة اليدوية منها، بالاضافة الى البطاقات الملونة الرائعة.
اختارت هيلين عدداً من تلك البطاقات ثم ذهبت تبحث عن المطعم، وطوال هذا الوقت كانت عيناها تبحثان عن جوليت بدون جدوى. وفي قاعة الطعام، انتقت هيلين ركناً هادئاً وطلبت كوباً من عصير الفاكهة، وبدأت تختار اسماء الذين سترسل لهم بطاقاتها. هذه لسارة، وهذه لكيم، اما تلك التي تظهر كثافة الاشجار فسوف ترسلها الى ليزا لأنها زارت مرة تلك المستعمرة الشاسعة للحيوانات البرية قرب نيروبي. وهذه البطاقة الخاصة والمميزة لكلين، وتلك عن الطائر المائي الطويل العنق والساقين، الفلامنكو، فسوف ترسلها الى . . .
سقط القلم من يدها وتدحرج الى ما تحت المقاعد. وضاعت افكارها بين الماضي والحاضر، وشعرت بغصّة وألم شديدين عندما اخذت تتذكر الوطن ومن تحب. اين هم الآن يا ترى؟ وماذا يفعلون، سارة وليزا وكيم و . . . لأية مسرحية يا ترى يتدربون عليها هذا الصباح؟ اهي هذه ام تلك؟ ام هي المسرحية التجريدية الجديدة لمارك كابلان التي كان يعدّها للعرض في كوبنهاغن عاصمة الدانمرك؟ وتخيلت هيلين تخيلهم مهرولين الى المسرح ومتجمعين داخل القاعة يطالبون بمديرهم، او . . .
رفعت هيلين يداً مرتجفة الى جبينها وعضت على شفتها بقوة. هل ستستطيع الهروب من ذكرياتها؟ هل ستتمكن من مواجهة الواقع المر بأن حياتها الفنية قد انتهت، وانها لن تعود ابداً الى . . .
وقفت فجأة ووضعت بطاقاتها بعصبية داخل حقيبتها، وبدأت تمشي. كان عليها ان تتحرك، ان تنسى، ان تفعل شيئاً، اي شيء، بدلا من الجلوس بمفردها بين هذا الحشد من المسافرين تحارب ذكرياتها وتقاوم احزانها. ثم تطلعت الى ساعتها. لقد حان تقريباً موعد اقلاع الطائرة. اين هي جوليت الآن يا ترى؟
ارغمت هيلين نفسها على نسيان الماضي ولو لفترة، وعادت ادراجها الى قاعة المسافرين العابرين. وبمجرد وصولها سمعت احدى الموظفات تعلن عن اقلاع طائرتها المتجهة الى سلسبري. تطلعت حولها علّها تشاهد جوليت، ولما لم تجدها توجهت مسرعة نحو الطائرة.
وفي الطائرة استغربت هيلين كيف ان فتاة صغيرة لم تتعرف عليها الا منذ بضع ساعات تمكنت من اكتشاف شعور الضيق والانزعاج الذي يجثم عليها. وارغمت نفسها على الابتسام قائلة:
«الا تعرفين يا عزيزتي ان الكبار لا يتحلون بنصف شجاعة الصغار

عندما يضطرون للابتعاد عن محيطهم وأماكن عيشهم لبدء حياة جديدة في مكان غريب؟

ثم استدركت بسرعة لتغيير هذا الموضوع الحساس:

«لم تخبرني بالتفصيل عن صديقك قائد الطائرة، فأنا لم التقِ به طوال الرحلة».

كانت جولييت سعيدة جداً لأن الفرصة سنحت لها لتصف مطولاً بطلها الجديد ولذة اللقاء الرائع معه. ونسيت بالتالي تلك الملاحظات التي كانت على وشك توجيهها. وتطلعت هيلين من النافذة لتشاهد جزيرة زرقاء وكأنها جوهرة خضراء تشع ببريق أخاذ. وفي هذا الوقت صمتت جولييت وظهر عليها التعب والإرهاق بسبب طول الرحلة. وتذكرت هيلين الموقف القصير في جزر الكناري حيث كانت الحرارة قوية جداً لدرجة أن عدداً من الركاب نزل من الطائرة واحتمى بظل جناحيها. وخلال دقائق معدودة، عادت إلى جولييت الصغيرة نشاطها كاملاً. واخذت تقوم وتقعد وتنظر إلى ساعتها بعصبية وتأفف، ثم تتطلع من النافذة وتعود إلى القفز والحركة، إلى أن صرخت:

«ها هي جزيرتنا، ها هي سلمندرا».

وعندما اقتربت هيلين من النافذة، تابعت جولييت حديثها قائلة:

«انظري، انظري إلى العين، انه اعلى جبل في الجزيرة وهو جبل بركاني ويسمونه عين سلمندر».

وعندما بدأت الطائرة بالهبوط، ربطت هيلين حزام الأمان بأعصاب هادئة وبارزة. لقد وصلت اخيراً إلى سلمندرا، موطنها الجديد. حطت الطائرة بقوة شديدة شعرت معها هيلين وكأنها ستقفز من مقعدها. إلا ان هذا لم يمنع جولييت التي اسرعت بفك حزامها وهرعت إلى مقدمة الطائرة لتكون أول المغادرين.

نزلت هيلين من الطائرة لتصدمها موجة من الحر الخانق، وأشعة الشمس الحارقة. امسكت بيد جولييت ومشت وإياها نحو مبنى صغير على الجانب الأيمن للمطار. واخذت هيلين تحدق في وجوه المستقبلين علها ترى زوجة ابيها ماريز وابنتها نورين اللتين وعدتا باستقبالها.

فجأة سحبت جولييت يدها من قبضة هيلين وركضت باتجاه رجل طويل



القامة يرتدي بذلة بيضاء توحي بالأناقة والغنى. فتح الرجل ذراعيه لاحتضان جولييت التي رمت بنفسها عليه وطوقته بذراعيها واخذت تقبله على وجنتيه.

لم يكن هناك شك لدى هيلين بأن هذا الرجل هو والد جولييت، وبأن صديقتها الصغيرة وصلت بأمان إلى المحط الأخير في رحلتها الطويلة. وشعرت هيلين وهي تتابع سيرها البطيء، بأنها فقدت شيئاً ما. وتخيلت مدى قلقها وتعاستها لو لم تحظ برفقة جولييت.

«هيلين، هذه انتِ! انا هنا يا حبيبتي. كدنا لا نعرفك في بادئ الأمر!»

شدتها ماريز إلى صدرها بلهفة وقبلتها بحنان. ثم حلت عنها حقيبة اليد واعطتها لفتاة شقراء طويلة هي بلا شك نورين ابنة زوجة ابيها من زواج سابق. وتذكرت هيلين انها رأت نورين قبل خمس سنوات عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها وتعاني من حب الشباب ومستحضرات التجميل. لم تعد تلك الفتاة البدينة ابداً، بل اصبحت جميلة الوجه والقامة تتحلى بنفسها لدرجة الكبرياء. اخذت نورين الحقيبة من امها واعطتها بدورها إلى رجل هزيل الجسم، شاحب الوجه يقف على بعد خطوتين ويبدو على محياه الضجر والسأم.

تولت ماريز التعريف بين ابنة زوجها وكيث ماكرون ثم سألتها:

«هل كانت رحلتك جيدة؟»

«نعم، ولكني شعرت في وقت من الأوقات بأني لن اصل إلى سلمندرا».

«اعتقدنا انك ربما كنت بحاجة لمساعدة فأحضرنا كيث معنا».

وبعد ان نظرت ملياً إلى هيلين، تابعت ماريز حديثها:

«ولكن يبدو انك تتدبرين بشكل طبيعي. من المؤكد ان الحادث لم يكن سيئاً بالقدر الذي تخيلناه».

قاطعتها نورين بحدة قائلة:

«أوه يا امي، ما هذا الكلام! اضطرار هيلين للتخلي عن مهنة الرقص لا يعني انها ستستقبلنا على عكازة... مع انها تبدو لي بوضع غير عادي جداً».

وتدخل كيث مقاطعاً:

«وهل علينا ان نظل واقفين هكذا في هذا الحر الشديد؟ انّ الرجل الاحاديث السخيفة في وقت لاحق».

ابتسمت ماريز لابنة زوجها، متجاهلة ملاحظات كيت، وقالت:

«لقد نسيت ان اخبرك ان الطقس ليس حاراً هكذا على الساحل. لقد تبين للمستر ولين هنا ان هذه المنطقة هي الافضل لبناء المطار، مع ان درجة الحرارة فيها هي الأعلى تقريباً بين جميع مناطق الجزيرة».

تطلعت هيلين لتكتشف فعلاً ان المطار مبني على سهل ضخم بخاري الشكل تحيط به التلال من كل جوانبه. وفي هذا الوقت وصل الجميع الى مركز شرطة المطار وتولى كيت الاهتمام بأوراقها وجواز سفرها. ثم قالت ماريز:

«كيت سيهتم باحضار حقائبك. عنده سيارته في الخارج. لقد كنا مضطرين لان لا عمل لديه بعد ظهر اليوم، فسيارتنا موجودة في...».

لم تسمع هيلين بقية الحديث اذ تحول انتباهها الى السيارة الضخمة البيضاء امام بوابة مبنى المطار. وكان الرجل الطويل القامة يقف منحنيا على المقعد الخلفي. ورأت فتاة صغيرة على المقعد الى جانبه على الرغم من اعتراضها التي وصلت بوضوح الى مسامع هيلين:

«ولكن يا ابي انه هنا. اريد فقط ان...».

«لا يا جوليت، ليس الآن».

«نعم، ولكن...».

عندما اقفل كيت صندوق سيارته الحمراء، اختفى ذلك الصوت القوي كلام جوليت. فتطلعت هيلين نحو زوجة ابيها وسألتها:

«ذلك الرجل هناك، أليس هو السيد فالورنت والد تلك الفتاة الصغيرة؟».

وباستغراب قالت نورين التي كانت تهيء نفسها للجلوس في المقعد الامامي:

«نعم انه جستن فالورنت. هل تعرفينه؟».

«كلا، ولكن ابنته جوليت رافقتني طوال الرحلة من لندن. لقد بدت رحلة طويلة جداً لفتاة صغيرة تسافر بمفردها. وكنت اتساءل...».

توقفت هيلين عن متابعة جملتها، عندما لاحظت ان قريبتها والرجل



الزائل فيما يحدقون فيها بدهشة وحيرة.

ضحكت كيت ماترت بصوت عال وقال:

«كنت تتساءلين ما اذا كانت الفتاة قد وصلت الى أيد امينة».

وضحك مرة ثانية وتابع حديثه:

«اطمئني، فهذا هو جستن فالورنت بنفسه. اما الفتاة فلا اعرفها ولم اشاهدها ابداً من قبل».

وبدو ان الرجل الطويل سمع اسمه، فتطلع نحوهم ببرودة، وبعدها واضح اغلق الباب الامامي، ليمنع جوليت من النزول من السيارة. الا ان الفتاة الصغيرة اخرجت رأسها من النافذة، ولوّحت بيديها بحرارة لهيلين.

رفعت هيلين يدها لترد التحية ثم انزلتها ببطء، بعدما شعرت بنوع من عدم الراحة بالنسبة الى الوالد. وكانت تلك المرة الاولى التي تلقي فيها هيلين نظرة واضحة على جستن فالورنت. وجهه ذو لون رائع بسبب التعرّض الدائم لأشعة الشمس، وشعره اسود كثيف مع مسحة من الشيب تدغدغ صدغيه، وملامحه متناسقة ومتناغمة تعكس وسامة وقوة شخصية.

وفجأة انحنى جستن قليلاً وقال شيئاً ما لجوليت، ثم استدار حول السيارة ليصعد وراء المقود وينطلق بسيارته الضخمة. دخلت هيلين سيارة كيت ماترت، وجلست قرب ماريز في المقعد الخلفي. وعندما انطلقت السيارة اخذت زوجة ابيها بالثرثرة، الا ان هيلين لم تسمع شيئاً من كلامها، لانها كانت تفكر في جوليت الصغيرة، وكيف اصبحت، خلال هذه الفترة القصيرة جداً، وكأنها جزء من حياتها.

# ٢ - الخضرة واغاني العصافير

كانت فيللا أوريليا تبعد حوالي نصف ساعة من المطار، إلا أن كيث ماثيوز وصلها بأقل من عشرين دقيقة. وأمضت هيلين تلك الدقائق القليلة في التفرج على الطبيعة الجميلة، والرد على اسئلة ماريز المتلاحقة.

ارتفعت معنوياتها وازدادت سعادتها. فمن المؤكد أن هذه المناظر الخلابة ستساعدها كثيراً على النسيان. انها بحاجة ماسة لهذا الانتقال، ولا شك فيه أن الجزيرة...

توقفت السيارة امام مدخل الفيللا، وسمعت ماريز تقول:

«ها قد وصلنا يا حبيبتي».

ظلت هيلين جالسة بدون حراك، تحدق خارج السيارة. ثم انخفضت من عينيها وأفكارها تلك الأيام البهيجة ومشاعر البهجة المفرحة. [illegible] الفيللا التي [illegible] لا يمكن. هناك [illegible] الحشائش [illegible] تنمو بطريقة [illegible] بشكل [illegible] والزوارق [illegible] تكاد تقع، وجدران الحائط...

سيطرت على اعصابها ومشاعرها، وتبعت زوجة ابيها الى الداخل. يجب ألا تنتقد... يجب ان اتذكر ان فترة ثمانية عشر شهراً قد مضت على وفاة والدها. من المؤكد ان ماريز عانت كثيراً بعد ان اصبحت وحدها فجأة. وليس معها سوى تورين، التي لم تكن آنذاك قد بلغت السابعة عشرة. يجب ان يكون هناك سبب ما...

طردت هيلين هذه الافكار المزعجة من رأسها وحاولت ألا ترى الا الجوانب الايجابية والمشرقة. فلا بأس اذا كانت هناك بعض الدلائل على قلة الترتيب: فليس كل شخص مؤهلاً ليكون مثالاً يحتذى في مجال النظافة



والترتيب. أليست صديقتها ليزا عنواناً للفوضى وسوء التنظيم؟ ألم تكن شقتها الصغيرة وغرفة ملابسها في المسرح...

«تفضلي. يبدو أنك بحاجة اليه».

كان كيث يقف قربها حاملاً كأساً من الشراب البارد. وعندما ترددت في تناوله، قال لها مازحاً:

«لا تخافي! انه عصير الليموناد».

اخذت الكأس شاكرة، وراحت تتأمل ذلك الرجل الذي كان يتصرف وكأنه في منزله. ولكنه لم يبد انه من الرجال الذين كان يصادقهم والدها. هزت رأسها محاولة مرة اخرى طرد الافكار السلبية. لقد حضر كيث الى المطار للمشاركة في استقبالها، واعتنى بأوراقها وحقائبها، ووضع سيارته تحت تصرفها. ربما كانت مرهقة من السفر، والارهاق يشوش الافكار. ومهما كانت الامور، فانها تتقبل [illegible] هذا الرجل. فمن الصعب جداً ان تحاول اقامة علاقة عائلية مع سيدتين تكاد لا تعرفهما، بحضور شخص غريب كلياً عنها.

ولكنه على [illegible] وما زاد في [illegible] الأخرين كانوا يستعدون [illegible] السهرة في المسرح [illegible] على لسان ماريز؟

«والهدف من سهرتنا الليلة هو الاحتفال بوصول ابنتها الحبيبة، وتقديمها [illegible] كيث يدير النادي الليلي الراقي الوحيد في هذه الجزيرة».

احتجت هيلين بتهذيب قائلة:

«ولكنني لم اتمكن حتى من افراغ حقائبي بعد!»

رفعت ماريز حاجبيها علامة الاستغراب وقالت:

«لن يستغرق ذلك منك وقتاً طويلاً. ونحن يجب ان نرتدي ثياب السهرة. كما اننا لسنا مضطرين للاسراع والعجلة».

اشعل كيث ماثيوز سيكارة، وقال بتثاقل:

«واعتقد أن علينا الغاء سهرة الليلة يا ماريز، فالصبية تبدو مرهقة جداً. يمكننا تأجيل السهرة حتى ليلة الغد مثلاً».

شعرت هيلين بامتنان عميق لهذا الرجل الغريب الذي وفر عليها مشقة الرفض، او التصرف [illegible]. وعندما شعرت باستياء ماريز، سارعت الى

الكثير».

ردت عليه هيلين بلهجة مماثلة، من حيث الشكليات واللباقة الاجتماعية، قائلة:

«اني لم اقم، يا سيد فالونت، بأكثر مما كان سيقوم به اي انسان عاطفي آخر نحو طفلة صغيرة تنتقل من قارة الى اخرى بمفردها».

تأمل تعابير وجهها لحظة وقال لها بهدوء بالغ، ربما لأنه شعر بمسحة من التوبيخ والتأنيب في لهجتها:

«انا مدرك تماماً ما عانته جوليت طوال تلك الرحلة المرهقة. وقد حز في نفسي كثيراً أنني لم أتمكن من اعداد ترتيبات اكثر ملاءمة لها. ففي هذا الوقت لم اتمكن من اخذ اجازة للذهاب الى لندن واحضارها بنفسي».

«لا داعي لهذا التوضيح. كانت والدة جوليت، وامر رعايتها والعناية بها يعود برمته اليك وحدك فقط».

ابتسم فالونت بصورة غير متوقعة وقال:

«الآن من يستمع اليك الآن يعرف انك تختلفين تماماً عن الفتاة التي كانت الموضوع الوحيد تقريباً في احاديث ابني ليلة امس».

ثم ابتسم وسألها:

«هل ارتكبت خطأ ما؟»

تذكرت هيلين ما حدث في القطار وكانت لا تريد حقيقة شعورها. ولما احس بأنها امتنعت عن الاجابة، سألها مرة اخرى:

«هل انت متضايقة لأني لم اصبح بجوليت تولى مهمة التعريف بيننا في وقت غير ملائم على الاطلاق؟»

لقد اكان انه يذكرها وذلك وقفه متعمداً، واكدت شكوكها. تلك الشكوك التي بدأت صغيرة وتطورت الى ان اصبحت الآن حقيقة واقعة. ان كيت ماتون لا يعجبها ومارس لا تعجبه... وبالتالي فهي لا تعجبه. ونسيت الوضع العصبي لمقابلة اوريليا، فعل الاقل زوجة ابيه، وحتى كيت ماتون، هذا اسطبلان، وهذه مسألة يصعب منحها لهذا الشخص المتعجرف والمستبد.

رمقته إليه نظرة عدم اكتراث ورفعت حاجبيها قائلة:

«متضايقة؟ انا لم اعر هذه المسألة اي اهتمام على الاطلاق.



وباختصار...»

«أين، أين، أين انت؟ اريد... آه، انت هنا»

ما ان خرجت جوليت من بين الأشجار وشاهدت هيلين حتى اطلقت صرخة فرح والقت بنفسها عليها قائلة:

«وانت ايضاً هنا! كنت انطلع الى لقياك. اليس الطقس رائعاً وحاراً؟ سأصبح اكثر اسمراراً من...»

صمتت لحظة لالتقاط انفاسها، ثم تطلعت الى والدها قائلة:

«أبي، اعرفك بهيلين. جئنا سوية من لندن».

ثم وزعت نظراتها بين والدها وهيلين، وسألتها:

«هل ستتابع نزهتنا على الشاطئ؟ اريد البحث عن بعض الأصداف».

ردت عليها هيلين بدون تفكير:

«يوجد عدد لا بأس به من الأصداف الجميلة على هذا الشاطئ».

«اين، اين؟ هل بالامكان ان تطلعي على امكنتها؟»

ترددت هيلين، لتدخل جستن فالونت على الفور:

«ربما كانت هيلين خططات اخرى لأول يوم من وجودها هنا. لا يمكنك ان تتوقعي منها التخلي عن كل شيء، لمشاركتك في جمع الأصداف، لمجرد ان تطلبي منها ذلك».

شعرت جوليت بصدمة وقالت لهيلين:

«هل عندك القيام بأعمال كثيرة؟»

«لم أفرغ حقائبي بعد، اذ انني كنت مرهقة جداً الليلة الماضية. آسفة يا حبيبتي، لم يكن على القيام بهذه المهمة للبحث معك بكل سرور بحثاً عن الأصداف».

تنهدت جوليت مقتنعة، وقالت:

«أوه، حسناً. ربما تمكنت من جمع الأصداف مرة اخرى».

وكأن جستن فالونت قرأ افكار هيلين في تلك الآونة، فقال لها:

«واذا اخذت هذا الطريق الترابي الى اليمين فانه سيوصلك الى الطريق الرئيسي، ومن هناك تستغرقين حوالي عشر دقائق لتصلين الى فيلا اوريليا، التي ستكونين ايضاً الى اليمين من الطريق».

شكرته بتهذيب ثم قالت لجوليت محاولة حبس دموعها:

«الى اللقاء يا جولييت. ارجو ان تتمكني من جمع اكبر كمية من الاصداف الرائعة».

وصلت هيلين الى البيت لتجد ماريز ونورين تتناولان فطورهما، فانضمت اليهما لعلّ ذلك يساعدها على التخفيف من آثار ذلك اللقاء المزعج مع فالنتين. الا ان انتباهها من تصرفاته وقحته ظل مهيمناً على الجزء الأكبر من تفكيرها. كان واضحاً لها ان الرجل مصمم على انهاء العلاقة الودية البريئة التي قامت بينها وبين ابنته اثناء تلك الرحلة الطويلة.

انقضى الاسبوع الأول من اجازتها ولم يتم اي لقاء آخر بين صديقتي الرحلة البحرية، كما اسمتهما ماريز. وتحسّرت هيلين على ذلك، لان الترفيه البسيط الذي يوفره شاطئ نظيف وصحبة فتاة صغيرة لطيفة هو افضل بكثير من ذلك النوع من الترفيه الذي يشرف كيث ماكلود على تقديمه في النادي الليلي.

واثناء جلوسهن الى مائدة الافطار صباح الاحد، تطلعت ماريز الى هيلين وسألتها:

«هل امضيت وقتاً ممتعاً ليلة امس؟»

لم ترد هيلين جرح مشاعر ماريز، فاطلقت كذبة بيضاء عندما ردت عليها بالايجاب شاكرة لها دعوتها والاهتمام بها. ولكن زوجة الأب لم تكتف بذلك، بل مضت الى القول:

«تصورت ان الشاب تريفور هيرلي مأخوذ بك امس، هل دعاك الى الخروج معه؟»

هزت هيلين رأسها، وتذكرت ان تريفور الذي لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره لم يتحدث في الليلة السابقة الا عن وجهات نظره المتطرفة بالنسبة لاعادة التنظيم في سياسة انتاج السكر.

«انا متأكدة من انه سيدعوك قريباً. ولكن عليك تشجيعه قليلاً».

لم تقل هيلين شيئاً، لانها لم تكن لديها ادنى رغبة في تشجيع اي رجل او شاب على دعوتها او مغازلتها. وكيف يمكنها ذلك وكلفين لا يزال الماً موجعاً في قلبها!

«بالمناسبة، ماذا حدث مع ذلك الصبي الذي كنت تكتبين لنا عنه؟



كيف... لا، كلفين؟ هل انهارت علاقتكما؟»

«لم تكن هناك علاقة قوية لتنهار».

راقبتها ماريز بعطف وحنان ثم قالت:

«سوف تتجاوزين المشكلة هنا بدون صعاب. فعلى اي حال كان الشاب غريب الاطوار الى حد ما. هذا على الاقل ما لمسناه من رسائلك».

ثم ابتسمت وتابعت قائلة:

«بضعة اسابيع من اللهو والمرح هنا وتقعين في حب احد الرجال الوسيمين الاغنياء. اليس كذلك يا نورين؟»

كانت ابنتها صامتة طوال الوقت، تستمع بمرح الى الحديث عن الرجال. وعندما وجهت اليها والدتها ذلك السؤال، ارتسمت على وجهها ابتسامة ساخرة وقالت:

«الحب؟ اوه يا امي، الم تكتشفي بعد ان ما يسمى بالحب ليس الا حديث خرافة؟»

ثم حولت انظارها الى هيلين قائلة:

«صدقي او لا تصدقي! فان مشاعر الحب والافكار الرومنطيقية لا تزال تدغدغ قلب امي بين الحين والآخر، حتى في هذه السن».

اجابتها والدتها بلهجة هادئة وكأنها لم تتأثر او تتضايق:

«ولماذا هذه المرارة يا حبيبتي؟ صدف انك كنت سيئة الحظ في علاقتك الغرامية الاولى، كما حدث مع هيلين. الا ان هناك الآن راي سنداناه، وهو يحبك بشدة».

تنهدت نورين ثم تحولت فجأة الى هيلين قائلة:

«لماذا لا تغيرين تسريحة شعرك؟ اعتقد انه لو كان اقصر لجعلك اكثر جاذبية... واقل جدية. الا توافقين معي على ذلك يا امي؟»

امضت ماريز وابنتها الدقائق العشرين التالية في ثرثرة فارغة حول التسريحات التي يفضلها الرجال، وماذا ستلبس كل منهما طوال ذلك اليوم، واين ومع من ستمضيان السهرة! اما هيلين فقد ابلغتهما بانها ستقوم بنزهة في الحقول والبساتين، بعيداً عن الضجيج.

رن جرس الهاتف فقامت نورين للرد عليه. ثم عادت بعد لحظات وقالت لهيلين بجدية بالغة:

«المكالمة لك أيتها العزيزة. إنها من رجل»
«لي أنا؟ ولكن. . .»
إنها لا تعرف أحداً ليتصل بها هاتفياً. ولم يمر على وجودها في سلمنادر وقت كاف ليصبح لديها أصدقاء.
تدخلت ماريز مشجعة وقالت مبتسمة:
«أراهن بأن هذا الرجل هو تريفور. ألم أقل لك إنه سيدعوك للخروج معه؟ أسرعي يا عزيزتي، لا تدعي العاشق ينتظر طويلاً».
أسرعت هيلين إلى القاعة ورفعت السماعة تعرّف عن نفسها.
«هيلين سيلفاين».
«مرحباً آنسة سيلفاين، فالونت هنا».
ولكن لماذا يتصل بها جستن فالونت؟
«يجب أن أعتذر أولاً عن إزعاجك صباح هذا اليوم. ولكن لديّ طلب خاص بالنسبة عن ابنتي».
«جوليت. . . هل هي بخير؟»
«إنها تعاني من ضربة شمس والإفراط في أكل الفواكه الطازجة. أنا ألوم نفسي لأنني لم أنتبه لهذه الاحتمالات. . . .»
«وكيف هي الآن؟»
«لقد أحضرت لها الطبيب وأعطاها دواء خاصاً لكل هذه الحالات، وهي الآن على ما يرام. إنها فقط ضعيفة متعبة ويجب أن ترتاح في سريرها مدة يوم أو يومين. . . وتتمنى من صميم قلبها أن تتمكني من زيارتها».
«مسكينة جوليت! بالطبع سأزورها. متى تريدني أن أحضر؟ اليوم؟»
«إذا كان ذلك ممكناً. أما إذا كانت هناك ارتباطات أو ترتيبات أخرى، فلا داعي للعجلة. هل يناسبك يوم غد أكثر؟»
«لا، لا. وقتي لي، أتصرف به كما أشاء. قل لي يا سيد فالونت، متى بدأ مرضها؟»
«ليلة الخميس».
عضت هيلين على شفتيها قائلة:
«ليتني عرفت قبل الآن، لكنت. . . لكنت ربما ساعدتها بشيء أو بآخر».



«كانت تحاول الاتصال بك أمس، فلم تفلح. وحاولت أنا نيابة عنها، ولكن أحداً لم يجبه».
«كنا خارج المنزل معظم يوم أمس».
«الآن، هل يمكنني أن أعد جوليت بأنك ستأتين حوالي الرابعة بعد الظهر؟»
«نعم، في الأكثر. هل من شيء يمكنني إحضاره لها؟»
وشعرت فجأة بشناعة هذا السؤال وسطحيته. فماذا يمكنها أن تحضر لها في يوم العطلة هذا، ولم يكن والدها قد أحضره سابقاً!
«شكراً، ولكن مجرد حضورك سيفرحها كثيراً. سوف أرسل سيارة لإحضارك في الرابعة إلا عشر دقائق. هل اتفقنا؟»
أجابته بكلمة نعم. وقبل أن تفكر بشيء آخر تقوله، سمعته يقول لها وداعاً. . . ويقفل الخط.

# ٣- اول خفقات القلب

بعد ان زالت دهشتها من الاتصال غير المتوقع من فالمونت، أعدت هيلين نفسها للزيارة. وعندما اقترب موعد وصول السائق، بدأت خفقات قلبها تتسارع وعادت اليها الحيرة بالنسبة الى الهدية الرمزية التي تنوي تقديمها للصديقة جوليت.

وفجأة تذكرت العلبة الموسيقية التي تحتوي على راقصة باليه صغيرة ترقص على انغام لحن مشهور بمجرد فتح الغطاء. إنها رخيصة الثمن، ومستعملة، ولكنها ذات قيمة معنوية وعاطفية. فهي الشيء الوحيد الذي أعطاها إياه كلفن. وتذكرت كلماته عندما قال لها ضاحكاً:

«ولماذا لا نهدر أموالنا مرة؟ انت تريدينها... وانا سأشتريها لك. انها مثل حالنا يا حبيبتي... راقصة بائسة ويائسة. تقبليها مني... سنجلب لك الحظ».

أقفلت الغطاء بعصبية، فاختفت الراقصة الصغيرة وصمتت الموسيقى. فمن الجنون التعلق بذكريات عاطفية لا تعود عليها الا بالحزن والألم. الأفضل ان تتخلى عنها وأن تنسى، وكذلك أن تأمل في ان تسعد هذه اللعبة صديقتها الصغيرة ولو للحظة عابرة.

وفيما كانت هيلين تغادر غرفتها، دخلت نورين وقالت لها مبتسمة:

«انه فستان حريري رائع ويناسبك كثيراً. ولكن لماذا لا تستعملين الماشطة لتسريح شعرك الجميل بطريقة جذابة؟»

«ولماذا أفعل ذلك وأنا في طريقي لزيارة جوليت؟»

هزت نورين كتفيها ثم قالت لها بلهجة حرجة وشبه ساخرة:

«انها مناسبة مثيرة للاهتمام. فعلى الأقل انت تبدأين بالفضلية لم تحصل



عليها اي فتاة».

ظلت هيلين حائرة لا تعرف مغزى هذه الملاحظات، فما كان من نورين الا ان قالت ضاحكة:

«بالله عليك، كفي عن تمثيل دور البلهاء. فكأنك لم تعرفي اني الحدث عن اكثر الرجال جاذبية في هذه الجزيرة نصف المية. حسناً يا صغيرتي، فليكن ما تريدين. انك ذاهبة فقط لزيارة جوليت، التي يبدو انها متعلقة بك الى حد ما، وانت تحملين لها مجرد هدية صغيرة. انها حقاً خطوة ذكية ولفتة رائعة».

أصيبت هيلين بدهشة حقيقية عندما لاحظت أخيراً الهدف الذي ترمي اليه نورين من تلك الوخزات المتلاحقة. ولأن حيرتها كانت اقوى وأشد من انزعاجها، اكتفت بالتساؤل:

«وهل تعنين السيد فالمونت، والد جوليت؟ أحقاً تعتقدين ان...؟»

توقفت هيلين لحظة ثم تابعت حديثها بمرح قاتل وابتسامة تحمل الكثير من المعاني:

«ولكنني لا اكاد اعرف الرجل!»

«ها قد سنحت لك الفرصة الآن. وحظاً سعيداً لك... فانك ستحتاجينه».

احمرت وجنتا هيلين لأنها شعرت بشيء من الضيق والانزعاج بسبب تلك الجملة الأخيرة وقد تذكرت اللقاء الوحيد الذي تم مع جستن فالمونت. ثم قالت:

«أتحتاجه؟ لا يا عزيزتي، فأنا لا احتاج الى الحظ السعيد في هذا المجال... ولا اريده. فشكراً لك».

تمددت نورين على السرير وقالت لهيلين بعد ان لاحظت احمرار عينيها:

«لا داعي لهذا الاحتجاج العصبي. ما يهمه هو انه لماذا لا تحاولين؟ فكلنا حاولنا. وفي حال الفشل، يمكنك دائماً الاعتماد على وجود ترفور هيرلي».

حدقت بها هيلين بدون التفوه بشيء، وكأنها فقدت القدرة على الكلام. هل هذا هو كل ما يفكرن به؟ ملاحقة الأزواج المحتملين او تحين فرص كل منهن في سعيها وراء الزوج المطلوب! وفجأة قالت لها بلهجة

باردة:
«لا، لست مهتمة بجستن فالوت على الاطلاق. والزيارات القليلة التي لقيته فيها حتى الآن لا تشجعني ابداً على تغيير نظرتي السلبية اليه»
«وهذه هي المشكلة يا عزيزتي. انه جذاب جداً مع النساء ويحاول ابعادهن عنه. وانا احبه فانا لم افلح في كسب مودته او حبه فانه قادر على تفسيرها. لقد كنا جميعاً نعتقد في الماضي بأن لويس سنتالا زوجته في شبابها، كانت متأكدة من ذلك لدرجة انها بدأت تعد العدة لحضور حفلة زفافها. وفجأة، اصيبت بشبه انهيار عصبي وغادرت الجزيرة لتقيم مع اهلها، وعاد جستن الى برجه العاجي»
ازداد شعور هيلين بالضيق والانقباض، فحاولت الهاء نفسها بالبحث عن حقيبتها ومنديلها... وبالقاء نظرة اخيرة على المرآة. وعرضت عليها نورين استعمال عطرها الذي تعطر به. فرفضته هيلين قائلة:
«لا، شكراً. لقد استخدمت عطري المعتاد»
هزت نورين كتفيها مرة اخرى، وتوجهت نحو النافذة وهي تقول:
«لا داعي لهذا التصرف الجاف والرافض. فاصطياد الازواج هو التسلية الوحيدة في هذه الجزيرة، كما ستكتشفين بنفسك اذا قررت البقاء هنا. ولكن بالطبع اذا كنت تفضلين حياة هادئة وخالية من الاثارة والتشويق، فهذا شأنك. ها قد وصلت السيارة»
ثم استدارت نحو هيلين وقالت لها بلهجة ساخرة:
«انه الحدث الرئيسي لهذا العام. تعيين الابنة لم تعين الوالد. اسرعي يا عزيزتي، فالرجل الكبير جستن فالوت ينتظرك... شخصياً»
فتح لها جستن باب السيارة بعد ان رحب بها بكلمات تقليدية، واخذ منها حقيبتها المصنوعة من القش ليضعها على المقعد الخلفي. وبمجرد جلوسها قربه، بدأت اصداء الكلمات التي قالتها نورين قبل لحظات تتردد في رأسها وتقلقها. هل من الضروري او من الصواب فعلاً اهداء الصندوق الموسيقي الصغير لجوليت؟ وماذا سيكون تفكيره عندما تهدي ابنته شيئاً ما وهي لا تكاد تعرفها؟ أليس من الافضل مثلاً ان تتناسى الحقيبة في السيارة، او ان... لعنك يا نورين ومن ملاحظاتك المثيرة للشكوك! قالتها وبدأت تشعر بخوف من المحادثة الخفيفة كأنها طفلة



صغيرة، تجاوزت الآن تلك الملاحظات التي تم نسيانها كلياً. ولكن، ماذا لو كانت نورين مصيبة في تحليلها؟
وفجأة انعطفت السيارة بشكل حاد نحو طريق فرعي، فمالت هيلين رغماً عنها نحو السائق وارتطمت بجستن. الا انها سرعان ما امسكت بحافة الواجهة الخشبية وعادت الى الوضع السابق. فسمعت جستن يتمتم:
«عفواً. انني انسى دائماً ان الاشخاص الذين يجلسون الى جانبي معرضون لمثل هذا الحادث، اذ ليست لديهم ميزة التمسك بالمقود»
تجاهلت اعتذاره كلياً، وظلت صامتة لبعض الوقت تحدق في الاشجار الموجودة على الجانب الايمن للطريق، وهي تخفي الرجفة نحو الاخرى. وبعد لحظات طويلة شعرت هيلين بأن عليها واجب التفوه بشيء ما، فلم تجد سوى كلمات قليلة تسأل بها عن جوليت. فأجابها جستن:
«افضل على ما اعتقد. ولكني اخشى ان تكون قد بدأت تضجر من قلة النشاط والحركة... وربما من وجودها معي»
وعاد القلق يساور ذهن هيلين بالنسبة الى هدية جوليت. وقبل ان تصل الى اي قرار نهائي بذلك الخصوص، شعرت بوقوف السيارة فرفعت رأسها لتلقي النظرة الاولى على منزل جوليت. الفيلا مميزة.
«انها فيلا جميلة جداً وطرازها يختلف الى حد كبير عن غيرها»
«شكراً يا هيلين. لقد بناها رجل فرنسي قبل حوالي ربع قرن عندما كانت جزيرة سلستر مستعمرة فرنسية. تفضلي بالدخول، فجوليت بانتظارنا»
دخلت هيلين قاعة كبيرة تحمل جدرانها الاربعة عدداً كبيراً من اللوحات الزيتية الرائعة لفنانين مشهورين. وفيما كانت تتأمل تلك اللوحات، سمعت جستن يسألها:
«ما رأيك الآن بكأس من الشراب البارد؟ ام انك تفضلينه في الحديقة مع جوليت؟»
ترددت هيلين قليلاً، فسارع فالوت الى توجيه السؤال التالي:
«هل تحبين شرابك مع الثلج ام بدونه؟»
«مع الثلج. لا بل مع كثير من الثلج، شكراً»
ضغط جستن زراً صغيراً ثم فتح خزانة من الخشب المحفور واخرج منها

سطل الثلج المغلق بالفضة وأعطاه الى الخادم الذي دخل لتوه.
«رجاء يا طوم، احضر لنا كمية جديدة من قطع الثلج وكأسين من الشراب الخاص للآنسة وجوليت».
ثم حوّل نظره نحو هيلين قائلاً:
«إني افكر جدّياً في الانضمام اليكما قليلاً. طوم يحضّر مشروباً منعشاً تشرب منه ابنتي كميات كبيرة. تفضلي، من هنا».
وفي أحد زوايا الحديقة، كانت جوليت مستلقية على احد المقاعد وقربها مائدة صغيرة تحيط بعض السلال. وما ان شاهدت هيلين حتى عرفت تلألؤها قائلة:
«اعتقدت انك لن تأتي ابداً. ثم انك لم تسمحي لي بانتظارك خارج الفيلا».
وبعد ان تبادلت جوليت وأبي الانباهات المرحة حول تصرفات الشيطانة الصغيرة وتقيّد الخادمة الحرفي بالتعليمات الصادرة اليها، قبّلتها أبي بحنان طالبة منها التصرف بطريقة لائقة وتوجهت الى داخل المنزل. وفجأة تحولت جوليت نحو هيلين قائلة لها:
«لم تذكري لي ابداً انك كنت راقصة باليه، وأنك اتيت الى سلستفور نتيجة لسقوطك عن دراجة هوائية وعدم قدرتك على الرقص بعد ذلك الحادث. هل هذا صحيح؟ هل رقصت حقاً على خشبات المسارح؟»
نبرها والدها مؤنّباً، فاعتذرت منه قائلة:
«إني آسفة، لقد نسيت. ولكن أردت فقط أن...»
ولما لاحظت هيلين ان جوليت توقفت عن الكلام خجلاً نتيجة لتلك النظرة القاسية من والدها، تدخلت بتهذيب وقالت:
«لا، ارجوك. دعها تسأل، فلست متضايقة من الاجابة».
ثم التفتت نحو جوليت وتابعت حديثها:
«نعم يا عزيزتي، لقد رقصت على خشبة مسرح. إلا انني لم اكن راقصة باليه بالمعنى الصحيح. كنت قد بدأت اتلقى تقديم وصلات صغيرة بمفردي، وكان يحدوني امل كبير في امكانية وصولي يوماً ما، اذا اجتهدت كفاية، الى مرتبة الراقصات الرئيسيات».
«ولكن لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟»



ابتسمت هيلين وقالت:
«كنت اشعر بحماسة فائقة يا حبيبتي. ولو بدأت في الحديث عن مشكلتي آنذاك لكنت جعلت من نفسي سخرية أمام الناس الموجودين في الطائرة».
تأثرت جوليت كثيراً ودمعت عيناها، ثم قالت لهيلين بحنان:
«ولكنك ستعودين الى المسرح عندما تتحسن رجلك، أليس كذلك؟»
«لا... لا اعتقد ذلك، لأنني...»
تدخّل جستن نجدة عندما شعر بان هيلين تحاول جاهدة السيطرة على مشاعرها، وقال لابنته:
«انهضي قليلاً يا جوليت، لأنني اريد تلك الطاولة الموجودة وراء الكنبة».
إلا ان هيلين كانت قد احضرت طاولة اخرى فيما وصل طوم ومعه المرطبات. وقد نسيت جوليت موضوع الرقص واهتمامها به وأخذت كوب العصير وبدأت تشرب. وما هي الا لحظات حتى عادت الى الحديث:
«ارجو الا اتقيأ هذا الشراب. فمعدتي بحاجة اليه كثيراً بعد ان تقيأت اربع مرات نهار الجمعة ومرتين...»
قطّب جستن حاجبيه وقال لطفلته الصغيرة:
«لا تتحفينا بهذه التفاصيل، ارجوك. الأفضل ان تطوي الموضوع مرة اخرى».
تنهدت جوليت وردت عليه قائلة
«أوه، حسناً. كم اتمنى ان اكون شابة كبيرة. فالكبار يتحدثون دائماً عن امراضهم ولا احد يطلب منهم ان يخرسوا. عمّ يجب ان اتحدث يا ابي؟»
نظر اليها بحنان وقال لها مازحاً:
«عن لا شيء، عزيزتي الى الانتهاء من شرب العصير. انه طلب ظاهر، أليس كذلك؟»
رفع جستن كأسه الى شفتيه وافرغ فيه شرابه دفعة واحدة، ثم طبع قبلة حنونة على رأس جوليت قائلاً:
«سأغادركما الآن حتى تتمكني من اطلاع هيلين على كل ما يدور في رأسك من آراء وافكار. ولكن لا تلوميني اذا ضجرت منك هيلين كثيراً

وفرّت هاربة.

ضحك الجميع لتلك النكتة الطريفة واندفعت جوليت لمعانقة والدها والتمني له بالتوفيق. وقبل ان يذهب، تطلع جستن بهيلين وقال لها بلهجة مهذبة، مبتسماً:

«آمل ان تكوني سعيدة. ففي حال احتياجك لأي شيء، ارجوك الا تترددي في مناداتها وإبلاغها ما تريدينه.»

تأملته هيلين ملياً وهو يغادر ذلك الركن من الحديقة وتذكرت صفة الشر التي اطلقتها نورين على جستن فالونت. نعم، يمكنه ان يكون مدمراً فيما لو اختار استغلال ذلك السحر وتلك الجاذبية للفوز بقلوب النساء الضعيفة والراغبة. ولكن لماذا تفكر به؟ فهي هنا لتسلية صديقتها الصغيرة.

أمضت جوليت وقتاً ممتعاً مع هيلين، مركّزة معظم اهتمامها على العلبة الموسيقية التي افرحتها كثيراً. وظلت الفتاتان تمرحان وتتبادلان فترة طويلة الى ان جاءت آني وفي يدها صينية الشاي مع السيد فالونت على الشرفة. وقد اعربت جوليت عن رغبتها في تناول الطعام لانها جائعة، فاجابتها آني:

«سأحضر لك فوراً بيضة مسلوقة مع الحليب والسكر. هذه هي أوامر الطبيب، ولن تأكلي اي شيء آخر قبل حضوره غداً صباحاً.»

احتجت الفتاة بانزعاج قائلة:

«ولكنني اكاد اموت جوعاً. لم آكل شيئاً منذ ثلاثة ايام. ارجوك يا آني اعطني واحدة من قطع الحلوى هذه.»

تبادلت الخادمة الحنونة ثم توجهت نظراتهن جميعاً نحو جستن، الذي قال مستسلماً:

«حسناً واحدة فقط، وإياك ان تفعلي ذلك ما حدث يوم الجمعة.»

لمعت عينا جوليت فرحاً ومدت يدها الى طبق الحلوى لتختار اكبر واحدة فيه. ثم تطلعت الى والدها وقالت له مازحة:

«ولماذا يا ابي تذكّرنا بتفاصيل مزعجة ونحن نجلس الى مائدة الشاي؟»

ضحك جستن وربّت على كتف ابنته بحنان قائلاً:

«لقد سجّلت هدفاً سريعاً وسهلاً في مرمى والدك.»

لاحظت هيلين التعاطف والتوافق المتبادلين بين جوليت وأبيها، ولكنها



شعرت في الوقت ذاته بأن الفتاة الصغيرة تعرف حدودها بالنسبة الى الاندفاع في تصرفاتها مع والدها. وكان الأمر واضحاً عندما توقفت فجأة عن الاسترسال في حماستها وتذمّرها بمجرد ان سمعته يقول لها بهدوء، ولكن بلهجة تحذيرية جادة:

«جوليت، هذا يكفي.»

بعد شرب الشاي قررت هيلين وجوليت القيام بنزهة على الشاطىء. لبست جوليت كنزة من الصوف الناعم تحسباً لبرودة المساء. وانطلقت الفتاتان تتمتعان بالنظر بمغيب الشمس وانعكاس الاضواء على سطح الماء. وتأملت هيلين تلك المناظر الرائعة التي تفيض بالدفء والحنان. وشعرت لأول مرة منذ وصولها الى منستفر بنوع من الطمأنينة وراحة البال. لدى عودتهما الى الفيلا كانت جوليت صامتة تماماً وقد بدا عليها التعب والارهاق، ذلك ان مرضها قد اثر عليها الى حد كبير. ولهذا لم تعترض مطلقاً عندما اخذتها آني الى غرفة النوم لتبدل ثيابها وتضعها في السرير.

ومع ذهاب جوليت الى غرفة نومها، اختفى من افكار هيلين ذلك الشعور الوجيز بالسكينة. ومرة اخرى عاد يتملكها كالمعتاد شعور بالحذر والاحتراز. وظلت هيلين فترة قصيرة وحدها في تلك القاعة الكبيرة، فشعرت بأن هناك خطأ ما في وضعها. وهو شعور الانسان الزائر وليس الضيف اذا تركه اصحاب البيت وحده. تطلعت حولها بنظرات شاردة واخذت تتساءل عما اذا كان جستن فالونت سيوصلها بسيارته ام انه سيدعها تذهب بمفردها. وذكّرت هيلين نفسها بأن مكتب الفندق لا يبعد اكثر من عشر دقائق تقريباً اذا سارت سيراً عادياً وطبيعياً. وارادت هيلين ان تلهي نفسها عن هذه الافكار فأخذت تستعيد في ذهنها تفاصيل اللقاء مع جوليت ووالدها جستن. وفجأة تذكّرت انها تركت حقيبتها القصبية في اطراف الحديقة حيث كانت تجلس مع صديقتها الصغيرة. ففتحت الباب الزجاجي المطل على الحديقة وذهبت لاحضارها. لدى وصولها تبين لها ان المكان قد اعيد ترتيبه وتنظيفه وان حقيبتها ليست هناك. عادت هيلين الى المنزل فوجدت الباب الزجاجي مقفلاً من الداخل. وعندما ارادت الذهاب من الجهة الاخرى كادت ان تصطدم بجستن على الزاوية الشمالية. وقال فالونت:

«لقد استغربت ان اراك آتية من هنا للمحطة وبجرأة ! ظننت انك ذهبت الى منزلك».

وبدأت هيلين تحاول التقاط انفاسها لتشرح له ما حدث، ولكنه قال لها على عجل:

«اني آسف جداً. كان علي اجراء مكالمة هاتفية ضرورية، ومما لا شك فيه انك قد احضرت حقيبتك من الخارج».

ولما وصلا الى القاعة، ابتسم حسن وقال:

«اغلاق الباب الزجاجي من الداخل ربما بدا تصرفاً غير لائق يقوم به انسان غير مضياف. ولكن الحقيقة هي غير ذلك تماماً. فالخادم علوم معتاد في مثل هذا الوقت من كل يوم على اقفال جميع الابواب والنوافذ لمنع الحشرات الاستوائية الزاحفة من دخول المنزل».

ردت عليه هيلين بكل تهذيب:

«لا بأس، فلا داعي للاعتذار».

«كيف لا، خاصة انك عطلت وقتك كاملاً طوال بعد الظهر لتسلية ابنتي. كانت خطوة لطيفة جداً منك، وانا اقدّر لك هذه الخدمة الرائعة، وجودك هنا اسعد جوليت الى حد كبير».

ثم توجه الى الخزانة الخشبية وقال لهيلين:

«ماذا تشربين؟»

«قليلاً من عصير البرتقال من فضلك».

واخذت هيلين تراقب اسلوبه المميز وهو يصب العصير في كأسين من الكريستال الخالص. وبعد ان اعطاها شرابها جلس قبالتها ثم قال لها بكثير من الجدية والتفكير العميق:

«اتدرين اني افكر ملياً اذا كان من الخطأ او الصواب احضار جوليت الى هنا. لم يمض وقت طويل على وجودها هنا وقد بدأت اواجه بعض المشاكل».

وبدون ان تدري ماهية رد الفعل المتوقع منها، قالت له:

«أتعني مسألة الاعتناء بها؟»

«لا سمح الله، ولكني بكل بساطة لم تكن لدي اية فكرة عن الوقت الذي يجب ان اكرسه لها. ووقتي مع الاسف ضيق جداً. وقد احزنني بوجه



خاص اني لم اتمكن من تخصيص وقت اطول لها اثناء مرضها. ومما ازعجني الى حد ما التفكير بما سأفعله اذا اصيبت جوليت لا سمح الله بمرض اقوى و...».

قاطعته هيلين قائلة:

«هناك شخص على استعداد دائم للقيام بهذه المهمة».

وتطلعت اليه هيلين بشخص فبدا لها رجلاً قادراً تماماً على معالجة اي من المشاكل التي قد تواجهه، بما في ذلك مرض طفلة صغيرة. وكأن حسن لم يسمع ما قالته هيلين فأضاف فجأة:

«كذلك لم تكن خطوة جيدة اخراجها من مدرستها في لندن. فمعظم الاوروبيين هنا يفكرون جدياً بإرسال اولادهم الى العاصمة البريطانية، وخاصة عندما يبلغون سن مراهقتهم».

ذكرته هيلين بأن جوليت كانت متضايقة جداً بسبب بعدها عنه، وبأنها كانت تتحرق للقائه. تنهد حسن من اعماق صدره وقال:

«وهذا هو السبب الوحيد الذي جعلني اتخطى جميع الاعتبارات، بما فيها العملية والعلمية».

«ولا شك توجد هنا مدرسة لتعليم جوليت، اليس كذلك؟»

«نعم، هناك ثلاث مدارس. ولكني اعتقد ان ايا منها لا تناسب جوليت بالشكل الذي اريده لها».

شرب حسن قليلاً من العصير ثم عادت اليه ابتسامته فأضاف:

«واعتقد ان عليها الذهاب الى مدرسة الآنستين (سيم). وهاتان الآنستان اللتان ستتعرفين عليهما عاجلاً ام آجلاً، هما الآنسة مايبل والآنسة ميلدريد. انهما سيدتان مسنتان لطيفتان كانتا تدرسان في الهند قبل استقلالها من بريطانيا. وهما الآن تعيشان هنا وليست لهما اية رغبة في العودة الى انكلترا. واعتقد ان دخلهما من تعليم ابناء العائلات الاوروبية في سلطنتنا يكفيهما للعيش بمستوى لائق. بالطبع ان اسلوبهما في التعليم هو قديم جداً ويلخص ببضعة مواضيع هي تاريخ الامبراطورية والاخلاقيات والاشغال اليدوية وكيفية التصرف بتهذيب اثناء الحفلة السنوية في المبنى الحكومي».

كانت هيلين تستمع اليه بكل رصانة ثم قالت:

«يبدو انها سيدة لطيفة».

«نعم، ولكن لماذا احضرتك هكذا دون تمهيد! اخبريني كيف وجدت سلمندر؟».

«اعتقد انها جميلة جداً وانا اتطلع الى اكتشافها بطريقة افضل».

صمت جستن لحظة والقى نظرة مطولة على اللوحة الزيتية الرائعة المعلقة على الحائط الخشبي، ثم تحولت انظاره الى الصندوق الموسيقي المهدى من هيرت لجوليت، والتي وضعته ابنته على طاولة صينية جانبية. مدّ جستن يده باتجاه الطاولة واحضر الصندوق الخشبي وفتح الغطاء بكل عناية واهتمام ليشاهد راقصة الباليه الصغيرة ترقص على انغام لحن مشهور.

ظل جستن صامتاً تماماً طوال فترة الانغام القصيرة يتأمل بمحبة الراقصة الصغيرة. وبدون ان يقفل الغطاء لانزال الراقصة الى قلب الصندوق، اعاده الى مكانه على الطاولة وقال لهيلين:

«هذا الصندوق كان لك، اليس كذلك؟»

أجابته بكآبة «نعم» فقط لا انها صمتت بقية الجملة.

فقال لها والد جوليت:

«كنت اتصور ذلك، ولا شك فيه انه كان يعني لك الامر الكثير. فهل انت متأكدة من انك تريدين التخلي عنه لجوليت؟».

«نعم، بالطبع. ولو لم يكن هذا شعوري منذ البداية لما قدمته لها. في اي حال، فهذا الصندوق لم يعد يعني اي شيء بالنسبة اليّ».

تردد جستن لحظة، ثم عادت فجأة البرودة وعدم الاهتمام الى قسمات وجهه وقال لها:

«انا اشكرك على قبولك الدعوة لزيارتنا، ويسرني الآن ان اوصلك بسيارتي الى منزلك».

خلال دقيقة والتي كان جستن يفتح الباب الامامي لهيلين ثم يصعد من الناحية الاخرى ويتجه بسيارته نحو بيت ماريز.



# ٤ - الاوزة العرجاء

اعاقت ازمة صحية سيئة الاعمال اليومية المعتادة التي لم تكن طبيعية تماماً حتى في افضل الاوقات. فالخادمة لم تحضر صباح ذلك اليوم. وماريز كانت مصابة باحدى نوبات الصداع النصفي، مما جعلها تترك فطورها وتأخذ المسكنات الخاصة بتلك الاوجاع وتنسحب الى غرفتها. كما اعلنت نورين انها منشغلة في استقبال بعض الاشخاص. وقد اوضحت طبيعة عملها لهيلين قائلة:

«نسيت ان اخبرك، هناك باخرة سياحية ستصل الى الجزيرة اليوم. فسلمندر تقع على خط احدى شركات الملاحة البحرية الضخمة، وعائلة سندفا تهتم بالرحلات الداخلية. والعام المقبل ستهتم برنامج الرحلات الجماعية الكبيرة. وللمعلومات فان وظيفتي هي استقبال المجموعات التي تود مشاهدة جزيرتنا والتأكد من ان جميع المبالغ التي ستنفق هنا سوف تذهب الى جيوب ابناء العائلة».

فكرت هيلين قليلاً بهذه العائلة الغنية التي يبدو ان لها حصة في كل مشروع تجاري يقام على الجزيرة. فهم يمتلكون النادي الذي يديره كيث ماكنزي، وهم اصحاب المتجر الاوروبي الرئيسي وكذلك الفندق الراقي الوحيد الذي تفخر به جزيرة سلمندر. اضافة الى ذلك فهم يمتلكون جزءاً كبيراً من الاسهم العائدة الى شركة انتاج السكر. وتوقفت هيلين قليلاً عن التفكير وقالت لنورين:

«يبدو انها وظيفة تثير الاهتمام».

القت نورين نظرة اخيرة على نفسها في المرآة وقالت:

«انها وظيفة تكاد تقتلني من الضجر احياناً، ولكنني لا اريد تركها حتى

اعرف بالضبط النتيجة التي سأتوصل اليها مع راي مستقبلاً. وعندها تختلف الأمور بشكل كلي، لانني لن اخشى بعد ذلك كيفية الحصول على المال والمصدر الذي سيأتي منه».

وعصفت بهيلين شيعة الإثارة في صوت نورين وسألتها:

«وهل ستتزوجين راي؟»

«مجرد ان يطلبني للزواج».

صمتت هيلين لفترة ما ثم عادت الى السؤال:

«وهل تحبينه؟»

عاد الى نورين هدوء اعصابها وبرودها وأجابت:

«الرد يتوقف على ما تعنيه بكلمة حب. أتقل ان الظروف شاءت بأن يكون لديه ما اريده واحتاج اليه، وان يكون لدي ما يريده ويبتغيه. وعليه من المؤكد ان العلاقة بيننا ستكون مرضية وحسنة».

وابتسمت نورين ثم حملت حقيبتها ووقفت هيلين قائلة:

«أسفة يا عزيزتي لتركك وحدك تعالجين امورك بمفردك».

وعندما ذهبت نورين ظلت هيلين واقفة بدون حراك تنظر الى الحديقة بعينيها الفرحين، وتحاول التفكير للذي وفي منطق نورين بالنسبة الى الحب والزواج كالزواج مع ان الوقت لم يكن مبكراً من ابنة زوجة ابيها. هزت هيلين برأسها أسفاً على نورين التي تعتقد ان مال الرجل هو الدافع الوحيد للفتاة المقبلة على الزواج. ومع انها ليست الا في التاسعة عشرة من عمرها ونورين لا تصغرها الا بسنة واحدة فقد شعرت انها تفوقها بكثير من السنين والنضوج والحب.

وقررت هيلين اعداد فنجان من الشاي لماريز فوضعت الابريق على النار وانتظرت غليان الماء. وخلال تلك الفترة الوجيزة اعلنت تحلل قليلاً تدبيرها وملكيتها. فقد شعرت منذ البداية تقريباً بأن الأوضاع في ذلك المنزل ليست جيدة كما يجب. فالإهمال وقلة الترتيب ليست وحدها سبب الوضع الشاذ القائم. فهناك كثير من الأمور توحي بوجود نوع من الفقر والحرمان. بعض الستائر في الجانب الخلفي ممزقة، والخرائط الشمالي بحاجة الى صيانة، ووجه ماريز يتقلص كلما استلمت فاتورة صغيرة او كبيرة، وليس هناك اي خادم للاعتناء بالحديقة.



صفر الابريق فقطع عليها تفكيرها واسترسالها. أعدت الشاي ووضعت الى جانب الفنجان صحناً عليه ثلاث قطع صغيرة من الحلوى وتوجهت الى غرفة ماريز. وتذكرت هيلين بأسى ان والدها خلف وراءه مشكلات كثيرة كما انه لم تكن هناك في رسائله لها اي دلائل على وجود مشاكل مادية او مالية. ولكن انّى لها ان تعرف؟ فقد تولت امر نفسها خلال السنوات الثلاث الماضية، اي منذ الانتهاء من دراستها ترفض اماله، وبالتالي فانها لم تعر اي اهتمام لهذه المسألة. وكانت راضية بأن والدها بدا مسروراً جداً مع الأرملة الشابة التي تزوجها قبل ست سنوات. ومع ذلك فانه لا يعلو على ماريز ونورين اي ضيق مادي من حيث الملابس ومستحضرات التجميل. وقبل ان تدق على باب ماريز لتعطيها الشاي ومن ثم تنصل بالنزل فالوقت لتسأل عن جوليت، لاحظت هيلين ان عليها التحدث جدياً مع ماريز، وفي اقرب وقت ممكن، حول امكانية حصولها على وظيفة ما في مستشفى. فقد مدخراتها تكفيها في الوقت الحاضر الا انها لن تدوم الى ما لا نهاية.

تبين هيلين لدى اجراء المكالمة الهاتفية ان جوليت استعادت عافيتها تماماً. وقالت لها ان جوليت ووالدها يتناولان طعام الغداء مع عروس العام ووالديه. لذا فقد وجدت جوليت انشغالاً اقرب الى عمرها من هيلين. وعلى الرغم من ان هذا الأمر طبيعي ومتوقع فقد استغربت هيلين الخفة التي شعرت بها.

وللترويح عن نفسها رأت ان تقوم ببعض الأعمال المنزلية وخاصة فيما يتعلق بتنظيف المطبخ وترتيبه. وفي اليوم التالي قالت لها ماريز عندما شاهدت النتائج وأبدت اعجابها بها:

«أتقومين بالأعمال البيتية الى هذا الحد؟ اتركي التنظيف للخادمة عندما تعود الى عملها. فالتعقيم حار جداً بالنسبة اليك».

ابتسمت نورين ابتسامة ساخرة وقالت:

«والخادمة لن تعود الى عملها قبل ان يشفى زوجها من مرضه».

هزت ماريز رأسها وكأنها تتراجع عما قالته ثم اضافت:

«ومع ذلك فان مجرد مراقبتك وأنت تعملين يشعرني بالتعب والارهاق. ان حيويتك ونشاطك مذهلان».

نعم كانت هيلين مفعمة بالنشاط. فالطقس الحار لم يرهقها البتة، والأكثر فالأكثر أخذت تشعر بأن الكسل يضيّق عليها أنفاسها، وأن عليها القيام بعمل ما. فهي لن تقضي حياتها عاطلة وبدون أي عمل وإنتاج كما هي الحال مع زوجة أبيها.

وعلى الرغم من اعتراضات مارين، بدأت هيلين بقطع الأشواك والنباتات البرية التي تكاد تغرق الحديقة وتخفي معالمها.

ظهرت نورين على شرفة المنزل ونادت على هيلين قائلة:

«أنت مطلوبة على الهاتف. وهي بالتأكيد من صديقتك الصغيرة».

جولييت! شعرت هيلين فجأة بموجة من السعادة والسرور وهرعت الى الداخل وقد نسيت استياءها وانزعاجها. إلا أن الابتسامة تجمّدت على شفتيها عندما سمعت الصوت الخائف والحزين يقول:

«آه يا هيلين كم أنا سعيدة بأنك في المنزل. لقد تهت ولا أعرف كيف أعود. هل بإمكانك...».

«تهت؟ ماذا حدث يا جولييت؟ هل أنت بخير؟»

«نعم ولكني ضللت الطريق الى البيت، ووالدي...».

«أين أنت؟ وماذا حدث لك بالضبط؟»

«أنا هنا وقد نسيت الموعد الذي يمر به الأوتوبيس. أنا خائفة يا هيلين لأن والدي سيغضب كثيراً إذ لم يجدني في البيت عندما...».

قاطعتها هيلين بلهجة صارمة لتحدّ من مخاوفها:

«أين أنت بالضبط؟ يجب أن أعرف بالتحديد مكان وجودك».

«الداندنو، منطقة انتاج السكّر».

«الداندنو! ولكنها تقع على الجانب الآخر من الجزيرة! الفهم...».

«لقد نسيت أن الأوتوبيس يأتي من هنا ولكنه يعود من طريق آخر، ولا أظن أن بإمكاني السير هذه المسافة الطويلة».

فهمت هيلين تماماً المشكلة التي وقعت فيها جولييت. فلسبب ما أتت الطفلة الصغيرة إلى الداندنو، التي تبعد عن منزل والدها حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً، ثم نسيت موعد الأوتوبيس ومساره الصحيح. وأقرب موعد للعودة بطريق جولييت لن يكون قبل الثالثة مساء. وإذا تأخرت حتى ذلك الحين فإن جستن فانت سيجنّ قلقاً على ابنته.



«هيلين ارجوك، كيف سأعود الى البيت قبل وصول والدي؟»

ثم أضافت قائلة بصوت أصبح أقرب الى الهمس منه الى الحديث العادي:

«هل هناك أي طريقة لمساعدتي؟ إنه سيغضب كثيراً وربما أنزل بي عقاباً صارماً».

«لا أدري كيف... مهلاً يا حبيبتي لحظة لأفكر بطريقة ما».

وتساءلت هيلين بحيرة وبحزن عن أفضل وسيلة لحل هذه المشكلة. ترى هل بالإمكان الحصول على سيارة أجرة في هذا الوقت؟ أم أن... ووقفت عليها نورين تفكر ما تسألها عما يزعجها ويجعلها عابسة وحزينة، فقالت لها هيلين أن جولييت موجودة في الداندنو ولا تعرف كيف تعود. ضحكت نورين بسخرية وقالت:

«وماذا تقولين؟ ألا يجد الوالد الحنون لعائلته الى البيت، أم أن سيارته ليست كبيرة وفخمة بما يكفي؟»

«لقد حاولت أن تلعب كالكبار الذين يعرفون طريقهم بمفردهم وهي الآن تكاد تموت خوفاً وهلعاً. بالله عليك يا نورين ألا تعرفين سائق سيارة أجرة في الداندنو يمكنك الاتصال به والطلب منه لإحضارها؟»

«أنت لست بحاجة الى سيارة أجرة أو الى الاتصال بأحد».

قالت نورين جملتها هذه بحنان وهي تضع مفاتيح سيارتها أمام هيلين التي تناولتها بامتنان وبلهفة قبل أن تقول لجولييت بلهفة:

«سآتي إليك حالاً، فأين ستكونين بالضبط؟»

«سأقف على الجسر. لا، إنه قريب من منطقة معامل السكّر وإذا صدف أن مرّ والدي من هنا...».

توقفت جولييت لحظة ثم تابعت حديثها:

«سأكون قرب الشلال، وبالتحديد حيث توجد الزوارق والقوارب. أرجوك أسرعي يا هيلين».

وبعد أن وعدتها بذلك وأوصتها بألا تذهب بعيداً، نظرت هيلين الى نورين وقالت لها:

«هيا بنا، فهي طفلة صغيرة ومن المؤكد أنها خائفة حقاً».

«آسفة يا حبيبتي، فمسألة الإنقاذ هي مهمتك بمفردك. وقتي لا يسمح

لي. وابي سيتصل بي حوالي الثامنة لنذهب الى حفلة عشاء في الهواء الطلق. واذا ذهبت معك فقد لا اعود قبل الثامنة. ثم، انت تعرفين قيادة السيارات، أليس كذلك؟»

«نعم قليلاً، ولكن. . . ولكن تعلمت قيادة سيارة ليزا الصغيرة في العام الماضي. اما سيارتكم الكبيرة فان قيادتها قد تكون صعبة ومختلفة».

«واذا تعلمت على قيادة احدى السيارات فلن تصعب عليك سيارة اخرى».

ثم ضحكت نورين وقالت لها بمرح وتشجيع:

«ولا تقلقي، فليس في جزيرتنا مواقف معينة للسيارات او اشارات ضوئية او تقاطع طريق خطر. اتكلي على الله، وحاولي الانتباه قدر الامكان الى الشاة».

صعدت هيلين الى السيارة بعدما اعطتها نورين بعض التعليمات والتوجيهات. وبصعوبة تمكنت هيلين من اخراج السيارة الكبيرة عبر البوابة الخارجية لتنطلق بها ببطء وحذر بالغين. وكانت كلما قطعت منعطفاً قاسياً او مفترق طريق مزعجاً تتنهد مرتاحة ومسرورة وكأنها انهت خطوة رتيبة في مهمة خطرة.

واخيراً، وبعد جهد وعناء، وصلت هيلين الى المكان المتفق عليه فأوقفت السيارة وبدأت تجول بنظرها في تلك المنطقة النائية بحثاً عن جوليت. وما هي الا لحظات حتى اقتربت الطفلة الصغيرة من احد جانبي الطريق والقت بنفسها بين ذراعي هيلين باكية وقائلة بلهفة:

«شكراً على حضورك يا هيلين. لقد ظننت انك لن تأتي ابداً. كم الساعة الآن؟»

«انها. . . »

وتطلعت هيلين لا شعورياً الى معصمها لتتذكر فجأة انها نسيت ساعتها في البيت.

«انها تقارب السادسة والنصف على ما اعتقد».

ذعرت جوليت وقالت بخوف:

«سيصل أبي قبلي الى البيت. أنا متأكدة من ذلك. وابي سوف. . . ».

اوقفتها هيلين عن الحديث واخذتها بيدها الى السيارة قائلة لها بصرامة



وتأنيب:

«لقد ارتكبت غلطة كبيرة لابتعادك هذه المسافة الطويلة عن المنزل، خاصة أن والدك منعك من التجوّل بعيداً اذ كنت بمفردك».

شعرت الطفلة الصغيرة بالخجل وقالت بلهجة الاعتذار:

«اعرف ذلك. الا انه لم يكن لدي ما افعله اليوم. وابي لا يسمح لي بالسباحة وحدي. وقد ضجرت من اللعب بمفردي فأقنعت نفسي بركوب الاوتوبيس والبقاء فيه حتى عودته الى المحطة القريبة من البيت».

تأثرت هيلين لما تواجهه صديقتها الصغيرة. فهي تشعر بالوحدة والسأم، ووالدها يغيب عنها مضطراً معظم النهار. فمن الأكيد انها تصبح متسلطة وحزينة في الوقت نفسه.

«ويقول ابي انه سيكون مسروراً عندما اعود الى المدرسة. الا ان ذلك لن يتم قبل اسبوعين من الآن، ولا اعرف كيف سأشعر خلال هذه الفترة».

لم يصدر عن هيلين اي رد فعل على ما قالته جوليت اذ انها كانت تتخيل انواع القصاص التي قد يمارسها فالوريت على ابنته الصغيرة اذا علم بما قامت به. ومع انها مقتنعة تماماً بأنه يحب جوليت الى درجة كبيرة، فهي شبه متأكدة من انه قد يضربها اذا قرر ان ذلك هو القصاص الصحيح. مسكينة جوليت! لقد عانت كثيراً لتنجح في التعرف الى ابيها وهي ترى الآن بعد بضعة ايام فقط ان الأمور ليست على الاطلاق كما تمنّتها وأرادتها.

فجأة، سمعت صوتاً قوياً وتحولت السيارة قسراً الى جانب الطريق. يا لتعاستهما، لقد ثقب احد الاطارات. نزلت هيلين وجوليت من السيارة وفتحتا الصندوق لجلب الاطار الاضافي والعدّة الخاصة بتركيبه.

شعرت هيلين بالتعاسة لأنها لا تعرف شيئاً عن ابدال اطار بآخر وكذلك لأن اي تأخير اضافي سيزيد من مشكلة جوليت. مضت عشر دقائق قبل ان تتمكن من نزع غطاء الاطار ووضع الرافعة في مكانها الصحيح. وبعد ربع ساعة من ذلك تمكنت من سحب الاطار المثقوب. وعندما تساءلت جوليت للمرة الخامسة عن الوقت، صرخت بها هيلين بامتعاض:

«بالله عليك يا جوليت، الا ترين اني اعمل قدر استطاعتي واكثر».

ابتعدت عنها الصبية الصغيرة. وقالت لها بتأثر انه ليتها تستطيع، وتمنّت لو كان بامكانها مدّ يد المساعدة. ولم تكمل جملتها واغلقت تحدّق

بالسيارة البيضاء الضخمة القادمة نحوها. استدارت هيلين لتعرف سبب الصمت المفاجئ، فشاهدت جستن فالونت يوقف سيارته على بعد بضعة امتار ويمشي باتجاهها.

«مساء الخير يا آبي. انظر، لقد تعطلت منا السيارة».

أجابها والدها بإيجاز ثم أشار الى هيلين بالابتعاد وبدأ بتركيب الاطار الاضافي. وخلال دقائق قليلة انتهى جستن من عمله وراح جوليت بعصبية ليضع الاطار المثقوب في صندوق السيارة. وفي هذه الاثناء دخلت جوليت السيارة القديمة قائلة لوالدها:

«لقد تنزهت مع هيلين بالسيارة، واستمتعت كثيراً طوال الوقت».

لم يصدر من جستن اي تعليق كما انه لم يبد من وجهه اي انفعال. واكتفى باقفال الباب الذي صعدت منه ابنته وقفل راجعاً بدون التفوه بأي كلمة. وتساءلت هيلين بصمت غاضب عن الاسباب ردة فعلها التأثر من تصرفات فالونت. فمن الواضح انها انه لا يستلطفها ولا يهتم بها اطلاقاً. اذن فلا داعي للاهتمام او الانفعال.

انطلقت هيلين بالسيارة القديمة باتجاه منزل فالونت. وطوال الوقت حافظ جستن على مسافة عادية وراءها. وعندما وصلت السيارتان الى باحة المنزل ونزل الرجل وابنته منها، تطلع جستن نحو جوليت وقال لها بحدة:

«جوليت، اشكري هيلين لأنها اخذتك للنزهة».

نفذت الفتاة الصغيرة والدها الذي صرفها باتجاه البيت، بعد توجيهها كلمة شكر لطيفة لهيلين. وبعد ان ابتعدت جوليت بما فيه الكفاية، اقترب جستن من الآنسة الموجودة داخل السيارة القديمة وقال لها:

«يا آنسة سلفاين كم اقدر لك اهتمامك بجوليت وتكريسك وقت فراغك لتسليتها. ولكني افضل بأن تكون لديك اللياقة الكافية لابلاغي انا بالذات عندما تقررين ابعادها عن البيت معظم ساعات النهار».

صعقت هيلين لهذا الهجوم القاسي، والتجني على تصرفاتها وكانت على وشك الرد عليه باللهجة نفسها عندما تذكرت نظرات التوسل التي وجهتها جوليت اليها قبل دخولها الى البيت. فاكتفت بالقول:

«انك تصور الوضع وكأني اختطفت جوليت».

«واعتقد ان مديرة منزلي وصلت الى هذا الاستنتاج عندما وصلت انا الى



البيت».

«واصابة احد الاطارات كانت امراً غير متوقع».

«هذا صحيح، ولكن كان بامكانك ابلاغنا بطريقة ما عن وجهتكما».

«لم تكن لدي النية ابداً للتأخر هكذا».

«وبتأسيف الى اين ذهبتما؟».

سألها جستن بغضب، فأجابته هيلين ببرودة وغموض:

«هنا وهناك. فأنا لا اعرف بعد جميع مناطق الجزيرة من حيث الاسم والموقع».

«ولكنك اخذت جوليت. وهذا سبب آخر لاضافة قليل من التعقل والتعقل في المرة القادمة».

«وبعد كل الذي حدث لا اعتقد انه ستكون هناك مرة قادمة يا سيد فالونت. الا انه يؤسفني انك اصبت بالقلق. والآن يجب ان اعود فكيف استدير بالسيارة؟».

«لا امكانية للاستدارة هنا، بل عليك الرجوع الى الوراء كما اتيت».

الرجوع كارثة بالنسبة الى هيلين. ارتبكت، ضغطت على مفتاح المساحة عوضاً عن مفتاح النور، وزحزحت المرآة بدلاً من ان تفحصها. وفي تلك اللحظة تأكدت من صميم قلبها لو انها لم تلتق جوليت او والدها الذي يتعذر التفاهم معه.

فتح جستن باب السيارة من جهة هيلين وأمرها بالتنحي قليلاً عن مقعد السيارة. كانت تلك الخطوة غاية الاذلال المشين، وقد اضاف اليها جستن جملة قاسية بعد اخراجه السيارة ونزوله منها:

«في اعتقادي انك بحاجة الى بضعة دروس في قيادة السيارات يا آنسة سلفاين. تصبحين على خير».

شعرت هيلين لدى عودتها الى المنزل بأنه شبه مهجور. فالصالة مظلمة، والصمت مطبق، والحركة معدومة. وعادت الهموم تتراكم في رأسها، واخذت تمشي في تلك القاعة من دون ان تضيئها.

لقد كانت فترة وجيزة تلك التي شعرت فيها بالحاجة للحصول على سيارة والتنقل بها لاكتشاف جميع مناطق الجزيرة. وبالطبع، فان جستن فالونت هو السبب الرئيسي في حثها على عدم اخذ السيارة مرة اخرى، مع انها

كانت نوري استخدامها عدة مرات لاستكشاف الجزيرة. وللمرة الأولى منذ وصولها الى تلك الجزيرة في المحيط الهادئ لم تحسّ أي قلق لضياعها. فالعطابة هي نفسها لم تعجب الأستاذ وكيلها توجه.

وفكّرت هيلين بحزن لو انها ظلّت في لندن بين تلك بتهويمها، عوضاً عن الهروب من الواقع مهما كان مراً. ولكنها قالت لنفسها بتحسّر ان عالمها هي، اي عالم الباليه، لا يقبل زوجة عرجاء.

وقفت هيلين واخذت تسير في القاعة على غير هدى، الى ان وصلت الى اسماعها نغمات موسيقية جميلة من احدى غرف المنزل. بدأت ترقص وتتمايل على تلك الانغام على الرغم من الألم الذي بدأ يتسرب الى رجلها. تجاهلت اوجاعها وعدم قدرتها على الرقص بدقة وبرونق الأصول. لا من احد يراها ترقص الآن وما من احد سيشاهد رقصها مرة اخرى. انتهت القطعة الموسيقية فنزلت على ركبتيها ومدّت يديها الى الأمام تماماً كما كانت تفعل في رقصات الباليه.

«رائع، رائع».

كلمة قيلت مكررة بحماس، رافقها تصفيق حاد. ايقظت هيلين من احلامها واعادتها الى عالم الواقع والخشية. كيث ماثيوز كان يقف على الشرفة ويهم بدخول القاعة وهو يقول:

«ما رأيك بجولة اخرى؟ انك حقاً رائعة».

«انا آسفة، لم اعرف ان احداً يراقبني».

«شاهدتك قبل وصولي الى الباب الزجاجي. بالمناسبة كنت اظن انك غير قادرة بتاتاً على الرقص».

«هذا صحيح، اذ لم اعد قادرة على ممارسة الأدوار التي كنت أقوم بها قبل الحادثة».

ابتسم كيث بشيء من السخرية وقال:

«أوه ذلك النوع التقليدي القديم من الرقص والقفز في الهواء. لا يا هيلين، أنا مهتم اكثر بما شاهدته قبل لحظات».

«أتسمّي هذا رقصاً؟».

برقت عيناه وقال لها مبتسماً، ولكن بلهجة جدّية:

«اعتقد ان بامكاني استخدامك، فهل توافقين على العمل لدي؟».



«ولديك؟ ماذا يمكنني ان افعل؟»

«ترقصين، وهل هنالك شيء آخر؟ أرجوك يا صغيرتي، لنكن اكثر واقعية وذكاء. استعراضات قصيرات كل ليلة في النادي. رقصات كالتي رقصتِها قبل دقائق ولكن اسرع قليلاً. أفهمتِ؟»

اجابته هيلين بالنفي وهي شاردة الافكار ولا تصدق انها تسمع ما سمعت. ترقص! وفي ناد ليلي! وبعد انتهاء رقص الباليه الراقي؟ كلا وألف كلا.

ضحك كيث ماثيوز لدى سماعه الرفض القاطع ومشاهدته الدهشة والصدمة على وجهها وقال:

«انا لا أعرض عليك عملاً مشيناً. وكما تعلمين يا آنسة، فأنا أدير ملهى رصيناً».

«نعم، اعلم ذلك. كان كما لو اني ... ما قصدته هو اني غير قادرة. اضف الى ذلك، ان رجلي تؤلمني كثيراً عندما ارقص».

«فكّري ملياً بالموضوع. يوجد لدي الآن احد افضل المطربين ولكن الزبائن بدأوا يضجرون. جرّبي المهنة لمدة اسبوعين فقط وبعدها تقررين؟».

«وتقرر مدته؟»

قالتها ماريز وهي تدخل بحيوية وشيء من الغطرسة. شرح لها ماثيوز عرضه بايجاز، فبدا عليها اولاً التعجب والدهشة ثم التشكك واخيراً السرور:

«لمَ لا يا حبيبتي؟ هذه فرصتك لتعلم بعمل ما هنا. جرّبيها».

وعندما قالت له انها غير قادرة على ذلك اطلاقاً، تركت كيث ... وغادر المنزل بصحبة ماريز. ومع ان هيلين طردت هذه الفكرة كلياً من رأسها، الا ان ماريز فاتحتها بها بمجرد جلوسها الى طاولة الفطور. وقالت لها:

«لا ادري لماذا لا ترقصين. انها فرصة رائعة لك يجب ان تفرحي بها».

تدخّلت نورين معترضة على كلام امّها:

«انها غير مسرورة بهذا العرض، وأنا اعتقد انها محقة كل الحق. فكيف ستشعرين وانت تعرضين نفسك امام جمهور حاشد كل ليلة؟».

نظرت اليها هيلين بمحبة وشكر، ومستغربة في الوقت ذاته هذا الموقف غير المتوقع من نورين الا انها وقفت معها ضد ابيها.

«هذا صحيح يا ابي، ولكن كنت متأكدة سيعجل لنا العطاء. . . .».

قاطعتها نورين بعصبية وحدّة:

«المال، المال، انه دائماً المال. آه، لو كان بامكانك العيش بدونه».

«اياً كان رأيك، فانا لا ازال اعتقد بأن هيلين ستكون سخيفة ان هي اضاعت هذه الفرصة. انها . . .».

نهضت هيلين بهدوء وانسحبت من الغرفة. فاسلوب الحديث والعرض غير المقبول الذي تقدم به كيث، اعاد اليها لجة السؤال الذي حاولت ان تتجنبه: هل هي راغبة حقاً في جعل سلمنتر موطنها الدائم، وهل تريد لنفسها ان تسكن بصورة دائمة مع زوجة ابيها؟

سارت نحو الشاطىء، وجلست في ظلال اشجار النخيل، واخذت تتأمل امواج البحر علها تجد لها الجواب الصحيح. هل تبقى في سلمنتر ام تعود الى انكلترا؟ ما من انسان يقدر ان يعيش على الذكريات او يبني مستقبلاً جديداً على الندم. هل تعود . . . ام تبقى؟

مضت دقائق قليلة وهيلين سابحة في بحر التأمل والتفكير. وفجأة شاهدت شخصين يسيران على الشاطىء، وقد تقدم الصغير منهما لالتقاط شيء ما، في حين توجه الكبير نحوها. وما هي الا لحظات حتى كان ذلك الرجل، جستن فالوتن، يقف قربها ويقول لها بدون القاء التحية:

«كنت في طريقي الى منزلك للتحدث معك».

نظرت اليه هيلين ولم تتمكن من اخفاء مشاعر السخرية والاحتقار التي عكستها عيناها. الا انها ظلت صامتة، فتابع حديثه قائلاً بهدوء:

«لقد سمعت للتو الحقيقة الكاملة لما حدث امس. ارجو ان تتقبلي اعتذاري عن التفكير الخاطئ، الذي صدر عني بتسرع وبدون روية».

لم تتغير نظرات هيلين القاسية ولم تتبدل ملامحها الغاضبة، فسألها جستن بحدة:

«سامحك الله، لماذا لم تخبريني القصة كما حدثت؟».

«اعطني سبباً واحداً يدفعني للشرح والتفسير».

«لأني اكره ان تصدر عني افتراضات خاطئة».



«ما تعنيه هو تلك فكرة الوقوع في الخطأ ومن ثم الاضطرار الى تقديم الاعتذار».

«وعكس ذلك هو الصحيح. فانا اسفة جداً ان تسببت باقلاق راحة انسان لا ذنب له».

وقفت هيلين غاضبة وقالت له وهي تهمّ بالذهاب:

«معلوماتك يا سيد فالوتن، ليست لتقلق راحتي البتة. هناك امور اخرى اكثر جدية تقلقني وتشغل بالي».

«ابي، ابي، تعال الى هنا. وجدت هذه الـ . . .».

شاهدت جولييت صديقتها هيلين فهرعت باتجاهها وهي تتابع جملتها:

«انه سرطان بحري كبير لا يقدر على العودة الى الماء، وانا خائفة من ارجله العشرة و . . .».

استدار جستن بعصبية نحو ابنته وقال لها مقاطعاً:

«جولييت، اذهبي والعبي لوحدك مدة خمس دقائق فقط. فانا اريد التحدث مع هيلين».

ودهشت الفتاة الصغيرة لهذا التصرّف، ثم تحولت دهشتها الى ابتسامة ساخرة وقالت لوالدها:

«حسناً ساذهب. بالمناسبة، ألست في صدد تقديم اعتذار رسمي لـ . . .؟».

نهرها والدها، فانقلبت ابتسامتها ضحكة ملتوية وركضت مبتعدة عنهما. وعندما تأكد انها اصبحت بعيدة عن [illegible]، التفت ناحية هيلين وقال لها:

«اخبريني بصراحة، هل كنت حقاً تعتقدين اني سألعب مع جولييت دور الاب القاسي واني سأضربها ضرباً مبرحاً؟ وهل اصدقك فعلاً بأنها خائفة مني لدرجة الرعب؟».

«لا، لم تكن هكذا بالضبط، ولكن جولييت كانت خائفة جداً عندما اتصلت بي من الفندق. وعليه . . .».

قاطعها جستن بابتسامة رقيقة وقد تبدلت ملامحه القاسية:

«وعليه، فقد صدقت في لعبة اخفاء الحقيقة عني».

ثم تحولت نظراته الى جولييت، التي خلعت حذاءها واخذت تمشي في

الماء، وقال هيلين بدون ان يلتفت اليها:
«وبالرغم مما حدث، فأنا ممتن لك جداً لاسراعك بمساعدتها، مع انني كنت اظن لو انها اتصلت بوالدها عوضاً عن الاتصال بانسانة غريبة تكاد لا تعرفها».
«ان محاولة انتقاء الاخطاء من الأهل هي ردة فعل طبيعي لدى جميع الأطفال».
ابتعدت عنه هيلين قليلا رافضة الاعتراف بالانزعاج الذي اصابها لدى وصفها بالغريبة. نعم، انها غريبة بالنسبة اليه. أما جوليت فهي . . . وفي تلك الأثناء شاهدتها تركض نحوها وتطالبها بالسباحة معها. قالت لها هيلين انها، على عكسها، لا ترتدي ثياب البحر. ردّت عليها صديقتها الصغيرة باصرار وحماس:
«الا يمكنك احضارها من البيت؟ سأذهب معك ان اردت، فأنا لم اشاهد بيتك بعد. هيا بنا».
تدخّل جستن في الحديث ووجّه كلامه الى هيلين قائلا:
«لست مضطرة لقبول ذلك. فجوليت ناضجة بما فيه الكفاية لتتقبل النفي بين الحين والآخر».
هل يريدها ان ترفض؟ هل كانت تتخيل بأنه لا يريد ولا يشجّع قيام مثل تلك الصداقة اللطيفة التي بدأت تنمو بسرعة بينها وبين ابنته الصغيرة؟
نظرت هيلين الى وجه جوليت فأحزنتها النظرة الكئيبة وخاصة عندما سمعتها تهمس قائلة:
«الا تريدين مشاركتي في السباحة؟».
«بلى بالطبع».
قالتها هيلين بروح من التحدي لجستن، ولكنها فوجئت به يقول بهدوء:
«إذن لا! كم يؤلمني الانضمام اليكما عوضاً عن التوجه الى عملي».
«دعنا يا ابي، و . . .».
«وربما انضم اليكما في يوم آخر، عندما يعود روجر من عطلته. ولكن قبل ذهابي الى العمل الآن أود ان اوصيكما انت وهيلين بالانتباه الى مسألة هامة جداً. ففي بحار المناطق الاسترالية مخاطر عدة لا تعرفان عنها شيئاً».
وبعد ان أعطى تعليماته وملاحظاته، نظر الى ساعته وقال لجوليت:
«يجب ان اذهب الآن. سأطلب من أبي ان تحضّر وجبة اضافية. أليس كذلك يا حبيبتي؟»
ثم تطلع جستن نحو هيلين وقال بمرح:
«ان افكار ابنتي بالنسبة الى الضيافة لم تتقدم او تتطور بعد. وهي تقتصر على اقتسام قطعة حلوى او زجاجة من العصير».
وبتحوّل مفاجىء، ادهش هيلين وجوليت على السواء، ودّع جستن ابنته قائلا:
«من الآن فصاعداً يمكنك الاتفاق مع هيلين على البرنامج الذي تريدين، وابلاغ أبي عندما تقررين دعوة ضيوف على الغداء او العشاء».
هل قال يا جستن؟ هل كانت جملته تلك دعوة مفتوحة؟ وتصارعت في افكارها الدهشة والنقمة معاً. فهل تضحك بمرارة ام تسأل بسخرية عن اسباب تكريمها الى هذا الحد؟ وشدّتها جوليت ، بعدما قفزت معها. وعندما تطلّعت وراءها كان جستن لا يزال واقفاً وقد حيّاها بمجرد مشاهدة وجهها ثم قفل عائداً نحو الفيلا.

# ٥-بكاء قرب الشجرة

خلال الأيام التي تلت ذلك اللقاء الودي مع جستن اللويت، شعرت هيلين لمرة الأولى منذ وصولها إلى الجزيرة بشيء من السكينة وراحة البال.

لقد أصبحت جولييت تستهلك جزءاً كبيراً من وقتها. ولم يخطر ببالها أن القلق الذي تشعر بها أثناء وجود الطفلة الصغيرة معها، تبين لها على الأرجح أن أحد أسباب ذلك السعادة تنبع من حاجتها هي لتعويض ما فاتها من الشاطئ. . .

وكان أفضل ما قامتا به سوية الصناديق الصغيرة المغطاة بالأصداف الجميلة الملونة، والتي كانتا تهديان منها لكل من يظهر اعجابه بها مثل آل ولتر وبورين وزوجة القوميسير العام وغيرهن. وبعد ظهر أحد الأيام، دخل جستن إلى البيت وقبّل ابنته ثم جلس قربها وقال لهيلين:

«كيف كان انتاجكما اليوم من صناديق الاصداف؟

«لقد تحول إلى انتاج العطورات».

قالتها هيلين وهي تشير بيدها إلى أحد الصناديق المليئة بالزهور العطرة الموجودة أمام جولييت. وعندما نظرت الفتاة الصغيرة إلى والدها وبدأت تشرح له عن بعض الأزهار وتسأله عن البعض الآخر. وكان جستن طوال الوقت يستمع بتهذيب أو يجيب بلطف وحنان. وأخذت هيلين تتأمله وتتعجب من هذا التحول الكلي الذي طرأ على معاملته لها. فقد اختفت من تصرفاته تماماً تلك العنجهية الفارغة وذلك التصرف التاسي. ومع ذلك فانها لا تزال غير مرتاحة إلى تعليقات الصبيانية الكثيرة التي تواجهها منه هي وجولييت على السواء. اضف إلى ذلك التناقض بين الانزعاج



والانشراح الذي تشعر به كلما قابلها أو تشاجر معها، شأنه في ذلك شأن ابنته الصغيرة.

في تلك الأثناء سمعت هيلين صديقتها الذكية تقول:

«لقد قررت أن لا نزعج أنفسنا بالعطورات، فلدي فكرة أفضل، لبني خيمة تكون كمنزل صغير وتستخدمها للتسلية والدراسة فروضي».

«انها فكرة ممتعة يا حبيبتي، ولكنني متعب جداً الآن وعليه سنبحث الموضوع في وقت لاحق. بالمناسبة، ما رأيك في الذهاب إلى المطبخ والطلب من طوم أن يحضر لنا كمية كبيرة من العصير».

قامت جولييت وأدها على الفور وتوجهت لاحضار العصير. وأثناء ذلك ألقى جستن رأسه إلى الوراء، وسأل هيلين عما إذا كانت جولييت تسبب لها التعب والارهاق نظراً لحركتها الدائمة وتطفلها المستمر. وعندما اجابته بالنفي، ابتسم وقال:

«لم أشك في ذلك، فأنت لا تزالين في مقتبل العمر وتتمتعين بحيوية الشباب. وأراهن أنك لست أكبر من جولييت إلا بحوالي سبع سنوات».

وجهت اليه هيلين نظرة ثاقبة وقالت بكبرياء:

«لا بل أحد عشر عاماً تقريباً».

«هذا ليس فارقاً كبيراً خصوصاً وانكما دون العشرين. انتظري خمس عشرة سنة أخرى وقولي شعورك آنئذ».

وعندما لم يصدر عنها أي رد فعل، تطلع نحوها وسألها:

«ألا تشعرين بأن جولييت تفرض نفسها عليك لدرجة الانانية واتساقك؟».

«معاذ الله. أبداً».

«يبدو أنها تأخذ جزءاً كبيراً من وقتك. أنا اعلم انك تفضين هنا عطلة للراحة والنقاهة، ولكن لا تدعيها ترهقك بالمطالب والرغبات الكثيرة».

وليس لدي ما اشكو منه على الاطلاق. فجولييت قنوعة جداً. واذا كانت هناك من مطالب فانها صادرة عني أنا وليس عنها. وكل ما أعرفه انني ارتاح جداً لوجودي معها».

وعندما نظرت إلى عينيه وشاهدت ما تصورته في بادئ الأمر قلقاً وانزعاجاً، قالت له بلهجة من يدافع عن نفسه:

«فلماذا تعلقت صداقتنا الى هذا الحد؟ انك لم ترد أبداً ان تنشأ علاقة كهذه بيننا، أليس كذلك يا سيد فالونت؟».

تنهّد جستن وأبعد نظراته عنها قائلاً:

«لا ليس الأمر هكذا على الاطلاق. واعتقد انك اصبحت تعرفين بما فيه الكفاية مادمتِ بلّغتِ الأول عرضاً عن السيد فالونت. أنا اعترف اني كنت متسرّعاً في تقييمي الأول لك. ولكني أكون صريحاً معك، فأنا اعرف الصعوبة التي ترافقها زوجة ابيك وابنتها. واشعر بأني لا أميل أبداً الى طريقة حياتهم ومعيشتهم. وبالتالي اعتقدت انه لن تكون لديك القدرة او الوقت للاستمتاع بالرغبات البسيطة الطفلة في الثامنة من عمرها. كذلك لم ارغب في ان تصبح جوليت تسلية مؤقتة لك، تنسيها جانباً عندما تبدأ حياة اللهو مع كيث ماتون وجماعة سندالاه.

توقف جستن لحظة عن الكلام ثم تابع حديثه متسائلاً:

«أفترض اني اطمع بالكثير اذ توقعت منك فهم الموضوع كما أفهمه أنا».

أجابت هيلين بهدوء وبلهجة الواثق من نفسه:

«ان افتراضك ليس في محله. فأنت لم تفعل سوى تأكيد ما كان واضحاً جداً بالنسبة الي».

ومضت الى القول بمرارة وأسى:

«لقد انقضيت الاسبوع الأول لوجودي هنا بترف وبذخ ولهو، وبالتأكيد من اني لم استمتع به اطلاقاً. فكري كرّست جزءاً كبيراً من حياتي للمسرح، لا يعني انني احب التنقل ليلاً الى حفلات تستمر حتى الفجر، او ان اقف مع اللاعبين وراء المرح الصاخب والمجون. لقد كانت مهنتي اكثر صعوبة من اي شيء آخر، ولكنني احببتها واخلصت لها».

«نعم لقد بدأت افهم. انا آسف جداً. أقولها لك بإخلاص، اني اعرف الآن كم كنت مخطئاً بحقك يا هيلين».

«ولكن ماريز كانت تحاول ان تكون طيبة معي مستخدمة الاسلوب الوحيد الذي تعرفه. لقد كانت فكرتها هي ان آتي الى سلمنس، واعتقدت انها انا الحاظي بجو صاخب من التسلية المتواصلة، فانه لن يظل لدي الوقت الكافي للتأمل والتذكر».



«لم ينجح هذا الاسلوب، أليس كذلك؟».

هزّت هيلين رأسها وقالت بلهجة حزينة تنم عنها عينان زائغتان:

«لم يعد في حياتي الآن أي هدف لأعمل على تحقيقه».

ظل جستن صامتاً لبعض الوقت ثم سألها بهدوء:

«ماذا ستفعلين؟ هل ستعودين الى انكلترا؟».

«كلا، ليست لديّ اية رغبة في العودة الى انكلترا، خاصة انه ليست لديّ القدرة على تحمّل نفقته».

«وهل تعتقدين أنك ستجدين هدفاً لحياتك هنا؟».

وتابع جستن كلامه بشيء من التحدّي الايجابي:

«أنت شابة في مقتبل العمر وقادرة على البدء من جديد، بهمة جديدة وحياة جديدة. والأرجح ان الحياة في انكلترا ستصبح لك مجالاً أكبر بكثير من حياة الكسل واللامبالاة التي ستواجهك هنا».

«لا، لا، لن اعود، لن اعود».

وأطلّت جوليت ومعها عصير الفاكهة المثلّج، مما افسح المجال امام هيلين لتخفي دموعها بسرعة، وتسرع لملاقاة صديقتها الصغيرة ومساعدتها. لقد انتهت تلك المحادثة مع جستن تاركة سحب جافة لانفعالاتها، او على الأقل لدفنها تحت الرماد. وشعرت في تلك اللحظة بأنها لا تريد التفكير بأي مستقبل بدون رقص الباليه، وكذلك بأي ماضٍ. لم ترغب فعل اي شيء، سوى النسيان.

لم يقم جستن فالونت بأية محاولات اخرى لبحث موضوع يبدو بوضوح انه يزعجها. كذلك ثبت ان تلك المحادثة القصيرة كانت المضايقة الأولى في اسبوع احتفظت خلالها بالشفافية والسكينة الى حد ما.

شكّل بدء ذلك الاسبوع طبيعياً وعادياً. لقد عادت الخادمة الى العمل، وماريز ذهبت الى مصففة الشعر، ونورين تخاصمت قليلاً مع راي سندالا ثم تصالحا. وكيث ماتون كان يحضر الى البيت وفقاً لاتصالات سابقة او حتى بدون توقع. وصباح السبت كانت ماريز مرحة ومسرورة اكثر من المعتاد. ولدى تناول الفطور سألت ماريز كلاً من نورين وهيلين:

«من منكما تحزر سبب فرحي؟».

«هذا لا شك فيه يا أمي انك حصلت على ثروة او كنزه».

«نعم، ولو أنك تقرأينها بوجهكم. فأنا أيتها الحبيبات سأتزوج».
توقفت نورين وهيلين عن تناول طعامهما وأخذتا تحدقان بها وتنظران الى بعضهما البعض، عندها، جلست ماريز مرتاحة وسعيدة بالاعلان الذي أذاعته للتو. ثم قالت بغنج ودلال:
«هل دهشتما؟ لقد قررنا أنا وكيت الليلة الماضية ان الوقت قد حان لكي نتزوج».
وعادت ماريز تنظر الى نورين وهيلين المشدوهتين، ثم غابت الابتسامة عن عينيها وقالت بشيء من الألم:
«ما بكما؟ أليس هناك أي شيء تقولانه؟»
كانت نورين أول من استفاق من الدهشة والصدمة فقالت:
«بصراحة، أنا لا أظن ان الموضوع جدير بالبحث».
«ولماذا هذا الكلام يا حبيبتي؟ فأنا وكيت تخطينا أيام العشق والهيام، الا ان كلا منا وحيد وبحاجة الى الآخر. هو في الخمسين من عمره وأنا في الأربعين، وكل عام يمر في حياتنا يفرض علينا بذل جهود جبارة لمجاراة التيارات الجارفة. وتأكدي يا ابنتي ان المرأة تواجه صعوبة أكبر في هذا المجال».
«حسناً، مبروك و... الى آخر ما هنالك من تمنيات. وبالمناسبة، أفضل الذهاب الى عملي بمفردي حتى لا تضطر أمي المشغولة لتأخير مواعيدها».
كانت هيلين صامتة طوال الوقت، وقد تحولت الصدمة في بادىء الأمر من دهشة واستغراب الى استياء وذهول. وفجأة شعرت وهي تنظر الى وجه ماريز الحزين، بموجة عارمة من العطف والحنان تجاهها، فنهضت من مكانها وعانقت زوجة أبيها قائلة:
«انك لا تزالين في عمر الحب والزواج، فلم لا تحبين وتتزوجين؟ أتمنى لكما، أنت وكيت، كل السعادة والهناء وأنا جد مسرورة لأجلكما».
شدت ماريز على يدها وقالت لها بارتياح:
«وهل تعنين ذلك؟ لقد كنت حائرة بردة الفعل الذي سيصدر عنك خصوصاً بعد...».
عرفت هيلين بقية الجملة بدون ان تضطر ماريز لاكمالها، وقالت لها



بهدوء:
«لا يا ماريز. كان أبي يعرف تماماً ما يعنيه البقاء وحيداً. ثم وجدك وكان سعيداً جداً معك. وأؤكد لك انه لم يكن ذلك الانسان الذي يريدك ان تقضي بقية حياتك تعيشين على ذكراه.
وأنك مثله تماماً يا حبيبتي. فلديكما التفهم ذاته والجدية ذاتها في نظرتكما الى الحياة. ولديك أيضاً هذه القوة الخفية التي كان يتميز بها. أنا أضعف منك بكثير، لأنه لا يمكنني مثلاً مواجهة خسارة كبيرة كفقدان والدي بمثل رباطة الجأش التي تحليت بها أنت».
أرغمت هيلين نفسها على الابتسام، لأنها تعرف ان أحزان ماريز سرعان ما تتبدد، وبدأت على أثر ذلك تخطط للاحتفال بزواجها من كيت. وبالفعل، فقد أعطت الخادمة تعليمات جديدة لاعداد المنزل بصورة لائقة، كما أرسل كيت خادمه للمساعدة في ترتيب الحديقة والمدخل الخارجي.
«ومتى سيتم الزواج؟».
سألها جستين ذلك بمجرد ابلاغه النبأ خلال لقائهما بعد الظهر.
«قريباً جداً حسبما أعتقد. فماريز لا تتحدث الآن الا عن الحفلة التي ستقيمها في الأسبوع المقبل. وقد طلبت مني ان انقل اليك دعوة للحضور فهل ستأتي؟».
استغرب جستين الدعوة الى حد ما ثم هز رأسه قائلاً:
«اشكريها بالنيابة عني. ولكني اشك في ان يسمح لي وقتي بذلك. فمساعدي يمضي الآن عطلته السنوية، ويوم الخميس لدي مهمة تفتيشية في روكفالد».
وتذكرت هيلين أن روكفالد جزيرة صغيرة جداً تبعد حوالى خمسين كيلومتراً عن سلستون، ويتم فيها انتاج السكر تحت اشراف الشركة التي يديرها جستين. وكانت على وشك سؤاله عن سبب اختياره ذلك اليوم بالذات، ولكنها تراجعت في اللحظة الأخيرة، لأنها تعرف نمط العمل المنظم الذي يتبعه جستين.
ولأنه ربما لاحظ خيبة الأمل على وجهها، ابتسم وقال برقة متناهية:
«وان لم أتأخر كثيراً اثناء العودة فسأحضر الحفلة. هذا اذا كانت ماريز لا

تعترض على وصولي متأخرة».

«في حفلات ماريز، لا يهم أبداً أن يتأخر هذا المدعو أو ذاك، ما دام انه لا يحضر مبكراً ويغادرها غير مستعجل».

أكدت له ذلك مع انها كانت تشعر في تلك اللحظة بأنه لا ينوي اطلاقاً قبول الدعوة. وبعد تردد وجيز سألته بهدوء:

«هل يمكنك ان تعثر لي على وظيفة ما يمكنني القيام بها؟».

«وظيفة؟ وأي نوع من الوظائف تريدين؟».

«لا أدري أي نوع بالضبط. لعلّ إيجاد شيء ما يملأ وقتي خاصة وأن ماريز سوف تتزوج و...».

«النساء لا يعملن في [illegible] إلا في مجالات التمريض او التعليم او مجالات الرعاية الاجتماعية».

«لا يهمني نوع العمل على الاطلاق ما دام انه يملأ وقتي ويضمن لي دخلاً يكفيني لاستئجار شقة صغيرة خاصة بي».

«ولنفترض انك نجحت في تحقيق ذلك، فهل تعتقدين انه سيكون كافياً لإرضائك؟».

«[illegible] ذلك تجربة أخرى كثيرة. ولا تقترح علي مرة أخرى العودة الى انكلترا. يجب ان أبتعد عن [illegible] أين كنت. وعلى الأقل سأستمر هنا طوال السنة. والشيء الأهم انه يجب علي البدء الآن بإعداد الترتيبات الخاصة بسكني».

«وهل بحثت هذه الأمور كلها مع زوجة أبيك او مع اي شخص آخر؟».

وبعد ان اجابته بالنفي، ظل جستن صامتاً ومقطب الحاجبين. ولما شاهدت القلق يزداد في نظراته، شعرت بشيء من الخجل وقالت له:

«كانت مجرد فكرة. أرجوك الا تقلق. فأنا لست إنسانة معوزة، ولكن علي الاحتفاظ جانباً ببعض مدخراتي. ومن المؤكد ان شيئاً ما سيحدث».

«وانت تتصورين يا عزيزتي أن ذلك امر بسيط للغاية. يؤسفني ان أقول لك انك على خطأ تام. فلن يحدث اي شيء، ما دمت [illegible] نورين، وأنت تريدين، أليس كذلك؟».

وقبل ان يدعها تيأس، وضع يده على كتفها برقة وحنان، وقال لها وهو



في طريقه الى عمله:

«ولا تقلقي يا هيلين. اذا كانت هناك ضرورة قصوى، فمن المحتمل ان يحدث شيء ما، كما كنت تقولين. وسوف أخبرك بمجرد حدوث هذا الشيء».

عادت الأفكار المتضاربة حول جستن تضج في رأسها، وأخذت [illegible] تتراوح بين الغضب الشديد منه لعدم قدرته على التفهم، وبين الحاجة الماسة لحل مشكلة مستقبلها بصورة فورية. لا، ليس من حقه التحدث عن الهروب. فكيف يمكن له ان يفهم معنى الاضطرار القسري لترك المهنة التي يكرس الانسان لها حياته بكاملها؟ لقد كرّست جميع ساعات يقظتها منذ كانت في السابعة من عمرها لتصل الى ما كانت تصبو اليه وتحلم به.

ولكن كيف يبدأ الانسان حياة جديدة؟ وكيف تبني هي من جديد حياة تعيد اليها ما فقدته من فرح ومرح وسعادة؟ لن تكون ضعيفة [illegible] على [illegible] مستجدة وظيفة. يجب ان يكون هناك عمل ما يمكن ان تقوم به في تلك الجزيرة. وإذا [illegible] جميع المحاولات وفشلت، فالعرض الذي قدّمه لها كيث [illegible] لا يزال قائماً، مع انه سيؤلمها كثيراً ان [illegible] الرقص في [illegible].

ولدى توصلها الى تلك النتيجة، شعرت بشيء من التحسن، وقررت تحويل انتباهها كاملاً الى المشاركة في إعداد الترتيبات الخاصة بحفلة الزواج. وأثناء ذلك وصلت نورين وبصحبتها عدة اكياس من المأكولات المخصصة للحفلات. ثم نادت هيلين وابلغتها بأن لها رسالتين من انكلترا.

هرعت هيلين لملاقاة نورين واستلام الرسالتين. الا انها شعرت بشيء من خيبة الأمل عندما قرأت اسمي [illegible] سارة. هل كانت يا ترى تأمل في استلام رسالة من كيث؟ كلا. فقد انقطع الأمل منه أمد بعيد مع انه وعدها مرة بالكتابة اليها.

اخذت الرسالتين وذهبت الى غرفتها لتقرأهما بهدوء، وقررت ان تبدأ برسالة سارة. وابتسمت هيلين وهي تفتح تلك الرسالة القصيرة، وتذكرت ان سارة كانت دوماً قادرة على التعبير عن نفسها بالرقص وليس بالكتابة. وكانت رسالتها تتلخص بأنها تشك في امكانية حصولها على دور صغير في



www.lilas.com

أحد الأفلام السينمائية. وقد شرحت ليزا في رسالتها الطويلة المشكلة التي تعانيها صديقتهما المشتركة على النحو التالي:

«مسكينة سارة، فهي لا تنام الليالي بسبب هذا المرض. لعل ترك رقص الباليه وتعب المشفى لتقوم بدور شاذ لي في فيلم حرامي من المستقبل، لمجرد اقترانها بالذهب القذر. أنا من ناحيتي لا أقلق ولا أتردد لحظة واحدة في قبول الذهب. إلا أنه ما من منتج سينمائي يبدو متحمساً لإغرائي بعقود الأفلام المتخمة بالذهب...».

ابتسمت هيلين، وقرأت بسرعة المقاطع التالية التي كانت مجرد ثرثرة وأقوال سطحية. ثم وقع نظرها على فقرة جعلت يديها ترتجف وأعصابها تتوتر:

«... ولا أدري ما إذا كنت تحب تجاوزت كل هذه التفاصيل أم تركت غارقة في أوهامك وأحلامك. كلنا نعرف أن تكون مراهقة ومستهترة إلا أنه حتى نحن أنفسنا لم نكن نظن يوماً بأنه يصل إلى حد التعلق بتلك المخرجة أيضاً. هل تتذكرينها؟ إنها ضد كل شيء، وكل إنسان باستثناء نفسها، وتعود، على الأقل في الوقت الحاضر.

بالمناسبة هل تعرفين قصة أو أخبرتك التي احتفت معك في المسرحية؟ ومع تعلقي بهذا الدور وثقتي الأكيدة بأني حصلت عليه نتيجة العمل الدائب والأفكار الخلاقة، إلا أني مستعدة لتخلي عنه فوراً إذا تمكنت من العودة...».

سقطت الرسالة من يد هيلين ارتجافاً، وعادت الذكريات والأفكار المشوشة. أه يا ليزا! ما أروع أخلاقك، فلولا مشاركتك وعطفك وصداقتك لما تمكنت من تخطية تلك الأسابيع الحزينة والتعسة على أثر الحادثة.

«هيلين؟ أين، لا تراني هنا؟ أرجوك يا حبيبتي. اسرعي بإعداد الأزهار. وربما وضعت الزهرية الزرقاء الكبيرة في القاعة، فمنظرها جميل جداً عندما يراها الناس لدى دخولهم. ثم، اعتني بنفسك للحفلة».

وبدأت الحفلة وكان لها جميع مقومات النجاح الباهر. فالمأكولات متوفرة ومتنوعة، والمختارات الموسيقية جيدة، وأكثر من ذلك فإن الضيوف مصممون على الاستمتاع بأوقاتهم. إلا أنه كلما مضت ساعة على تلك السهرة الصاخبة، ازداد وجع رأس هيلين. فالتعب والإرهاق،



والذكريات المزعجة، والحر الشديد وكثرة المدخنين، احتشدت كلها لتزيد في الطين بلة. وفجأة شعرت بذراع حول كتفيها، فاستدارت لتجد أنه جستن فالونت قد دخل إلى القاعة بدون أن تلاحظه. وتطلعت وراءها لتشاهد كيف ماثيون يقول لها بإخلاص واهتمام:

«أنت متعبة قليلاً يا عزيزتي، أليس كذلك؟».

وعندما أجابته بالإيجاب التي رافقته ابتسامة شكر وامتنان، قال لها:

«لقد أرهقت نفسك لضمان نجاح هذه الحفلة. اذهبي واجلسي قرب النافذة وسأحضر لك كأساً من العصير المثلج».

أحضر لها كوب العصير البارد فأخذت ترشفه بهدوء وتمهل، وتتأمل في الوقت ذاته تلك الغرفة ومن فيها. هل سيتأخرون كثيراً؟ هل ستزول رائحة الدخان العابقة، وهل سيتمكن أحد من تنظيف ذلك المكان؟

وما هي إلا دقائق معدودة حتى وضع أحد الساهرين اسطوانة قديمة ليتذكر الماضي، على حد قوله. وشاءت الظروف أن يكون المقطع الأول هو اللحن الرئيسي في مسرحية الباليه الشهيرة «بحيرة البجع».

سقطت الكأس من يدها وقفزت من مكانها مسرعة باتجاه الباب. لا، لم تعد لها القدرة على التحمل وعلى سماع تلك المقطوعة الموسيقية. إلا إنها كيف تهرب من نفسها، فالموسيقى تسري في عروقها. وظلت هيلين تسمع ذلك اللحن الحزين لمدة طويلة. لماذا هذا العذاب؟ لماذا؟ وماذا تفعل هي هنا في سلمنصر؟ إنها لا تنتمي إلى هذه الجزيرة الحارة والكسولة.

وتوقفت هيلين قرب شجرة قديمة وأخذت تردد لنفسها أن عليها القبول بوضعها الحالي ونسيان الماضي بصورة تامة. لقد قبلت بواقعها خلال الأشهر الثلاثة الماضية. وهي لن تعود، لا يمكن أن تعود. لماذا لا تفهم بأن حياتها كراقصة باليه قد انتهت؟ لماذا لا تفهم بأنه لن تحدث أية عجائب، وأن الوقت وحده هو الذي يساعدها على النسيان الحقيقي والنهائي...؟

«هل انتهت الحفلة؟».

استدارت هيلين بعصبية متطلعة نحو صاحب الصوت، لتشاهد جستن ينظر إليها بشيء من القلق ويسألها عما بها.

«أنا، أنا...».

وتلعثمت وانهمرت الدموع من عينيها. ثم قالت:

«لا، لا».
حاولت أن تذهب بعيداً عنه. إلا أنه أمسك بذراعها وقال لها:
«لا ليس بهذه السرعة. ما بك، أخبريني الآن».
«لا شيء، لا شيء، أرجوك...».
وابتعدت بوجهها عنه متجنبة نظراته، محاولة في الوقت نفسه اخفاء دموعها. وضغطت يده على ذراعها بقلق وحنان، وقال بلهجة واضحة:
«لا شيء؟ ما هو السبب الحقيقي؟ هل أحد...».
«لا، قلت لك لا، لم يحدث شيء. لا يمكنني أن اشرح لك. دعني أذهب، أرجوك. لن تتمكن أبداً من فهم ما حدث. لن يتمكن أحد على الإطلاق، لأن...».
«هيلين!».
قالها بلهجة صارمة لا تقبل الجدل، ثم وقف أمامها وجهاً لوجه وأمسك بكتفيها مضيفاً:
«اسمعي يا هيلين. لن تتمكني من الهرب إلى ما لا نهاية. يجب أن تواجهي هذا... هذا الواقع».
«هذا ما يقوله الجميع. ولكنه ليس من السهولة أبداً أن...».
وتلعثمت مرة أخرى، وأخذ جسمها يرتجف ويرتعش بقوة، وعادت مرة أخرى إلى البكاء. وبحنان بالغ كالثلج حاولت إزاحة يديه عن كتفيها لتهرب منه مجدداً. ولكنها سمعته يقول لها:
«يجب ألا تخجلي من البكاء. فالدموع تساعد كثيراً على غسل الأوجاع والآلام. بالله عليك يا هيلين، انسي هذا العذاب الذي يقض مضجعك، وابكي ذلك بشكل نهائي، عوضاً عن...».
وفجأة توقف عن الكلام، وحملها بين ذراعيه، وتوجه بها إلى منزله. وبعد أن أدخلها إلى القاعة، وضعها على الكنبة وأحضر لها فنجاناً من القهوة الساخنة وأمرها بتناوله على الفور. شعرت هيلين بحنين كبير على كل ذلك، خاصة أن الهدوء كان شاملاً، وجو البيت نظيفاً وخالٍ من الدخان والروائح الأخرى. وعندما شكرته على اهتمامه البالغ ورعايته المخلصة، سألها جستن:
«والآن، أخبريني عما جرى لك وكاد أن يوصلك إلى حالة الانهيار العصبي».



«لا شيء، حقاً. لقد كنت سخيفة إلى حد كبير ولم أتمكن من السيطرة على أعصابي ومشاعري. والآن، من الأفضل لي أن أعود فوراً إلى البيت قبل أن يبدأ أي منهم بالبحث عني. شكراً لك مرة أخرى، واعتذر لأني، لأني...».
«لأنك ماذا؟ وعلام تعتذرين بحق السماء؟».
«عن كوني هكذا وبهذه الحالة. كنت اعتقد أن الرجال يكرهون الدموع».
«لا ليس الأمر كذلك. فالرجال لا يحبون عنصر الابتزاز العاطفي في دموع النساء وليس الدموع بحد ذاتها».
«كنت هناك بطريقة الصدفة، وكان بإمكانك الذهاب».
«أذهب من أرضي؟».
«لم أطلب منك إحضاري إلى هنا».
«لم تكوني يا عزيزتي في وضع يسمح لك بسؤالي عن شيء، أو حتى بالاهتمام بنفسك. وهل كنت تتوقعين حقاً أن أتركك في الوضع الذي كنت فيه؟ إنك حقاً تخافين. ثم، ألا يمكن الاعتراف لي بقليل من العطف والتفهم؟».
شعرت هيلين بقليل من الخجل وقالت لجستن:
«صدقني، هذا لم تكن لدي أية رغبة بممارسة الابتزاز العاطفي. إني اكره أن يراني أحد باكية».
«أعلم ذلك. ملاحظتي كانت في غير محلها وغير وقتها. اعذريني».
وبعد أن تساءل بصوت عالٍ عن المدة التي مضت عليها منذ حادثها، وهي ثلاثة أو أربعة أشهر كما قال، أخذ جستن يحضها قائلاً:
«إنها فترة طويلة جداً وأكثر من كافية لنسيان الماضي والتفكير بما كنت ستصبحين لو لم تقع تلك الحادثة. إنها فترة طويلة جداً للبقاء في هذا السجن الذي بنته هيلين الحزينة حول نفسها. وكلما طال الوقت وأنت في وضع كهذا، صعب عليك الخروج منه والتخلص من آلام الماضي».
«وأنت تتحدث كأحد الأطباء النفسيين أو أحد الواعظين، وتحاول حل عقدة مستعصية...».
«إنك لا تزالين ترفضين. فهل تريدين التحدث مطولاً عن هذا الموضوع؟».
«وهل هناك أي شيء لأتحدث عنه؟ لقد وقعت لي حادثة أليمة أنهت حياتي المهنية كراقصة باليه. وهذه الحوادث قد تقع لأي كان. أنا عطوفة

لأني لم أمت، ولم أصبح مقعدة، أو عمياء أو خرساء. كما أني لا زلت أقدر، ولو قليلاً، على ممارسة الرقص. وهنا تكمن المشكلة، فأنا قادرة ولست قادرة. والناس يقولون إني صاحبة حظ كبير، وإني يجب أن أكون ممتنة. ولكني لست كذلك، وهذا ما يؤلمني كثيراً».

«وهل كنت تفضلين الشلل من وضعك الحالي؟».

«لا أعلم، لا أعلم. لعل من الخطأ الفادح أن أفكر هكذا».

«صحيح ما تقولين. ولكني بدأت أفهم مشكلتك بشكل أوضح. يبدو أن الرقص كان شيئاً خاصاً إلى أبعد الحدود. ويبدو أنه كان جزءاً منك. ولهذا كانت الصدمة قوية إلى هذا الحد».

وسألها كيف وقعت الحادثة، فأخذت تشرح له بالتفصيل. وعندما انتهت من رواية ما حدث، قال لها بحنان:

«وهل تعتقدين أن من الصواب سلخ نفسك كلياً عن العالم الذي كنت تنتمين إليه؟».

«لم يعد لي مكان في ذلك العالم».

«أنا لا أعرف الكثير عن عالم الباليه والمسرح والفن. ولكني أعرف أنه وقعت حوادث مماثلة أو أسوأ بكثير لعدد كبير من الفنانين ولم يمنعهم ذلك من متابعة العطاء. فالموسيقي الشهير بيتهوفن حقق معظم أعماله الخالدة وهو مصاب بصمم تام. أي أنه لم يتمكن من سماع السيمفونيات الرائعة التي ألفها».

«الأمر يختلف بالنسبة إلى الرقص».

«هل حقاً يختلف؟ أنا لا أعرف شيئاً البتة عن حياة الراقصين، ولذلك لن أجادل في هذا الموضوع. ولكنك فتاة شابة والمستقبل كله أمامك. ثم، أليس صحيحاً أن الهدف الحقيقي للنساء يتحقق في مجال فريد ومميز؟».

«وهل تعني الزواج؟».

«ألا يلعب الزواج أي دور في رغباتك المستقبلية؟».

«لا، فالزواج ليس حلاً لمشكلتي».

«إذاً فماذا تقترحين لحياتك؟ أتريدين تمضيتها في التحسر والندم على الآمال المفقودة؟ أتريدين أن تظل جروحك هكذا، غير مضمدة، ومعرضة بين الحين والآخر لكل ما يحيي الذكريات من مستودعاتها الحية من جديد؟».



ولهذا السبب أتيت إلى ستامفورد. تركت لندن لأبتعد عن كل ما يذكرني بالماضي».

«ويبدو أن عائلتك هنا ترحب بالفكرة».

هذا الشكر البالغ إلى نظرات هيلين، ثم أخبرت جستن عن حدث في حفلة ماريس، وكيف أنها لم تحتمل سماع تلك المقطوعة الموسيقية. وتحدثت مرة أخرى عن معاناتها الشديدة بتأثر بالغ، فقاطعها بهدوء، وهو يمسك يدها برفق ومودة:

«أنت محقة في كل ما تقولين. ولكن السعادة في الحياة يا عزيزتي لا تقتصر على مجال واحد. أليس هناك ليل بدون نهار. ثم لماذا تحكم مزيد؟ لا، أنت شابة في مقتبل العمر، وروح الشباب تتخطى جميع الصعاب. ولماذا أنت متأكدة هكذا من أنك لن تتمكني من الرقص بعد الآن؟ لقد شفيت رجلك بصورة طبيعية...».

«هذا ما يقوله الجميع، ما عدا الأشخاص الذين يعلمون. كلين قال لي كلاماً كهذا. وقال لي إني سأرقص مرة أخرى في المسرحية الجديدة، وعلى الموسيقى التي ألفها خصيصاً لي. ولكن لا أدري...».

وأجهشت بالبكاء وقد شعرت بأن جميع الأحزان والآلام التي عاودت طبيعتها، عادت مجدداً إلى الظهور وبصورة أعنف من السابق. وظل جستن جامداً بدون حراك لفترة قصيرة، ثم وضع يده على رأسها وأعطاها باليد الأخرى منديله المطرز قائلاً:

«كان عليك تنفيس هذه الضغوط منذ زمن بعيد، فهذا هو الحل الطبيعي لكل هذه الأحزان. امسحي واغسلي وجهك، وأنا أحضر لك فنجاناً آخر من القهوة».

شربت قهوتها بتمهل، ثم تناولت الفطيرة. وبعدما أنهتها تناولت معه فنجاناً آخر من القهوة شعرت على أثره بتحسن كبير وكأن مشكلة ما قد حلت. ثم نهضت مرتاحة وقالت له وهي تشعل سيكارة تحمل الحرف الأول من اسمه مطبوعاً بالذهب:

«دعني أخبرك عن كلين. فهذا الإنسان مؤلف موسيقي كان يسكن في شقة فوق تلك التي كنت أسكنها. التقينا في العام الماضي، أنا في الثامنة عشرة من عمري وهو يكبرني بعامين تقريباً. وكان آنذاك يتابع دراسته للتوزيع الموسيقي وكتابة الألحان. لم أعرف مثله في حياتي، ولم أشعر تجاه

الى رجل آخر كما شعرت تجاهه. ذهبنا معاً الى كل مكان وقمنا معاً بجميع نشاطاتنا، الرائعة منها والمضحكة. كان يعزف على البيانو المقطوعة التي أحبها، وكنت أرقص على الطاولة الصغيرة امامه. وكنا نتدرب على الحركات والأنغام حتى المساء.

وتوقفت قليلاً لتلتقط انفاسها وتستعيد المزيد من الذكريات. ثم تابعت حديثها عن كفين واتجاه الموسيقى. وفجأة توقفت وقالت بابتسامة حزينة:

«حديث مزعج وموضوع سخيف بالنسبة اليك، أليس كذلك؟».

«لا ابداً. فكثير من الأشخاص لهم مشاعر رقيقة كهذه، الا ان القليل منهم حظي بنعمة ترجمتها الى كلمات رقيقة ومعبّرة ومؤثرة».

واخبرته هيلين المزيد عن كفين ومسرحيته التي تعرض في لندن. ثم اخرجت رسالة صديقتها ليزا واعطته اياها ليقرأها قائلة:

«انه سينجح وسيكون له مستقبل باهر».

قرأ جستن الرسالة بتمهل وإمعان، ثم طواها كما كانت، واعادها الى هيلين وهو يسألها:

«هل كنت تحبينه؟».

«نعم».

«وهل ستقعين مرة اخرى في الحب؟».

«لا. لن احب مرة اخرى ابداً كما احببت كفين».

ابتسم جستن وقال هازئاً من تلك الجملة التي قالتها بلهجة باردة وغير معبّرة على الاطلاق:

«ماذا عن قلت ابداً يا ابنة الخمسة عشرة؟ مؤكد يا عزيزتي انك تدركين صعوبة قبولك آنذاك بالزواج من ذلك الشاب مهما بلغت درجة حبك له. لقد اشكل عليك الفرق الكبير بين مشاعرة الرغبة في تحقيق نجاح فني وبين المشاركة العمق في حياة عشقة كبير. وبالنسبة، ألم تزعجك التساؤلات الفكرية عما اذا كان بامكانك فعلاً الاختيار بين الزواج ومزاولة الرقص؟».

«نعم، فغالباً سألت نفسي عن مسألة ذلك اليوم الذي سيسألني فيه الحب وعندها سأختار لما طلبني للزواج. ولكن ذلك اليوم لم يأت...».

«سيأتي يوم تعرفين فيه الجواب الذي كان عليك اختياره لو طلبك كفين للزواج. صدقيني يا هيلين، لو كان شعورك حباً وبادلك كفين ذلك الحب،



فلا اشك في انك كنت ستكونين هنا الليلة، فماذا عن مهنتك أم لم تفعلي؟».

انسحبت عيناها وظلت صامتة. هل احبها كفين فعلاً ولكن بطريقته الخاصة؟ وللمرة الأولى بدأت هيلين تتفحص بروية علاقة كانت تنحو آنذاك انها لن تنتهي. لقد بدت هي وكفين قريبين الى بعضهما للدرجة ان ايا منهما كان يقرأ افكار الآخر. ولكن، ألا يحتمل ان يكون ذلك القرب لا بل الاتصال الفكري صداقة روحية وفنية وليس حباً كما تصورته؟ هل جستن على حق؟ هل كانت القضية مجرد اهتمامات متشابهة وتعاطف وتفهم؟ ويأس، لاحظت الحقيقة المرّة في الملاحظات الحكيمة التي أبداها الرجل الموجود قربها. الحب! ما هو الحب؟ وهل بامكانها بعد الآن ان تقارن بين تلك العلاقة الغريبة البريئة مع كفين وبين ذلك النوع من الحب الذي ذكره جستن؟ ام يا ترى كانت نورين على حق عندما قالت ان الحب هو مزيج من الميول والعاطفة والاندفاع والأنانية، او انه مجرد رغبة جامحة؟

وقفزت هيلين من مكانها منطلقة بهلع الى ساعة يدها وقالت:

«انها الثالثة فجراً. يجب ان اعود فوراً».

«سأسير معك حتى المنزل. ولكن، ولكنك ستشعرين بالبرد. ضعي سترتي عليك حتى وصولنا فلن يراك احد في مثل هذه الساعة. سأحضر سترة اخرى».

سار جستن وهيلين بصمت وبدون ان يلتفت اي منهما للآخر. وبدا أن كلاً منهما سابح في افكاره، وكأنه في عالم آخر. وتذكرت هيلين انزعاجها الذي شعرت به بادئ الأمر عندما شاهدها جستن تبكي قرب تلك الشجرة. وهي الآن ممتنة له وتريد ابلاغه ذلك. ولما اصبحا بمحاذاة الشجرة بعد بضع دقائق من السير المطبق، تساءلت بدهشة صامتة عما اذا كان حقاً قد حلها هذه المسألة الطويلة. وهلا كان يهدف حقيقة عندما عاملها بذلك الاسلوب المميز الشبيه بالصدمة الكهربائية! ولماذا اهتم بها؟ ولماذا...

قطع عليها جستن استرسالها في التفكير عندما قال لها بصورة مفاجئة:

«هل ما زلت راغبة في ان اجد لك وظيفة في مستشفاي؟».

«طبعاً، طبعاً، وخاصة بعد الذي حدث لي هذه الليلة».

«لم اقصد ذلك. هل انت مصممة تصميماً قاطعاً على البقاء هنا؟».

«نعم، واظن انني اوضحت هذه المسألة».

«وماذا يمكنك ان تعملي؟ هل تعرفين الطباعة؟ او مسك الدفاتر والمحاسبة؟ او ربما التعليم؟».

ابتسمت هيلين ووجهت له نظرة شكر قائلة:

«لا، لا يمكنني ان اقوم بأي من هذه المهام مع الأسف الشديد. فمؤهلاتي لا تمكنني لذا هنا، ما لم... ما لم اقبل العرض الذي قدمه ابت مالتون».

«لا اقترح ذلك على الاطلاق».

«اذاً، فقد فكرت بشيء هام بالنسبة اليّ».

توقف جستين عن السير ووجه اليها نظرات يسودها القلق، ثم قال لها بهدوء:

«وما رأيك في الاعتناء بجوليت؟».

«جوليت؟ انك لا تفهمني على ما يبدو. فأنا اريد ان اعيش بعرق جبيني وأن أجد شقة خاصة بي عندما تتزوج صديقتي. ليس في ذهني الآن، ووالدي لم يخلف لي ثروة طائلة اذ انه انفق الكثير على دراستي وتدريبي».

«كنت اعتقد... من المؤكد يا هيلين ان والدك اشترى اسهماً كثيرة في شركتنا. وبعض هذه الاسهم تتطور وتنمو بسرعة شأنها في ذلك شأن الشركة نفسها. ألم تتحدثي مع ماريز في هذا الموضوع؟».

«لا، ابداً. بعد توفي والدي فجأة... ارجوك، لا تعتقد ان هناك اي نزاع حول الارث. كنت في ماير تعرف ان والدي لم يترك وصية، وانها ستخبرني كل شيء عندما تنتهي من اعداد الاوراق اللازمة...».

«حسناً، حسناً، تابعي سيرك فلم يعد امامنا سوى القليل».

«وبالنسبة الى العرض الذي قدمته لي... ارجوك الا تعتقد انني لست ممتنة لك. فأنا احب جوليت، وأحب ان اكون معها، ولكن...».

«ولكن ماذا؟».

«انما كنت تريدني كمرافقة ذات دوام كامل. وأنا لست مؤهلة لذلك. انت اخترعت هذه الوظيفة لأجلي. أليس كذلك؟».

«لا يا هيلين. اني لا اخترع شيئاً. اني ربما لم اوضح نفسي بما فيه الكفاية. فأنا لا اعرض عليك وظيفة بل فرصة لتكوني مربية لطفلتي».

احتارت هيلين ثم حدقت به قائلة:

«لأن ماذا؟».

«اني اعرض عليك الزواج مني».



# ٦- يقظة مجنونة

هزّت نسمة خفيفة اوراق الشجر، فاحدثت حفيفاً دوى أزيزاً في مسامع هيلين. هل حقاً طلب منها جستن الفورست ان تتزوجه؟ هل...

«ولماذا هذه الدهشة كلها يا صغيرتي؟ كل ما فعلته هو اني قدمت عرضاً للزواج، ولا اتوقع منك ان تقفزي الى ذراعي الآن وتعلني موافقتك الفورية».

«نعم، ولكن... الزواج؟ انا لا... وانت ايضاً...».

«الحب؟ هل هذه هي الكلمة التي تبحثين عنها؟ الا انك لا تسعين وراء الحب، ليس الآن ولا ابداً. الم تقولي ذلك بنفسك؟ ما تسعين اليه هو السلام والطمأنينة. لقد طلبت مساعدتي وها انا اعرضها عليك، وهي الحل الوحيد الذي اراه انا لمشكلتك».

«نعم، ولكن الزواج... لم اكن اعتقد... لم اتوقعك...».

ومرة اخرى تلعثمت هيلين وفقدت القدرة على ايجاد الكلمات الصحيحة. وبعد لحظات، ادارت وجهها بعيداً عنه وسألته هامسة:

«وانت، كيف تشعر وكيف تنظر الى هذا الموضوع؟».

ردّ عليها بلهجة عملية باردة بدت قاسية الى حد ما، اذ قال:

«وماذا سأجني انا من هذه الخطوة؟ سأحدثك بصراحة مطلقة. فحتى هذه اللحظات لم يكن للزواج اي معنى عندي في تخطيطي للمستقبل. وفي الوقت الحاضر لا يهمني سوى مصلحة جوليت ومصلحتك انت. لقد اصبحت جوليت خلال فترة قصيرة متعلقة بك الى حد كبير، وليس لدي الآن اي شك في انك تبادلينها الحب والعاطفة. جوليت وحيدة وتحتاج اليك. وانا لم اقترف خطأً كبيراً، فانت بحاجة اليها. ومن المؤكد انك

تحتاجين في هذه الفترة من حياتك الى نوع من الاستقرار».

ظلت هيلين صامتة تفكر، فاعتقد جستن انها تتردد وقال لها:

«انا اعلم انك لا تنظرين الي نظرة حب او غرام. كذلك فانا لا اتوقع حباً منك. ولكن يجب ان تعلمي ان العلاقة الهادئة والمنطقية لها كثير من الايجابيات».

«لا اعرف. لا اعرف ما اقول».

اخذ جستن نفساً عميقاً وقال لها بلهجة جدية:

«اسمعي يا هيلين. لا تبدئي بالخوف من هذا الزواج وكأنه سجن لا يمكن الفرار منه. فهذا امر بعيد جداً عن تفكيري ونيتي. ولأؤكد لك مرة اخرى على ان اياً منا لا يمكنه التكهن بما يحمله المستقبل. وعليه، فاذا في وقت شعرت فيه برغبة الانفصال عني فاني اعدك منذ الآن باني لن اقف حجر عثرة في وجه قرارك».

«ولكن، لماذا الزواج منك؟ الا يمكنني ان اكون رفيقة دائمة لجوليت بدونه، بدون ان. . .؟».

«لا يا هيلين. ليس في هذه الجزيرة الصغيرة. بالنسبة الي شخصياً، انا لا اهتم للثرثرة الفارغة او ما يمكن ان يقال عني. اما لأجلك انت، فانا ارفض ذلك رفضاً قاطعاً».

وتذكرت هيلين عبارة ملاحظات توريني عن المصالح المشتركة في الزواج، وقالت له بلهجة شبه غاضبة:

«ولكن، حتى لو تزوجتك، فماذا سيكون وضع جوليت؟ من المؤكد انها ستصبح اكثر اتصالاً وتعلقاً بي، والعكس بالعكس. فكيف استطيع التحرر مرة اخرى، ان اردت ذلك؟ انها عرضة ان تفقد صفقات تركز حول عواطف طفلة صغيرة. ثم، كيف سيكون وضعك انت؟ ماذا سيحدث مثلاً لو انت اردت العودة الى حياة العزوبية؟».

«هذا الاحتمال بعيد للغاية، بل يمكن اعتباره غير وارد».

وصمتت هيلين مرة اخرى، غير متأكدة، ولكن تشدها قوى لا تعرف ماهيتها او وصفها. وبعد لحظات قالت له بصوت مرتجف:

«لا يا جستن، لا يمكن لهذا الزواج ان ينجح».

«بالنسبة اليك ام بالنسبة الي؟».



«ليس لاجل اي منا، بل لاجل جوليت».

«انت تحبين جوليت، اليس كذلك؟».

«احبها كثيراً، ولذلك فلن اسمح لنفسي ان اتسبب بايلامها».

تنهد جستن وقال لها بحنان:

«الحق معك. وعليه، فقد كان شرطي ان تظلي معي ثلاث سنوات على الاقل، يجب علي بعدها ارسال جوليت الى انكلترا لتبدأ دراستها الثانوية. وانا قررت عندئذ الانفصال عني يكون ذلك. . . اعني انه. . . ما اريد ان اقوله هو انه مهما كانت النتيجة التي تتوصل اليها، فان امر لا يؤثر ذلك على صداقتك وحبك لجوليت».

استمعت اليه هيلين بعصبية وانزعاج، ثم صرخت به:

«كيف تسمح لنفسك بوضع تصاميم فنية ومواعيد زمنية لاقدار الناس؟ كيف تبدأ بالتخطيط لانهاء زواج لم يتم بعد؟».

«لا يا هيلين، الا ترين ما ارمي اليه؟ انا لا احاول انهاء اي شيء. انا لا احاول الا ايجاد موقع آمن ومضمون لك، مع افساح المجال لك انت بالتحرر منه ساعة ترغبين. بالنسبة الي فليس هناك اي تفكير على الاطلاق بانهاء زواجنا. . . هذا اذا وافقت على الزواج مني».

احنت هيلين رأسها واخذت افكارها تتصارع بين الخوف والعاطفة، ثم قالت بلهجة الضائع:

«لا ادري. لا ادري لماذا احببتك. لم اتوقع مثل هذا. . .».

«لا تقولي اي شيء قبل ان تمعني التفكير في هذه المسألة وتخصصي لها الوقت الكافي لدرسها وتحليلها. آه، يجب ان نتابع سيرنا، لقد تأخرنا كثيراً».

وعلى مدخل الفيلا قال لها بهدوء، وهو يتفحص نظراتها القلقة:

«لا حاجة لأن تكوني خائفة ومذعورة هكذا. انا لم اصدر بحقك حكماً بالسجن مدى الحياة. وما عليك الا ان تقولي لا».

«الزواج يجب ان يكون حكماً مؤبداً. هذا على الاقل ما كنت اعتقده دائماً. يجب ان يكون حكماً بالسعادة والفرح مدى الحياة».

«الزواج هو ما يريد اثنان تحقيقه. اما الكمال فهو صعب المنال، والاصعب هو المحافظة عليه. انت متعبة جداً الآن ويصعب عليك اتخاذ

القرارات. ولهذا فأنا أقترح عليك نسيان هذا الموضوع وعدم التفكير فيه حتى يوم آخر. تصبحين على خير يا عزيزتي».

«تصبح على خير. اوه... هذه سترتك، شكراً».

دخلت المنزل بهدوء وعبرت نحواً من جناح ماريز التي كانت على ما يبدو تغط في نوم عميق. ولدى وصولها الى باب غرفتها، سمعت زوجة ابيها تقول لها بقلق:

«هيلين! اين كنت طوال هذا الوقت؟ هل تعرفين كم هي الساعة الآن؟ كيف تغادرين الحفلة بمثل تلك السرعة وبدون ابلاغنا بشيء؟»

«انا آسفة جداً. لم افكر. كانت خطوة عفوية».

«ولكن، اين كنت حتى هذه الساعة؟ وكيف عدت الى البيت؟ لم اسمع صوت سيارة».

«عدت سيراً على الاقدام. اعتذر لازعاجك».

«مشياً؟ وحدك؟ في مثل هذه الساعة؟»

«جستن اوصلني حتى الشرفة الامامية».

«هل كنت في بيته؟ هل كان هناك اشخاص آخرون؟»

في تلك الاثناء كان التعب والارهاق قد اوصلا هيلين الى مرحلة تقارب الانهيار، فقالت لماريز وهي تدخل غرفتها:

«اصابني صداع قوي اثناء الحفلة... وكان الجو حاراً جداً. شعرت برغبة قوية لتنشق هواء نظيف، فمشيت باتجاه الشاطىء. التقيته صدفة وذهبت معه لنشرب فنجاناً من القهوة».

لحقت بها ماريز الى داخل الغرفة وقالت لها بجدية وعصبية:

«الم تتذكري انك لست في لندن. فمن المؤكد انك لاحظت سرعة انتشار الشائعات والاقاويل في هذه الجزيرة الصغيرة. وكنت مع جستن فالونت بالذات! لقد بدأ الناس يتحدثون عن الاوقات الطويلة التي تمضيها هناك مع تلك الطفلة».

«ولكن والدها ليس هناك معظم الوقت».

«انا اعرف ذلك. ولكن الجميع كانوا يتساءلون هذه الليلة عن المكان الذي ذهبت اليه. لقد كانت الساعة تقارب الثالثة عندما ذهب جميع الضيوف وانت لم تأت بعد. لا تظني يا حبيبتي انني امانع في تمضيتك الوقت



الذي تريدين خارج البيت. ولكن ازعجني كثيراً ان اسمع تلك الانسانة المزعجة ايرين سنلدانا تقول انك اقتحمت قلاع جستن فالونت خلال وقت قياسي».

«ولماذا؟ ماذا تعني بهذا الكلام الجارح؟»

«من المؤكد يا عزيزتي انك لا تتوقعين ان اصدق انك بريئة مثل تلك الفتاة الصغيرة جولييت؟ ثم ان فالونت موضع حسد الناس واقاويلهم منذ وفاة زوجته».

التمعت عينا هيلين بالغضب، ونسيت تعبها ونعاسها، وصرخت قائلة:

«كيف تجرؤ السيدة سنلدانا على هذا القول؟ لم احب هذه الانسانة منذ البداية، ولا افهم كيف تعتبرينها احدى صديقاتك. ثم، ليس من شأنها ابداً كم من الوقت امضي مع جولييت، او حتى مع جستن فالونت».

«لا فائدة يا عزيزتي من التفكير بالكلام الكبير للسيدة ايرين. فهي وزوجها اغنى واقوى نفوذاً من بقية عشيرتنا، باستثناء فالونت. من المؤسف حقاً انها تقيم اكبر الحفلات وافخمها. ويقول البعض انها كانت تنوي مصاهرة جستن فالونت، ولكن الزواج لم يتم ولذلك تركت ابنتها لوسي هذه الجزيرة».

جلست هيلين على سريرها حزينة ومضطربة، ثم عمدت ماريز للاقتراب منها لتقول لها:

«لا تدعي هذه الامور تقلقك. ولكن من الافضل لك على المدى الطويل الا تكثري من اجتماعاتك بجستن فالونت او بابنته جولييت».

«ولم لا؟ فهو ليس متزوجاً وانا كذلك. الا يدرك الناس ذلك؟ علاقتنا ليست من شأنهم».

«نعم، افهم ذلك. ولكني لا ارى اية نتيجة من هذه اللقاءات. ثقي بنصيحتي ولا تتورطي اكثر من ذلك مع فالونت».

«ولكني... ولكني سأتزوجه».

عندما جلست ماريز الى طاولة الغداء والدهشة لا تزال على عينيها، تأكدت هيلين انها لم تكن تحلم بموضوع الزواج واعلانها المتسرع لزوجة ابيها بانها ستتزوج جستن.

ولكن كيف يمكنها الزواج من جستن؟ فهي لا تحبه، وهو لا يحبها. لما جرى له عندما عرض عليها الزواج؟ وهل كان فعلاً عرضاً للزواج ام للشراكة؟ هل لا يزال اليوم على وعده ام انه نادم على ذلك؟

«هذه هي المرة الثالثة التي تضعين فيها السكر في القهوة. من المؤكد انك عاشقة. . . مع انه لا يبدو عليك ذلك. ام يا ترى انها صدمة متأخرة؟»

آه لو تعرف نورين كم هي محقة في هذا التحليل الذي اطلقته مازحة وبدون اي تفكير. ثم توجهت بما تقول ضاحكة:

«مبروك. يبدو ان مسيحة الاعراس قد قررت. ما هو نوع الخاتم الذي ستختارين؟»

«خاتم! لا ادري بعد. انا. . .»

قاطعتها ماريز ناصحة اياها بنوع معين، ثم قالت لها بابتسامة مرحة حلّت على العبوس والانقباض:

«انه لأمر مثير حقاً. انتظري حتى اسمع ايرين ستذاع نبأ الزواج. بالمناسبة، ما هو الموعد المقرر؟»

لم تعد هيلين تبالي بالبسمة ستذاعا لم بكآبتها اللاذعة. ففي الوقت الحاضر يتصبّ اهتمامها كله على المستقبل القريب ومغزى السؤال الذي وجهته ماريز. تنهدت قليلاً وقالت بروية وبالدهشة بادية، وبصوت منخفض:

«لا اعرف. من المبكر جداً تحديد موعد. فانا حتى لم. . .»

«نعم، بالطبع. فقد حدث كل شيء فجأة. ولكن. . ولكن ما رأيك يا حبيبتي في ان نجعلها مناسبة مزدوجة؟ الن تكون فكرة رائعة؟ هل تظنين ان جستن ستعجبه الفكرة؟»

شعرت هيلين بانقباض شديد. انها لا تعرف الا القليل عن جستن، ومع ذلك فهي شبه متأكدة من ان اقتراح ماريز لن يلقى قبولاً منه بل قد يواجه بمعارضة قوية. وعادت ماريز الى الحديث:

«وهذا الموضوع ايضاً يمكن البحث فيه لاحقاً. سيكون علينا الآن الاعداد لحفلة اخرى. ترى ماذا سيقولون؟»

«لا ارجوك، ليس الآن. لا تقولي شيئاً لأي كان. فانا لم. . . لم ابلغه بعد بموافقتي»



جاء رد الفعل الأول من نورين، التي مشت باتجاه الباب قائلة:

«تعنين . . . تركته في حيرة لا يعرف كيف سيكون جوابك؟ اذاً هذا هو الدور الذي تلعبيه ايتها العزيزة؟ انك لست الفتاة البريئة والبسيطة التي قبلتها. ولكن حذاري يا حبيبتي. ان كنت ترغبينه، فلا تلعبي هذا الدور لمدة طويلة لأنه قد يفلت من يديك».

ذهبت هيلين الى الشرفة واخذت تسير على غير هدى. ثم وقفت في الزاوية واخذت الافكار والتساؤلات تضج في رأسها. كيف لها ان تفكر بوعي وتعقل، وان تتخذ القرارات الصحيحة؟ كيف ستلتقي جستن ذلك اليوم وماذا ستقول له؟ ماذا يتوقع هو منها ان تقول له؟ هل كان يعني حقاً ما يقول؟ هل. . .

لحقت بها ماريز الى الشرفة وتأملتها ملياً ثم قالت لها فجأة:

«انت لا تفكرين باتخاذ قرار عاجل بسبب زواجي انا من كيث؟ لقد انتهيت قبل لحظات هذه الامكانية. ولكن تأكدي ان مثل هذه الخطوة يجب الا تحدث اي تغيير. من الطبيعي انا سنبيع هذا المنزل وانتقل الى منزل زوجي الجديد. وستبقى نورين معنا الى ان تتزوج، وكنا اظن فانها لن تتأخر في ذلك. لعذا ما يقلقك يا عزيزتي؟ ما اعنيه هو انك ان لم تكوني متأكدة من شعورك تجاه جستن. . .»

حدقت هيلين لفترة في عيني ماريز بدون ان تقول شيئاً. انها فعلاً مهتمة اهتماماً صادقاً بها، مع ان تحليلها لم يكن صحيحاً تماماً. وتابعت ماريز حديثها:

«انا متأكدة من انه بامكاننا القيام بخطوة ما بالنسبة الى مسكنك. ما اعنيه بوضوح اكثر هو انك لست مضطرة للزواج ان كان هدفك فقط عدم الوقوف في وجه خططنا وقراراتنا»

«اعرف ذلك تماماً. لقد كنت طيبة للغاية معي، واتمنى من كل قلبي ان تكوني سعيدة جداً مع كيث. ولكني لن اسمح لنفسي ابداً بان اسكن معكما لأن ذلك سيكون تصرفاً انانياً وغير عادل على الاطلاق».

ومرت ساعات ما بعد الظهر بطيئة ومليئة بجو التوتر والقلق والتحليل الزائد. كيف ستلتقي به اليوم؟! كيف ستواجه رجلاً لا يعتبر الزواج سوى صفقة متفق عليها بين الطرفين ويكون الفائز فيها برضى متبادل؟! وقبل الشيب

بقليل مشت هيلين على الشاطئ، باتجاه الفيلا سيمونز، ولكنها لم تشاهد جستن او تسمع ضحكات جوليت. فدلكت ذراعيها وقد زادت عليها صعوبة اتخاذ القرار. ان الفكرة الآن في ملعبه. فجستن قام بخطوته، وعليها هي الآن التحرك... اما باتجاهه او بعيداً عنه.

عادت هيلين الى البيت وهي تشعر بارهاق وانقباض. ودخلت قاعة الجلوس وبحثت يدها لاشعورياً الى مفتاح النور ولكنها لاحظت ان هناك ضوءاً خافتاً ربما نسيته ماريز قبل ذهابها. لالا... كي.

«جستن!»

وتجمدت هيلين في مكانها بدون ان تضيف كلمة واحدة على الاسم الذي انطلق بصرخة خوف وذعر. استدار الرجل الطويل، الذي كان يقف امام النافذة، ويسرع نحوها قائلاً:

«هيلين عزيزتي. هل اخفتك كثيراً؟ انا آسف جداً. لقد كنت انتظرك من الباب الامامي.»

«لقد دخلت من الباب الخلفي. لم اكن اظن... انك هنا.»

«اصرت ماريز ان انتظرك هنا، قائلة انك لن تتأخري. لم نرك اليوم، وقد اشتاقت اليك جوليت كثيراً.»

«هل تركتها وحدها؟»

«لا، روجر معها. وروجر هو مساعدي الذي عاد لتوه من عطلته السنوية. وهو موجود عندنا منذ الظهر، وهذا هو السبب الوحيد الذي حمل جوليت اليوم على البقاء بعيداً عنك. ما رأيك بزيارتنا الآن والتعرف على روجر في الوقت ذاته؟»

ولما قبلت دعوته، ابتسم للمرة الاولى منذ دخولها القاعة، وقال لها مازحاً:

«ولكنك سوف تضطرين لاستخدام قدميك، لانني لم احضر السيارة.»

«لا بأس على الاطلاق. انا افضل السير على ركوب السيارة وخاصة في امسيات جميلة كهذه.»

استقبلتهما جوليت بحرارة، قائلة انها كانت تفقد الامل بوصولهما. ثم اخذت كلاً منهما بيد الى غرفة الطعام، حيث كان روجر يساعدها في اعداد



مائدة لاربعة اشخاص، وقالت:

«اليست رائعة؟ لان العم روجر يساعدني منذ البداية.»

قبلتها هيلين بشوق وحنان، ومدت يدها لمصافحة روجر في حين كان جستن يتولى مهمة التعريف بينهما. انه شاب لطيف ومهذب لا يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره. وقد فهمت من جستن، اثناء غياب روجر وجوليت في المطبخ لاعداد العشاء، انه يتمنى من صميم قلبه لو تمكن روجر من تجديد عقده المحدد بعامين لانه ذكي جداً ومخلص الى ابعد الحدود. اما اذا رفضت خطيبته العيش في سلمستر...

وتناول الجميع طعام العشاء ثم اشتركوا جميعاً في تنظيف الآنية، ذلك ان آلي وتوم كانا يومئذ في اجازتيهما الاسبوعية. وبعد تناول القهوة نظر روجر بأسف الى ساعته، في حين قال جستن لابنته بلهجة جادة:

«الى النوم يا حبيبتي. لقد قمت بعمل رائع هذه الليلة والآ فانك تتأخرين كثيراً عن موعد نومك.»

«هل حقاً تأخرت الى هذا الحد؟»

«اكثر من ساعتين يا آنستي. لو عرفت جدتك ما يحدث هنا فانها ستستقل اول طائرة قادمة الى سلمستر لتعلمنا كيف نتصرف.»

فهمست جوليت وقالت ان جدتها لن تفعل ذلك ابداً لانها تخاف جداً من الطائرات. ولما رأى جستن ان جوليت تتهرب من الذهاب الى فراشها، حاورها قائلاً:

«عشر دقائق فقط، يجب ان تكوني بعدها في فراشك تغطين في نوم عميق، والا فاني...»

قاطعه روجر بأدب قائلاً، وهو يرتدي سترته استعداداً للذهاب:

«انها طفلة رائعة. اختي الكبرى لديها طفلان يعذبانها كثيراً. آنسة سلفادي، هل يمكنني ان... ان اوصلك الى منزلك؟»

«شكراً يا روجر. سأوصل هيلين بسيارتي عندما انتهي من ترتيب اميرتنا.»

«اوه، طبعاً. سأذهب الآن. شكراً جزيلاً على هذه السهرة الرائعة. لقد استمتعت للغاية باليوم الاول لعودتي.»

بعد ذهاب روجر بلحظات، تطلع جستن نحو هيلين قائلاً:

«اعذريني قليلاً لأساعد جولييت على النوم، أو بالأحرى... ما رأيك في أن تتولي أنت مهمة التربية هي في حين أعمل أنا في إعداد القهوة؟»
ظلت هيلين صامتة لبضع لحظات. وفجأة شعرت بأن ردها على ذلك السؤال البسيط سيكون اختباراً رمزياً بين القبول أو الرفض. وبثبات الإنسان الواثق من نفسه قالت له:
«سأهتم أنا بجولييت».
وبعد أن تمنى كل منهما ليلة سعيدة للفتاة الصغيرة، عادا إلى قاعة الجلوس وبادرها جستن بالسؤال:
«لقد قررت القبول، أليس كذلك؟»
ابتسمت بحياء وأحنت رأسها بخجل، فهب واقفاً يسألها بفرح:
«متى؟ متى نتزوج؟ أخبريني متى تنتهين من إعداد ما يلزمك للزواج؟»
«لا أعتقد أني بحاجة إلى أي شيء. فقد ابتعت كمية كبيرة من الملابس قبل حضوري من لندن... باستثناء... باستثناء ثوب الزفاف».
«هل ترغبين مراسم الزفاف كاملة؟ أعني الثوب الأبيض والعرائس الصغيرات، وحفلة استقبال لنصف أهل الجزيرة؟»
«ستكون مسرحية ساخرة لو فعلنا ذلك».
«هكذا تنظرين إلى موضوع زواجنا؟»
«أنا آسفة. ولكني لا أعتقد بأن هذه الأمور تتمشى مع الصفقة التي عقدناها».
«آه، حسناً. إمكانية التحرر من الارتباط في أي وقت. لقد كنت أنسى ذلك. هل نعقد زواجاً مدنياً؟»
«أعتقد... أعتقد أن ذلك أفضل».
«إذاً، فلا داعي لأي تأخير غير ضروري. سأرى غداً صباحاً أي من القضاة اللامعين يمكنه عقد قراننا. فلنعقد منذ الآن موعداً لذلك».
قال جملته تلك بمزيج من الأسى والبرودة. ثم قطب متفكراً وتابع حديثه وكأنه يتحدث إلى مساعده أو أي شخص آخر، ونسي أن المسألة تعني الزواج منها:
«إني مضطر لمغادرة الجزيرة في العاشر من هذا الشهر، والمسؤولون في اللجنة الزراعية سيصلون في أواخره، و...»



وتلاحقت أفكارها هنا وهناك. وأرادت أن تصرخ في وجهه أنها تريد زواجاً بكامل مراسيمه. وتساءلت هل هي في حلم مزعج أم في يقظة محيرة؟ وكيف يمكنها أن تصدق أنها قادرة على المضي قدماً في هذه المسألة الجدية وبكل هذه السرعة؟ وبكت بصمت حزين. لا، لا يمكنها الزواج بدون حب مهما كانت الأسباب.

«هيلين، هيلين. ما بك؟ أرجوك لا تنظري إلي هكذا وكأنك تخافين مني. اسمعي يا عزيزتي. لا زلنا في أول الطريق ويمكنك التراجع الآن وبكل سهولة. أخبريني، هل عدلت عن القبول وتخافين إبلاغي بذلك؟»
«لا، لا. لم أغير رأيي. ولكني... ولكني. أنا آسفة. كيف يمكن أن أشعر بالخوف مثلك؟»
ابتسم جستن وقال لها بحنان:
«عقول النساء غريبة عجيبة وكثيرة التقلبات. صدقيني أن كل شيء سيكون على ما يرام، وستعتادين على الفكرة. أعطيها بعض الوقت. ثقي بي ولن تندمي»
أحضر جستن القهوة، وكانت مشاعرها تتخبط بين الخوف والارتياح والحيرة. وبدت القهوة باردة كالثلج بالمقارنة مع نار الحقيقة التي كانت تحرق قلبها. وأخيراً ظهرت الحقيقة واضحة كنور الشمس. لماذا قبلت بالزواج منه على الرغم من جميع المصاعب والآلام؟ لأنها... لأنها تحبه.
ووجه إليها جستن نظرات الحنان الرقيقة نفسها التي يوجهها... لابنته جولييت.

# ٧- عودة السكين

تقرر موعد الزواج يوم الجمعة، وقررت ماريز، برغم اعتراضات هيلين، اقامة حفلة استقبال صغيرة. وبدأت هيلين تتساءل اذا كان بامكانها ان تشعر بالواقعية مرة اخرى. فقد بدا ان الاحداث المتلاحقة اخذتها على حين غرة وجرفتها الى نقطة اللارجوع.

وشكرت هيلين ظروف العمل التي ارغمت جستن على التغيب طوال الايام الثلاثة التي سبقت موعد الزواج. فقد اصبح من الصعب جداً عليها التحدث اليه، او ان تكون معه وهي تحاول الاحتفاظ بهدوء ظاهري بعيد عن المشاعر. لم تعد تفكر الا فيه وبحبها له. ولكنها قررت اخفاء امر واحد عنه، هو مدى شعورها الحقيقي نحوه.

وبرزت مشكلة الاهتمام بجوليت اثناء غيابها لأيام قليلة عن الجزيرة. واقترحت ماريز ان تنتقل الفتاة الصغيرة الى منزلها منذ اليوم الاول لسفر جستن، وتظل هناك برعايتها حتى انتهاء مراسم الزواج، وعودة العروسين من رحلتهما القصيرة الى نيروبي.

لم يعترض جستن كثيراً على بقاء جوليت في منزل ماريز خلال وجود هيلين، الا ان فكرة تركها وحدها مع ماريز لم ترق له على الاطلاق:

«مع الاحترام الكامل لزوجة ابيك وتقديري لها على دعوتها الكريمة، الا انها تقضي معظم وقتها، وخاصة اثناء الليل، خارج المنزل».

وتنهدت هيلين لأنها تعرف تلك الحقيقة. وبعفوية بالغة اقترحت عليه اخذ جوليت معهما. وقد ادهشها رد فعله المفاجئ.

«اثناء شهر العسل؟ لا شك في انك تمزحين».

«لا ابداً. فلماذا لا نأخذها معنا؟ ستكون الرحلة متعة اضافية



وستحبها للغاية».

ردّ عليها بلهجة شبه غاضبة قائلاً ان من شأن ذلك افساح المجال امام سكان سلمنقر للتندر بتصرفاتنا. ولما سألته عما اذا كانت تلك الثرثرة والاشاعات تقلقه، اجابها قائلاً:

«ابداً على الاطلاق. ولكني لم اكن افكر بنفسي».

«وانا كذلك. كنت افكر بما هو الافضل لجوليت».

«لم اكن اريد ان اضيف الى مسؤولياتك اي مهمة جديدة كرعاية جوليت، خاصة انك تعملين على اعادة ترتيب البيت بصورة جذرية. ولكني الآن لا ارى بديلاً عن ذلك».

وقبل ان يغادر جستن لالتحاق الى، حضرت السيدة رالي، زوجة القنصل العام، لتسأل عما ستفعله بجوليت اثناء غيابهما. وعندما اخبرها جستن بانها ستبقى بصحبة ايل، اصرت على دعوتها لتمضية الايام الخمسة معها اذ تكون برفقة ولديها الصغيرين.

صباح الثلاثاء ذهبت هيلين وجوليت لوداع جستن. وقبل ان يركب الطائرة التي ستقله الى ميربشوس، استدار نحوهما وعانقهما في آن واحد قائلاً:

«انتبها لنفسيكما جيداً اثناء غيابي».

شعرت هيلين بضيق شديد وكأنها فقدت شيئاً عزيزاً على قلبها وهي تشاهد الطائرة تختفي في الفضاء. ثم رغمت نفسها على الابتسام وقالت لجوليت:

«يجب ان نعود الآن ونعمل على نقل بعض الاشياء التي ستحتاجين اليها اثناء وجودك هناك».

«كم اتمنى ان يكون هذا اليوم يوم الخميس، يوم عودة والدي. واكثر من ذلك، اتمنى ان نكون الآن في يوم الاربعاء من الاسبوع المقبل، اي عندما تعودان معاً من رحلتكما».

بدت الفيلا صامتة مهجورة بغياب جستن. وما زاد في ذلك عملية التنظيف والترتيب التي تقوم بها ايل. ولقد دفع هذا الشعور بهيلين للاسراع في اعداد الاشياء القليلة التي ستحتاجها جوليت خلال اقامتها ثلاثة ايام خارج الفيلا.

قبل الثامنة بقليل كانت جوليت تنام في سرير الضافي وصحبته مطرزة في غرفة هيلين. وبعد ساعتين تقريباً دخلت هيلين غرفتها على رؤوس أصابعها، كي لا تزعج صديقتها الصغيرة. وفجأة فتحت جوليت عينيها وجلست في السرير تحدّق في الجدران. اقتربت منها هيلين بسرعة وسألتها:

«هل كل شيء على ما يرام يا حبيبتي؟»

«نعم... نعم. ولكني نسيت أين أنا عندما استيقظت».

«أنا آسفة لإيقاظك. بالطبع، إنه أمر عادي أن يشعر الانسان بشيء من الغرابة عندما يستيقظ ليلاً في مكان غريب».

«هل ضايقك مثل هذا الشعور في اليوم الأول لوصولك الى سلمنستر؟»

«لا، ليس هنا. ولكني شعرت بذلك عندما ذهبت للمرة الأولى مع فرقة الباليه الى مدينة في شمال انكلترا».

واخذت هيلين تقصّ عليها ما حدث لها في تلك الليلة. وبعد بضع دقائق أنهتها، وقالت لها ان الوقت قد حان لتعودا الى النوم. ابتسمت جوليت وقالت لها بمحبة وحنان:

«انك أرهقتني كثيراً. أنت الشخص الوحيد الذي لم يأمرني بالنوم فوراً، ولم يبدأ في التذمر من انني لن استطيع النهوض باكراً للذهاب الى المدرسة».

«ولكن، هذا ما كنت على وشك ان اقوله لك خاصة ان مدرستك هنا تبدأ في وقت مبكر. ثم انها العاشرة والنصف يا حبيبتي».

هزت جوليت برأسها علامة القبول والاقتناع، وقالت:

«ولكني احب التحدث عندما لا اشعر بالنعاس. أبي هو الانسان الوحيد الذي يجعلني صامتة عندما لا اتمكن من النوم. أمي تتذمّر وتتضايق، وحتى كانت تغضب احياناً».

دفنت جوليت رأسها في الوسادة واخذت تتأمل هيلين وهي تحضّر نفسها للنوم في السرير المجاور. ثم قالت لها برقة:

«هل ستتذمرين مني لو تذمرت من تأخري في النوم عندما تأتين للسكن معنا؟»

«سأحاول الا افعل ذلك».

«وهل ستأتين الى غرفتي للتحدث معي قبل النوم؟»



أجابتها هيلين بالايجاب. لقد كان لها يوماً هنيئاً وليلة سعيدة. وبعد دقائق من الصمت التام، خيّل لهيلين ان جوليت تغط في نوم عميق، سألتها الفتاة بهدوء وخجل:

«ماذا سأدعوك عندما تتزوجين أبي؟ أبي قالت ان من غير اللائق ان أدعوك باسمك الأول. ولكني سأجد انه من الغرابة بمكان ان أدعوك أمي، مع انك ستصبحين امي عندئذ. كذلك، فاني لا احب مناداتك بخالتي كما ينادي الاولاد زوجات آبائهم».

لم تجب هيلين لفترة طويلة، مما حدا بجوليت الى القول بتأثر:

«هيلين، هل أغضبتك بهذا الكلام؟ اعني اني... اني لم اقصد ان اكون وقحة، بل أردت ان...»

«اعرف يا حبيبتي ما كنت تقصدين. ولكني لم اجد الجواب بالسرعة اللازمة. فمما لا شك فيه انني لا احب تسمية الخالة، وكذلك ستعرف انني سأشعر ايضاً بالغرابة لو تظاهرت بأني امك. وأنا، فانا اعتقد ان أي غلطة وفطنة، أي شخص آخر يكون له تفكير عاقل. لو لم تكن هناك معرفة سابقة وعلاقة وثيقة، لكان الأمر مختلفاً».

«لقد صوّرت الموضوع لنفسي على هذا الشكل تماماً. ولكني لم ارغب في ان اسأل أبي...»

«لا تدعي هذا الموضوع يشغل بالك يا حبيبتي. تذكري انني احبك كثيراً، وانني سأحاول دائماً ان ارعاك واهتم بك كأن امك لا تزال موجودة معك. والآن... يجب ان تنامي».

«حسناً، هيلين... هل يمكنني ان انام معك؟ هذه المرة فقط؟»

انتقلت جوليت الى سرير هيلين وضمّتها بحنان قائلة انها في غاية السعادة لأن والدها اختارها زوجة له. وخلال لحظات كانت تغط في نوم عميق. اما هيلين فقد ظلت تفكر لبعض الوقت. فزواجها من جستن فانونت أصبح حقيقة واقعة ولم يعد أحد أحلام اليقظة. وخلال أيام معدودة، ستحل محل الأم التي فقدتها جوليت ولم تعد تتذكرها. كيف لها بعد الآن ان تقدم على أية خطوة تزعج جوليت، أو تلك الثقة العمياء التي منحتها اياها بمحبة خالصة وتعلق شديد؟ ولكن، ماذا ستفعل بزواج يتم بدون حب وعلى شكل صفقة تجارية؟ كيف ستكون نظرتها الى جستن؟

بدلاً من قبلها هي، ومشاعرها؟ و . . .

«والآن أيتها الزوجة العزيزة، يمكنك أن ترتاحي من هذه الأعباء، الزواج ومراسيمه وحفلاته. سنصل إلى دورين بإذن الله قبل دقائق من موعد العشاء، وبعد ذلك أربعة أيام من الهدوء والراحة».

قالها جستن بلهجة طيبة ودودة، وقد استرخى في مقعده وأشعل سيكارة بعد أن طلب من المضيفة فنجانين من القهوة. ثم تطلع إلى خاتمه الذهبي البراق وقال مبتسماً:

«سنحتفل بالخاتم الأحمر في دورين حيث محلات الأحجار التي وافقت من تلك النوعية في [illegible]. يجب أن تزيني أصبعك بخاتم خطوبة مع أنه كان علي التفكير بهذا الموضوع قبل عدة أيام».

«وهل ذلك ضروري؟»

«طبعاً، إذ أن خاتم الخطبة هو جزء لا يتجزأ من مراسيم ما قبل الزواج».

صمتت هيلين مرة أخرى، وهي تقاوم رغبة قوية تتفاعل في نفسها وتكاد تدفعها إلى الطلب منه بأن يكف عن التظاهر. إذ أنه لم يعد بحاجة لذلك. ثم فتحت مجلة أسبوعية وتظاهرت بأنها منهمكة في قراءتها. لقد تمت الصفقة وجرى توقيع العقد المبرم بينهما، واصبحت السيدة فالورث. مراسيم الزواج كانت مقتضبة جداً، أقل من عشر دقائق في غرفة صغيرة بحضور القاضي والشاهدين ماري وروجر، ثم وداع قصير في فندق صغير اقتصر على عدد من الأشخاص.

كانت المراسيم عملية وباردة، وكان الجميع وكأنهم يتشوقون لأن [illegible] باستثناء جوليت التي بكت في المطار وتمنت عليهما أن تعودا بسرعة وأن يبعثا لها برسالة أو بطاقة بريدية كل يوم. وفجأة شعرت هيلين أن الأيام الأربعة التي ستمضيها في دورين ستمر وكأنها سنوات أو دهور. لقد تمنت أن تنتهي أيام ما قبل الزواج بسرعة كي تتخلص من ذلك الوضع المزيف والمصطنع الذي كانت تعيشه. أما الآن فإنها تتمنى لو أن الأيام المقبلة لم تكن.

وصلا إلى دورين وتوجها بالتاكسي الذي كان بانتظارهما في المطار. واخذت هيلين تتفرج بشغف على تلك المدينة الرئيسية في منطقة



استوائية. وابتسم جستن قائلاً، وهو يوقف السيارة أمام الفندق الذي سينزلان فيه:

«والفخمة مرة أخرى. ستعطر [illegible] كفترة موحشة بعد الفترة التي ستمضيها هنا».

خرجت هيلين إلى شرفة الجناح الذي حجزه جستن قبل عدة أيام، وراحت تتأمل الحديقة الغناء وبركة السباحة الرائعة. وما هي إلا لحظات حتى لحق بها جستن إلى الشرفة الصغيرة قائلاً:

«لقد طلبت لك أبريقاً كاملاً من الشاي، اعتقاداً مني بأنه الشيء الذي تريدينه أكثر من غيره الآن. وسوف أعود خلال فترة قصيرة جداً».

«وهل أنت ذاهب الآن؟!»

ابتسم جستن وقال لها بحنان:

«لنصف ساعة فقط. من المؤكد أني سأعود قبل انتهائك من شرب الفنجان الثاني».

خرج جستن قبل أن تتمكن هيلين من ابداء أية ملاحظة. فما كان منها إلا أنها أخذت تسير في أنحاء الجناح الفخم شاردة الذهن لا تعرف عماذا تفكر. وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت الخادمة تسألها:

«هل تريدين الشاي على الشرفة يا سيدتي؟»

هزت برأسها علامة الإيجاب وخرجت إلى الشرفة لتتناول الشاي وتغرق في تساؤلات عن سبب ذهاب جستن في ذلك الوقت. من المؤكد أنه لم يذهب للقيام بعمل ما يتعلق بشركته أو بأعماله. كما أنه لم يتحدث عن وجود أصدقاء له في دورين يجب ملاقاتهم. إذن فإلى أين ذهب ولأي سبب؟

تنهدت هيلين وهي تشرب الشاي الفاخر، متجاهلة الكاتوات الخفيفة وقطع الحلوى الصغيرة الموجودة أمامها وقالت لنفسها إنه ليس من حقها أن تسأل عن مكان وجوده أو سبب ذهابه. فهي ليست في شهر عسل حقيقي، ووجودها هناك هو جزء من الخطة المتفق عليها. وقد وفى جستن بكل ما عليه من الصفقة المعقودة بينهما، وبصورة رائعة حقاً. وجاء دورها الآن لتنفذ حصتها من الشروط وبدون أي أنانية أو مطالب.

مضت الدقائق الثلاثون ولحقت بها خمس عشرة أخرى ولم يعد جستن. فقررت هيلين الهاء نفسها بإفراغ حقيبتها. علّ ذلك يبعد عنها ولو قليلاً

شعور الوحدة الذي بدأ ينتابها. وما ان بدأت حتى دخل جستن وحيّاها معتذراً عن تأخره ربع ساعة. وبعدما خلع سترته سألها عن اذا بقي شيء من الشاي فأجابته:

«لا تزال هناك كمية كبيرة من الشاي، ولكني اعتقد انه لم يعد ساخناً بما فيه الكفاية».

«لا بأس. لنذهب الآن الى بركة السباحة لننتعش قليلاً قبل توجهنا لتناول العشاء».

اثناء وجودهما في الماء، اخذت هيلين تفكر بوالدة جوليت. كيف كانت يا ترى؟ شقراء ام سمراء؟ عجوزاً ام مراهقة طائشة ام . . . وتذكرت انها لم تر اية صورة للسيدة الراحلة في فيللا ميموزا. لا بل انها لم تلاحظ اية لمسة نسائية يمكن ان تعطي انطباعاً عن شخصية تلك الانسانة التي شاركت جستن حياته لفترة من الزمن. فكل شيء داخل المنزل وخارجه يوحي بأن جستن لم يسمح لها بمشاركته القرار، او ربما بابداء الرأي، حتى في الأمور التي من المفترض ان تكون من مسؤولية السيدات. وعادت الى ذاكرتها جملة قالها لها في وقت سابق

«لم يكن للزواج ابداً اي دور في مخططاتي للمستقبل . . . ».

هل كان الحب المتبادل بينهما قوياً لدرجة انه لا حب آخر لا يمكن ان يحل محله؟ وهل من الممكن في يوم ما ان يحبها هي كما احب والدة جوليت؟ وفي المساء اخذت هيلين تتأمل تصرفات جستن تجاهها. فقد ظهر جلياً منذ عودتهما من السباحة انه حدد بصورة جازمة النمط والأسلوب اللذين سيتبعان خلال تلك الامسية. كان يتصرف معها بروح من الصداقة والود والاهتمام . . . وبشيء من محبة الابوّة. وكم كانت تود لو انه يتطلع اليها ولو لفترة وجيزة كامرأة بحاجة للحب. وكنت في لحظة غضب صامت ان يتصرف معها ببرودة او بعدم اهتمام كلي . . . او حتى بقسوة. فلربما دفعها هذا التصرف الى اخفاء ضعفها تجاهه او حتى الى اقناع نفسها بعدم جدوى التعلق به.

وبتأثر بالغ وبيدين مرتجفتين اخرجت هيلين العقد الذي اعطتها اياه جوليت كهدية زواج. واخذت تتأمله بحنان متخيلة تلك الفتاة الصغيرة التي من المؤكد انها اختارته بعناية ورغبة فائقتين. وفيما كانت هيلين تحاول



وضع ذلك العقد المصنوع محلياً حول عنقها، دخل جستن من الغرفة الثانية في ذلك الجناح وقال لها:

«لا اعتقد انك ستلبسين هذا العقد الليلة. أليس كذلك؟».

«طبعاً سألبسه، فهو هدية من جوليت».

«اعرف ذلك. ولكن من المؤسف انها اصرّت على اختياره بنفسها. وهو بالتأكيد لا يتمشى كثيراً مع الفستان الذي ترتدين».

«هل تعتبر هذه الملاحظة منك اعتراضاً على لبس العقد؟».

«كلا، ولكن . . . ».

لم يكن من عادة جستن ابداً قول جملة ناقصة او ان يتلعثم او يتردد. واستدارت هيلين نحوه وقالت له بتصميم وثبات:

«وعدت جوليت بأني سألبس العقد هذا اليوم وما من شيء يجعلني اتنكث بالوعد».

«هكذا اذن. ان جوليت محظوظة للغاية».

بعد العشاء اقترح جستن ان يقوما بنزهة في السيارة فأخذها الى الطريق الساحلي الذي يمتد عشرات الكيلومترات بمحاذاة شواطىء ذهبية رائعة وحدائق غنّاء ومناظر طبيعية خلابة. وكان النسيم المنعش يداعب وجه هيلين في تلك السيارة الضخمة المكشوفة. وشعرت في تلك اللحظات الهادئة انها مستعدة لمجاراة التيار الذي يحمل لها القدر.

ولدى عودتهما الى الفندق سألها جستن:

«كيف تريدين تمضية هذه الأيام الاربعة؟ هل تودين تخصيص الجزء الاكبر لمشاهدة المعالم السياحية او انك تفضلين الراحة والتسوق؟».

«اود التعرف على اكبر قدر من المحلات التجارية».

فاجأته هيلين بجوابه محاولة كبح رغبتها في الاعتراف له بأنها غير مهتمة بأي شيء او اي مكان اذ لم يكن هو معها. ثم اضافت قائلة:

«ان اردت الحقيقة، فاني لا ادري ماذا سأفعل. سأذهب الى اي مكان تختاره انت، اذ اني غريبة هنا».

«وانا ايضاً، باستثناء اسبوعين امضيتهما في معمل لتكرير السكر يقع قرب الساحل».

وفي مدخل الجناح الذي يشغلانه، وقف جستن برهة وجيزة شعرت

حولها هيلين بأنه على غير عادته متوتر الأعصاب قليلاً. وفجأة قال لها بتهكم وسخرية:

«قبل ان اقول لك ليلة سعيدة، هنالك هدية صغيرة لك كنت اود تقديمها في وقت سابق».

وانسحب جستن الى غرفة النوم الصغرى، فيما دخلت هيلين الى غرفتها ووضعت حقيبتها وسترتها الحريرية البيضاء على سريرها. ثم سمعته يدق باب الغرفة، فدعته الى الدخول فيما كانت تضع فستانها وبقية ثيابها الأصلية في الخزانة. وما ان استدارت نحوه حتى سمعته يقول لها وهو يضع علبة صغيرة الحجم على طاولتها:

«هذا لك، وأرجو ان تستحسنيه غداً».

حدقت به برهة ثم شهقت فجأة الى ان تلك العلبة الصغيرة كانت سبب تغيبه المفاجئ، بعد وصولها مباشرة الى الفندق. وتقدمت هيلين نحو الطاولة بهدوء، وأخذت العلبة الصغيرة وراحت تقلّبها بين يديها وهي شبه متأكدة من انها تحتوي نوعاً من المجوهرات الثمينة. ولما نزعت الورقة الفضية التي كانت تلف العلبة وقرأت اسم احد اشهر محلات المجوهرات في دوريس، شهقت متعجبة. وزادت دهشتها وحماستها، عندما فتحت العلبة واخرجت عقداً من الماس ومعه قرطان متلائمان. وحدقت هيلين مطولاً اليها وأخيراً وسألته بتلعثم:

«هل... هذه الهدية... لي... أنا؟».

ابتسم جستن واجابها:

«ولم لا؟ أليس امراً طبيعياً أن يهدي الرجل زوجته اشياء جميلة تزيّن بها عنقها واذنيها؟».

«نعم... ولكن... ولكن لم اتوقع...».

ولم تتمكن هيلين من اكمال جملتها لأنه لم تجد الكلمات المناسبة ولأن جستن قاطعها قائلاً:

«لا تتوقعي مني اهتماماً شخصياً بعد الآن».

«لا... لا... ما اعنيه هو اني...».

وتوقفت عن كلامها عندما لاحظت فجأة انه فقط بدت ذكرة التجميل الى حد مزعج. وعندما اقتربت منه وهي لا تزال تحمل العقد الثمين في يديها الرائعتين، وقالت:

«شكراً جزيلاً لك. انها اجمل مجموعة من الاحجار الكريمة حصلت عليها في حياتي. لا ادري ماذا... اقول».

«اذن فلا تقولي شيئاً».

قالها بمرح وهو يأخذ العقد من يديها ويضعه حول عنقها. ثم امسك بيديها الرائعتين وتأمل وجهها الجذاب، وقال لها بحنان:

«وهل كنت تتخيلين اني انوي حرمانك زواجنا من العطف والعاطفة؟».

«لا... أنا...».

وصمتت هيلين لحظة شعرت خلالها بأن دقات قلبها تكاد تسمع من الفرح. هل يعني ما يقول؟ هل انه سيمنحها فعلاً، ام انه سيكتفي بهذه التصرفات اللطيفة والرعاية الحساسة؟

وضعت يدها على كتفه واحنت رأسها قليلاً، ثم انحنت نحوها وقالت له بحماسة:

«لست متأكدة. ربما تخيلت ذلك. ولكن كان يجب ان اعرفه».

ابعدها جستن برفق متسائلاً:

«الا تعرفي ماذا يا هيلين؟ الأني ذكرت العطف والعاطفة، فهل ستظنين اني انوي مطالبتك بأن يكون زواجنا كزواج المحبين؟ وهل تعتقدين انه يحتم عليك تقديم شيء ما مقابل عشقي لك؟».

وتسارعت الكلمات وخيّم جو من التوتر فيما تابع جستن حديثه بشيء من الغضب المكبوت:

«أنا اعرف انك شابة في مقتبل العمر وان الشباب في هذا العصر الحديث يفخرون بأنهم قادرون على مواجهة الحياة ومصاعبها. ولكن كنت اظن انك فهمت الموضوع بطريقة افضل».

توقف جستن لحظة ثم وجّه اليها نظرة فاحصة وقلقة، وقال:

«لو عدنا بالذاكرة الى الوقت الذي اثرت فيه موضوع الزواج، لتبين بكل وضوح انه لم تكن هناك اية التباسات او اوهام عاطفية. ولكن مهما كانت نظرتك انت الى الموضوع، فان مبادئي واخلاقي لن تسمح لي باستخدام الترتيبات التي اتفقنا عليها كعذر لاقامة علاقة زوجية تخلو من

مشاعر المحبة والحنان».

شعرت هيلين بأن كلمات جستن نزلت عليها كالصاعقة. وابتعدت عنه زائغة البصر، متجهمة الوجه، حائرة وشبه ضائعة. ثم سمعته يقول لها بهدوء وروية:

«صدقيني، لو كنت اود قيام علاقة كهذه لابتعت اسلوباً مختلفاً في الاختلاف، الا انها . . . الا اذا كنت انت تريدينها هكذا».

لم يعد هناك اي شك في تفسير ما يعنيه، فقد اتضحت المعالم والنوايا وتصارعت في افكارها المشاعر المتناقضة فيما كانت تحاول ايجاد الرد الصحيح على جملته الاخيرة. ثم تغلبت عزة نفسها على اوهامها بأنه من ظني بحبه، وسألته بصوت خافت:

«وهل بدرت مني اي اشارة الى انني اريد علاقة زوجية مجردة من الحب والعاطفة؟».

وعندما اجابها جستن نفياً، عادت الى توجيه الاسئلة:

«ان الامر يختلف بالنسبة للرجال، أليس كذلك؟».

«نعم».

تبع ذلك صمت شعرت بأنه يؤكد حقيقة لم ترد الاعتراف بها. و شعرت انه لم يعد لديها شيء تضيفه او تسأل عنه، توجهت نحو سرير للجلوس عليه. ولكنه اوقفها برفق قائلاً لها:

«أليس من الافضل والاسهل ان تلبسي العقد، وتنسي اجتماعنا المحتدم، وجميع هذه الاعترافات والواجبات التي خطرت ببالك فجأة ولهذا لا ننهي الموضوع عند هذا الحد، قبل ان يمضي اي منا الى الاخر، يضطر احدنا للقبول بشيء لا يريده؟».

ثم امسك بالعقد المتدلي على صدرها وقال لها مبتسماً:

«انه جميل جداً عليك. تصبحين على خير يا عزيزتي».

وما ان انهى جستن جملته حتى قبلها على جبينها وانسحب بسرعة من غرفتها قبل ان يتسنى لها التفوه بشيء. وشعرت هيلين بأن السكينة عادت اليها، ولم تعد تسمع سوى صدى اغلاق الباب.



# ٨- ذلك الرأس الجميل

فيما اقتربت الايام الاربعة من نهايتها، بدأت هيلين تتساءل عما اذا كانت في حلم او في حقيقة. ولكن العقد الرائع لا يمكن ان يكون خيالاً، فهو يزين عنقها وتتحسسه اصابعها، كلما تذكرت الحادثة الصغيرة في الليلة الاولى.

وكما وعدها جستن قبل مغادرتهما سيلندن، اصر في اليوم الاخير على شراء خاتم خطوبة قائلاً:

«عزيزتي، لن اقبل اعتراضك. فهل من المعقول ان تنهي زيارتك الاولى لمدينة الاحجار الكريمة بدون الحصول على خاتم من الماس؟ حتى لو اقلقتك او ازعجتك فكرة الخطوبة، فلماذا لا تعتبرينه خاتماً عادياً للسهرات؟».

اسعدها كرمه ولطفه المتزايدان وتعاظمت رغبتها في مشاركته العطاء. ولكن حياة جستن تبدو مكتملة بدونها. فهو هادىء، وسعيد. . . ومكتف ذاتياً. فهل هناك سبيل آخر لكي تمنح الرجل الذي تزوجت شيئاً من ذاتها، الا عبر العناية بابنته وتأمين امومة جديدة لها؟

«هذا هو المحل الاخير في قائمتنا. فهل انت متأكدة من انك لم تنسي اي شيء؟ تذكري انه ستمضي فترة قبل ان تسنح لنا الفرصة مرة ثانية للتسوق في المدن الكبيرة».

هزت هيلين رأسها مؤكدة، فقال مازحاً:

«سوف تتذكرين هذه الاشياء بمجرد اقلاع الطائرة».

وما عادا الى جناحهما في الفندق، وشاهد جستن العدد الكبير من الحقائب والصناديق والاكياس، ضحك قائلاً:

«يتجاوزون عن الوزن الاضافي! يجب ان نحجز طائرة بكاملها عوضاً

من مقعدين فقط.

وبينما كان يتأمل صحيفة الحاجيات، لفت نظره كتاب كبير الحجم، كانت من كتبه بعد ان استأذنها بعينيه وبدأ يتصفحه. وبعد لحظات قضاها جستن في تأمل بعض الصور الملونة لعدد من فرق الباليه العالمية، رفع بصره نحوها وسأل:

- ترى هل سنجد صورتك في هذا الكتاب؟

- بالطبع لا... فهو مخصص بعضه لفرق الباليه الشهيرة امثال البولشوي والفرقة الملكية.

- وما دفعك لشراء كتب كهذا؟ هي الذكريات الحلوة المرة؟

قال جيدها: نعم. وقع نظري عليه عندما كنت أتفحص تشكيلة تلك المجموعة الكبيرة من الروايات البوليسية. وقلت لنفسي ان جوليت ستفرح به لانها مغرمة بالباليه.

- اعلم ذلك.

أقفل جستن الكتاب واعاده الى مكانه ثم سألها:

- ألا تعتقدين انه موضوع لن تتمكني من نسيانه؟

- هذا صحيح... اعلم الآن انني كنت على خطأ تام عندما اعتقدت انه بامكاني اقتطاعه من حياتي وطي صفحته الى الأبد. لقد كانت الباليه أروع شيء في حياتي، ويبدو ان محاولة نسيانها اصعب بكثير واشد ايلاماً من تذكرها بين الفينة والاخرى.

اقترب منها جستن وقال لها، واضعاً يده برقة على كتفها:

- لا تحاولي ارغام نفسك على النسيان. الأفضل ان تتركي الأمور تأخذ مجراها، فلا شيء كالزمن يساعد على تخفيف الألم. ويوماً ما ستأخذك الظروف بحيرة البجع لفرقة عالمية. ويكون ذلك عندما تتحررين من الأسى والندم، وليس من الذكريات. الحياة للحاضر يا هيلين، لا للماضي ولا للمستقبل.

كانت لمسته لطيفة ولهجته رقيقة ووادعة، فشعرت بشكر بالغ وقالت له شاكرة:

- انك صبور جداً معي.

نظر جستن الى ساعته، وقال لها مازحاً:



- لا لست صبوراً على الاطلاق، اسرعي بحق السماء، فلم يعد يفصلنا عن موعد اقلاع الطائرة سوى ساعة واحدة فقط.

بعد الاقلاع بقليل، اخذت هيلين الكتاب وراحت تتصفحه، متذكرة الكلام الواقعي والمنطقي الذي سمعته من جستن. ودهشت حقاً عندما لاحظت ان ردة الفعل الذي كانت تخاف حدوثه لم تحدث. صحيح ان بعض الصور اثارت في نفسها حنيناً طبيعياً للباليه. ولكن لم تكن لديها، كما توقعت، الرغبة في اقفال الكتاب بعصبية ورميه بعيداً عن بصرها. واتيح لها ان بامكانها دراسة النواحي الفنية بصورة مجردة وبعيداً عن الانفعال، تماماً كما كان يحدث في الماضي قبل...

تنهدت هيلين وتابعت تصفح الكتاب بهدوء، ربما كان جستن محقاً في تحليله... ربما سيأتي يوم يزول فيه الألم. اغلقت الكتاب واعادته الى مكانه. وتطلع جستن نحوها محاولاً معرفة ما يدور في ذلك الرأس الجميل. هل تخلت يا ترى عن ذلك التعلق الأعمى والتحرق للماضي؟ وهل من الممكن انها وجدت شيئاً آخر تحبه... وتتعلق به؟

في مطار سنتمنز كانت جوليت تقفز فرحاً، وتوزع قبلاتها وضحكاتها بالتساوي بين جستن وهيلين والسيدة رالي، التي رعتها لمدة عام. ولم تتوقف عن القفز والثرثرة حتى عندما كانت جالسة بين والدها وهيلين في المقعد الامامي من السيارة، مما دفع جستن الى التهديد برميها الى المقعد الخلفي قرب طوم والحقائب.

أمام فيللا سيمورا، تملكت هيلين احاسيس حلوة وغريبة... فخلال لحظات ستدخل الى تلك الفيللا مرة اخرى، لا كزائرة بل كشريكة... هذا هو... بيتها.

وخرجت كلي لملاقاتهم وهي تكاد ترقص فرحاً، حيث سيدة البيت الجديدة بترحيب وحياء، واحتضنت جوليت بمحبة وحنان. وفي تلك الاثناء كان جستن وطوم ينقلان الحقائب والأكياس التي ملأت صندوق السيارة والجزء الأكبر من المقعد الخلفي. وعندما حاولت هيلين دخول المنزل، اوقفتها صرخة قوية من جوليت:

- لا... لا تدخلي الآن يا هيلين... بل... يجب ان تحملها وتدخل بها وهي بين ذراعيك. هكذا يفعلون دائماً. ولكن انتبه، ارجوك، فعندما حمل

كالأيف ابنة العم أن لدى عودتها من شهر العسل تعتز وكأنه أن يرميها.
ضحك جستن وقال لجولييت وهو يرفع هيلين بخفة ملحوظة:
«لا تخافي يا حبيبتي، فهيلين في أيدٍ أمينة. وأنا لست ممن يوقعون زوجاتهم».
وفي الداخل، أنزل هيلين برفق قائلاً:
«ها قد وصلنا سالمة. أهلاً بك في بيتك».
وعندما سمع جولييت تطالبه بمعاملة مماثلة، ابتسم وقال لها:
«لا، فأنت لست العروس. ولكن يمكنك المساعدة في جلب الحاجيات الصغيرة من السيارة».
شعرت هيلين بأن عليها التحرك بسرعة. فهذا هو بيتها الآن... وهي زوجة، وأم، وسيدة المنزل. طلبت من طوم أن يعدّ كأساً لصاحب البيت، وأعطت تعليمات لآلي بصدد العشاء. ثم طلبت من جولييت أن تساعدها في ترتيب الحقائب، خاصة أنها لاحظت شوقها الواضح لاستلام هداياها.
مرّت بضعة أيام أمضتها العائلة الجديدة بشكل طبيعي معتاد. جستن يذهب إلى عمله... جولييت تذهب إلى مدرستها... وهيلين تعمل على الاهتمام بها وبالمنزل، يساعدها طوم وآلي. وفي إحدى الأمسيات، قال لها جستن:
«إنك ترهقين نفسك يا عزيزتي. فآلة الخياطة لا تكاد تفارقك منذ أسبوع».
«لا بأس. أريد الانتهاء من الستائر لكي أبدأ العمل في ثياب جولييت. فجميع ثيابها أصبحت ضيقة عليها».
تدخلت الفتاة الصغيرة لتشرح لوالدها كيف أن معظم فساتينها ستكون من نوع القماش نفسه الذي ستشتريه هيلين لنفسها. وأراد جستن تغيير موضوع الستائر والثياب، فسأل ابنته عن دروسها. أجابته متضايقة:
«مزعجة، مزعجة. فهم يعلمون هنا بطريقة مختلفة تماماً. ولكن التاريخ لا بأس به، ودرس الفن رائع».
تطلع جستن بقلق قائلاً:
«كنت أخشى ذلك. فالطريقة التعليمية المتّبعة هنا ستبدو صعبة للغاية بالنسبة لمن تعلم في انكلترا».



ثم حوّل نظره إلى ابنته وقال:
«ربما كان عليك البقاء مع جدتيك».
صرخت الفتاة الصغيرة، وقد بدا الرعب على وجهها:
«لا... لا يا أبي! لا يمكنك إرسالي مرة أخرى. سأبذل مجهوداً أكبر وأدرس أكثر. أعدك بشرفي. ثم... ثم إن هيلين معنا الآن».
لم تتغير تعابير وجهه، عندما ردد كلماتها الأخيرة:
«نعم، إن هيلين معنا الآن».
وتابعت الفتاة حديثها بلهجة عاطفية بريئة:
«ولا تنسَ يا أبي أن هذا هو بيتنا. فأنت تعمل هنا ونحن نعيش... معك».
«صحيح جداً ما تقولين».
ثم وضع ذراعه حولها وضمّها إليه متابعاً بحنان زائد:
«ولكن إذا اضطررنا للبقاء هنا عندما تبلغين الحادية عشرة، فعليك الذهاب إلى انكلترا لمتابعة دروسك».
تنهدت جولييت مرتاحة، وشعرت بأن ذلك العبء الثقيل الذي حط على صدرها قد زال إلى الأبد. فثلاث سنوات فترة طويلة لدرجة لتفكر أن يحطّطها. وبعد أن قالت لأبيها أنها موافقة على ذلك ومستعدة له، عادت إلى غرفتها لتواصل مطالعة فروضها.
وفي إحدى الأمسيات، بعد أسبوعين من حديث المدرسة، عاد القلق يساور جستن حول دراسة جولييت. وما إن بدأ يعرب لصديقه روجر عن بعض مخاوفه في هذا المجال، حتى تدخلت هيلين قائلة بلهجة الواثق من نفسه:
«أنا متأكدة من أنه لا داعي للقلق إلى هذا الحد. فجولييت ذكية للغاية وهي تدرس الآن مواضيع لن تعطى لنا في بلادنا. وعندما يحين موعد عودتها، فإنها ستكون متقدمة على رفاقها في أكثر من مجال. وحتى لو كانت متأخرة في موضوع أو آخر، فلن تجد صعوبة أبداً في اللحاق بهن، وربما التفوق عليهن».
«أعلم ذلك، ولكن الأسلوب هنا مختلف كلياً. إنها طفلة صغيرة وقد تتأثر نفسياً إلى حد كبير نتيجة للسرعة المطلوبة في تأقلمها مع الأساليب

التعليمية المختلفة.

سكب جستن لنفسه كأساً أخرى وجلس في كرسيه يفكر ويحلل. لم يكن من هيلين إلا أن سارت نحوه ببطء ووقفت قربه ثم سألته:

«وهل تريدها أن تكون فتاة جامعية خارقة الذكاء؟»

«حتماً لا، وأنت تعرفين جوابي مسبقاً. كل ما أريده لها أن تحصل على المعلومات الأساسية الضرورية لكي لا تواجه مصاعب كبيرة عندما تدخل الصفوف العليا في انكلترا.»

لا شعورياً وضعت هيلين يدها على كتفه وقالت:

«هل تعلم يا جستن أنها بدأت الآن تصل إلى النتيجة المطلوبة متبعة المثل القائل إن جميع الطرق تؤدي إلى روما. فالمس رسمت لنفسها خطاً واضحاً بين الأسلوبين المعتمدين يؤدي إلى الهدف ذاته.»

ثم ابتسمت للوجه الذي علته دهشة فرح واعتزاز قائلة:

«نعم، إنها الحقيقة بعينها. لقد توصلت إلى نتيجة ذكية جداً. اسألها بنفسك لتعلم أني لا أبالغ.»

«إنها تبحث مشاكلها معك بكل حرية واقتناع. أليس كذلك؟»

هزت هيلين رأسها علامة الإيجاب، ثم تابعت حديثها:

«أعتقد أنها أصبحت الآن واثقة من نفسها ومن نجاحها إلى حد كبير. وقد خطرت ببالها فكرة جديدة هي أن أعلمها رقص الباليه.»

«وهل ستجيبين طلبها؟»

«حتماً.»

مرت فترة من الصمت، وضع جستن على أثرها يده على يد هيلين الموجودة على كتفه، وقال بهدوء:

«لك رغبة مع جوليت.»

لم تعلق هيلين بشيء على تلك الملاحظة خوفاً من سماع المزيد من كلمات الشكر والتقدير. ولكم سرها كثيراً أنه اكتفى بشد يدها بحرارة، وانتقل إلى موضوع آخر قائلاً:

«بالمناسبة، أقرباؤك سيصلون الليلة من انكلترا. سأتصل غداً بأصحاب الباخرة بعدما أحضر جوليت من المدرسة.»

دهشت هيلين لسماع ذلك. فهل حقاً انقضت فترة سبعة أسابيع على



إرسال برقية إلى صديقتها ليز لإرسال بقية حاجياتها؟ وهل مضى على رجوعها إلى سلمندر أكثر من ثلاثة أشهر؟!

في اليوم التالي، أحضر جستن الصندوقين الكبيرين إلى المنزل، وكان أحدهما بالطبع يحوي كل ما كانت تلبسه أو تستخدمه في الباليه. وفجأة شعرت هي بشيء من الحزن والألم. كانت جوليت تقفز فرحاً وتسألها:

«هل يمكنني ارتداء هذا الفستان؟ إني أحلم منذ زمن بعيد بدور ملكة الجليد.»

«بالطبع يا حبيبتي، ولكنه كبير جداً بالنسبة إليك.»

«لا بأس، لا بأس أبداً.»

تطلع جستن إلى زوجته قلقاً وسألها بصوت منخفض:

«هل تعرفين ماذا تفعلين؟ هل ستتمكنين من مشاهدتها تتخايل وتتمايل أمامك بهذا الفستان، فتذكرك...»

«إنها مجرد ذكرى يجب أن أتوقف عندها في طريقي إلى النسيان. لا يمكن أن أرقص ثانية، فارتداء ثياب الكبيرات هو سعادة بالغة للفتيات الصغيرات. وأنا... لم أفكر... من زمن هذه الثياب... بعد... بعد الذي...»

توقفت فجأة عن متابعة كلامها المتقطع والاسترسال في الذكريات الحزينة وقالت بنبرة ثابتة:

«هذه الثياب لما تكون أمام عيني ولا تزعجني، أو لا تكون على الإطلاق. فلا داعي بتاتاً لإخفائها داخل البيت» وصرخت جوليت متراقصة للتباهي بها.

أثناء مساعدته لها في إفراغ الصندوقين، وقع نظره على ظرف يحتوي على عدد كبير من الصور الفوتوغرافية لهيلين أثناء التدريب على الرقص، أو خلال الحفلات القليلة التي اشتركت بها. وفجأة وقعت صورة صغيرة التقطها مصور واحد تمثل تلك الشابات الضاحكات. وعندما قلب الصورة أثناء إعادتها إلى مكانها، لاحظ أن كلمة واحدة فقط تزينها... توقيع كيفي باسمه الأول.

«هل رافقكما برنت إلى سلمندر؟»

«والآن يا أبي؟ قبل أن أجرب فستان هيلين؟»

«ولم لا؟ انه يوم جميل، وعلينا أن نشاهد بعد تلك الشلالات الرائعة».

تطلعت اليه هيلين حائرة. هل اقترح النزهة لمجرد اللهو او لأنه يريد ابعادها قليلاً عن ذكرياتها والترويح عنها؟ مهما تكن فكرته، فانه رجل فذ... ورجل تحبه. وفيما كانت لا تزال ممسكة باحد فساتينها المفضلة، تقدم نحوها جستن واخذ منها الفستان ثم رماه في الصندوق قائلاً بشيء من الحزم:

«اتركي هذا الفستان لجوليت، وهيا بنا. بدلي ثيابك واحضري لنفسك ثياب السباحة، وسأطلب من أل ان تعد بعض المأكولات والمرطبات».

أ... من الحب ومن عذابه. هل سيحبونها مستقبلاً؟ ومتى؟ وكيف؟ اقتنعت انها ان عيونها كما تريد هي، قلباً وروحاً وجسداً. ولكن الحب... ليس من ضمن الترتيبات المتفق عليها.

انطلقت العائلة الى الخليج، الذي يبعد حوالى ثلاثين كيلومتراً عن مونلا تيمبرا، بعد ان اعدّت أل كل ما يلزم لنزهة تستغرق ساعات في تلك المنطقة الرائعة. وبمجرد وصولهم، كانت جوليت بالطبع السباقة في القفز الى الماء.

www.liilas.com

[illegible] الثلاثة فترة طويلة ثم تمددوا على الرمال الناعمة الدافئة، واخذ كل منهم [illegible] به. ولكن جوليت ملّت الراحة فتسلّلت واخذت لاحد آلة التصوير والتقاط بعض الصور للشلالات.

«موافق، شرط الا تحرقي الفيلم بكامله كما حدث في المرة السابقة. ولكن مهلاً. لم لا نذهب جميعاً الى الشلالات؟».

رقصت جوليت فرحاً ثم انقضت على آلة التصوير وركضت باتجاه الشلالات وهي تقفز وتدعوهما للحاق بها. ابتسم جستن ومد يده لمساعدة هيلين على النهوض قائلاً:

«انه مكانها المفضل في هذه الجزيرة. وهي تحلم منذ فترة طويلة بالتقاط صور ملونة لذلك المشهد الفريد الذي لا يتكرر الا مرة واحدة في اليوم... عندما تضرب اشعة الشمس الشلالات من زاوية معينة. وهذا هو السبب في تسميتها بشلالات قوس القزح».

مضى الثلاثة وقتاً ممتعاً في خليج سلمندر وقرب الشلالات وعادوا الى المنزل بعد غياب الشمس بقليل. استقبلتهم أل عند الباب الخارجي



واحتضنت جوليت التي ألقت بنفسها بين ذراعيها. وفي غرفة الطعام، كان عشاء الفتاة السعيدة جاهزاً فالتهمته بسرور لأن الجوع بلغ بها حداً كبيراً. ثم اعدّت لها هيلين حماماً ساخناً واخبرتها قصة طريفة فيما كانت ترتدي ثياب النوم وتستعد للدخول عالم الاحلام السعيدة. وبعد ان طبع والدها على خديها القبلات المسائية المعتادة وتمنى لها نوماً هنيئاً، خرج من غرفتها قائلاً لهيلين:

«هل نسيت ابلاغك بأنني حجزت طاولة في مطعم سلمندر؟».

«لهذه الليلة؟».

«نعم. الا اذا كنت متعبة بعد السباحة والنزهة المرهقتين».

ثم تقدم منها قليلاً وسألها بجدية:

«هل تريدين ان اتصل والغي الحجز؟».

صمتت برهة وحيرة حائرة، ثم قالت له، بعد ان سيطرت على مشاعر الدهشة التي تملكتها في بادىء الأمر:

«لا، لا بالطبع لا. ما لي... لكن انت متعب»

ابتسم جستن وقال لها مازحاً

«وهل يبدو علي التعب؟ التفكير لي [illegible]؟».

خجلت هيلين من سؤالها واجابت متلعثمة:

«لم اقصد ذلك. كنت اعني فقط... انك... ربما لم تكن راغباً في الخروج مرة اخرى».

«ولماذا لا اكون السهرة لو لم اكن مستعداً لها، وراغباً فيها؟».

ثم تنهد قائلاً لها بلطف رقيق:

«ويحك يا هيلين. لماذا تأخذين كل ملاحظة او جملة اقولها بمثل هذه الجدية الشاعرية؟».

«انا... انا لم... سآخذ حماماً سريعاً وألبس ثياب السهرة».

انتظر جستن حتى بلغت باب الحمام، وقال لها بلهجة مرحة:

«وان لم تخرجي من هذا الحمام خلال عشر دقائق، سأقتحمه واخرجك منه عنوة... مثلما تكونين».

# ٩- رمال تتنهد

فيما كانا يتوجهان نحو ذلك المطعم الفاخر، أخذت هيلين تتساءل عما إذا كانت تعامل جستن بكثير من الخلبة! صحيح أنه يكبرها بخمس عشرة سنة، وأنه بنضجه وخبرته الطويلة في الحياة يفرض عليها احتراماً طوعياً. ولكن الرجل ليس قاسياً أو بارداً، بل رقيقاً وحنوناً... ويحب المرح. فلماذا لا تتجاوب معه؟ عوضاً عن الانزواء بعيداً عنه والانكفاء على ذاتها... وهذا أمرٌ لا يحبه أبداً!

هل أزعجته بتصرفاتها؟ وهل يعلم ما تعانيه هي من التشكك وعدم الثقة بالنفس؟ هل يشعر مثلها بأنهما غريبان يتحاشيان من بعضهما حيناً ويتحولان، في الوقت ذاته، الأشداء على تهذيبها الاجتماعي ومشاعرها المكبوتة؟ وهل تسبب له الضجر والملل؟

فجأة توصلت هيلين إلى قرار صعب، وقررت أن تنشر مشاعرها وتتصرف وفقاً لأسلوب جديد. فاذا كان جستن متضايقاً من انزوائها بالرزانة والوقار، فعليها أنت أن...

توقفت السيارة أمام مدخل الفندق، وخرج جستن ليفتح لها الباب، قائلاً بمرح:

«والله انك لرزانة كبيرة. ألم يجف لعابك من كثرة الكلام؟».

ابتسمت هيلين، واعتذرت عن صمتها طوال الوقت. فما كان منه الا ان قال:

«كنا نحاول في انكلترا على سبيل التندر واخراج انسان عن صمت، أن نستعد لدفع قرش لمعرفة ما كنت تفكرين به».

ضحكت هيلين وردّت عليه قائلة:



«كل الأفكار التي وردت في رأسي منذ خروجنا من البيت حتى الآن لا تساوي قرشاً واحداً بسبب سطحيتها وتفاهتها».

«أصبحنا متساويين».

صمتا في تلك اللحظة داخل المطعم. وعندها سألها جستن:

«هل تريدين الجلوس قرب السمك؟».

«السمك!».

قالتها بتعجب قبل أن ترى الطاولة التي أشار اليها الخادم والواقعة قرب حوض اصطناعي للأسماك والنباتات البحرية. تدخل الخادم محاولاً انقاذ الموقف:

«ربما تفضل سيدتي طاولة تحت القناطر الداخلية؟».

«لا، اعتقد أن...».

وتحولت نظراتها إلى الطاولة المقترحة وشعرت أن الجو هناك أكثر شاعرية وأوسع مجالاً للاسترخاء والتأمل. فقالت مبتهجة لا تقبل الجدل:

«نعم، نعم. أظن تلك الطاولة تحت القنطرة».

وفي تلك الزاوية الهادئة التي تظللها أغصان طبيعية ويبرزها ضوء خافت وحالم، قال لها جستن بعد أن أعطى تعليماته إلى الخادم بما يريدان:

«كنت أظن دائماً أن مراقبة الأسماك الملونة الصغيرة في أحواض جميلة كهذه تريح الأعصاب إلى حد كبير».

«انهم يضعون أحواضاً كهذه في عيادات جراحي الأسنان. ومثل هذه الراحة لا أريدها لنفسي».

ارتفع حاجباه قليلاً وسألها:

«وهل تفضلين العيش متوترة الأعصاب وكأنك تسيرين على حبل مشدود؟».

«لا، طبعاً لا... على الأقل، ليس كل الوقت».

«ولكنك متوترة الأعصاب منذ خروجنا من المنزل. ما هو السبب؟».

«وهل يجب أن يكون هناك دائماً سبب وجيه وتعليل منطقي لكل حالة عصبية بسيطة؟».

لم تسمع جوابه الثاني لأنها لم ترد الخوض في تحليل مشاعرها وحالتها النفسية. وحولت الحديث بسرعة إلى موضوع آخر أكثر أماناً وأقل مخاطرة،

الا وهو جوليت وحملتهم الى شلالات قوس القزح. وعندما بدأ جستن يتناول قطعة الحلوى التي تأتي بعد العشاء، تنبهت هيلين الى ضآلة الوقت الذي تمضيه مع جستن بمفردهما. فمنذ الأيام الأربعة التي امضياها في دوربن، لم تسنح لها الفرصة للانفراد به الا بعد ان تذهب جوليت الى النوم. وحتى تلك الامسيات لم تكن كلها لهما، فحيناً يكون مضطراً لدراسة بعض الأوراق والمستندات، وحيناً آخر يزورهما روبير دورو ليشرب معهما فنجاناً من القهوة ويبحث مع جستن اموراً تتعلق بالعمل والشركة.

الى متى يمكنهما، او بالأحرى تمكنها هي بالذات، الابقاء على تلك العلاقة الروحية؟ او ان عليها انتظار ذلك التحوّل التدريجي الذي لا بد من حلوله بين شخصين يعيشان تحت سقف واحد؟ وعندما انتهت من قطعة الحلوى الكبيرة، رفعت رأسها لتجده يراقبها ويداعبها قائلاً:

«الأفكار مرة اخرى؟ ام انك تستمتعين بهذه المجموعة الضخمة من الوحدات الحرارية؟».

«قليل من هنا وقليل من هناك. لم أعتد على تناول كميات كبيرة من المأكولات والحلوى عندما كنت مع فرقة الباليه».

«تخيلت انك بحاجة لكميات كبيرة من الحلويات لأنها تعطي المزيد من القوة والقدرة على تحمل الارهاق».

«كانت لنا شهية قوية جداً، ولكن مأكولاتنا اقتصرت على اللحم المشوي وسلطة الخضار واشياء مماثلة. فهذه الأنواع تزيد من قوة الانسان ولكنها لا تسبب له السمنة».

ضحك جستن كثيراً وردّ:

«لست قادراً على تخيل اي نوع من الأكل يمكنه ان يجعلك تسمنين. خلال عامين او ثلاثة ستصبح جوليت اكثر وزناً منك. وربما اطول».

وتذكرت هيلين ان جوليت تصل فعلاً الى متر واثنين وثلاثين سنتيمتراً. في حين انها هي لا تتجاوز المتر والسبعين. وبما ان والدها رجل طويل القامة، فليس من المستغرب ان تفوقها طولاً خلال سنوات قليلة. ثم عاد جستن الى الحديث، ولكن هذه المرة بلهجة رقيقة ولطيفة:

«لاحظت تحولاً كبيراً في شكلها خلال عام واحد. فعندما اتيت الى سلستدر في العام الماضي كانت طفلة صغيرة نحيلة الجسم. ولكن عندما



شاهدتها تنزل سلّم الطائرة قبل ثلاثة اشهر، كدت لا اعرفها نظراً للازدياد الملحوظ في طولها، والانخفاض الملحوظ في وزنها».

لم تعلّق هيلين فوراً على حديث جستن، خاصة حين تذكرت ما قالته لها جوليت على الطائرة من انها كانت تتناول كميات قليلة جداً من الطعام بسبب رفض جدّتها السماح لها بالانضمام الى والدها. وعندما ارادت ان تقول ان بعض الأطفال يزداد طولهم فجأة في اعمار معينة، انتبهت الى ان روبير دورو موجود قرب مدخل المطعم يتحدث الى شخص ما. ومع انها تستلطفه وتحترمه كثيراً، فقد تمنت الا يراهما لأنها لم ترد ان يعكر صفوهما وخلوتهما اي شيء على الاطلاق.

تحرك روبير قليلاً، فشاهدت هيلين فتاة ممشوقة القوام تتقدم بضع خطوات ثم تقف قربه مشدوهة وتقول بلهفة:

«جستن!».

استدار جستن بسرعة الى يمينه، وحين شاهد صاحبة الصوت هبّ واقفاً وقال لها بدهشة بالغة:

«لوسي! لم اعلم انك هنا».

شعرت هيلين بصدمة حادة عندما سمعته يقول هذه الكلمات بلهجة واضحة، واكثر من ذلك عندما شاهدت تلك الفتاة تمد يديها الى يدي جستن، قائلة وقد شعّت عيناها بابتسامة رقيقة:

«ما اروع ان التقي بك في الليلة الاولى لعودتي! اوه يا جستن، هل حقاً مضت سنة كاملة؟ لا اصدق ذلك. اخبرني الآن، كيف حالك، وكيف جوليت؟».

«بخير، شكراً».

«اني مشتاقة جداً لمشاهدتها، خاصة بعد انتقالها للعيش معك. وأنت يا جستن، ما هي اخبارك؟ اوه، جستن، انك... انك متزوج!».

تطلع بزوجته قائلاً:

«هيلين، اعرّفك بالآنسة ستدال. لوسي، اعرّفك بزوجتي».

وقفت هيلين بتمهّل ومدّت يدها لمصافحة لوسي. وما زاد في حدّة صدمتها ان الفتاة رائعة الجمال وذات اناقة ملحوظة. عيناها خضراوان واسعتان وبشرتها ناعمة رقيقة، وفمها قرمزي يضج بالنضارة والجاذبية.

لدرجة ان عيون الرجال تظل معلقة به فترة طويلة، حتى بعد ان تتوقف صاحبته عن التحدث او الابتسام.

شعرت هيلين وهي تقف وجهاً لوجه امام لوسي بأنها صغيرة... وشاحبة... وربما تافهة، اذا ما قورنت نفسها بتلك الفتاة الصارخة الجمال. لوسي دائماً متقدة ومتأججة، وما نظرات جستن وروجر ومعظم الرجال الآخرين في المطعم تحوم حولها كالفراشات... تحترق بحبها وتموت بدون ان تتراجع.

ابتسمت لوسي وقالت لهيلين:

«أنا سعيدة بهذا اللقاء. لقد أخبرني روجر الكثير عنك. لا شك انه لأمر فظيع ان تضطري لتتخلي عن تلك المهنة الرومنطيقية الرائعة. ألا تحنين اليها كثيراً؟».

«احياناً».

قالتها هيلين بتوتر. اما لوسي فقد تطلعت بجستن وقالت له وهي تهز رأسها:

«لا زلت غير مصدّقة ما حدث. لقد اعتقدنا انك ستظل رجلاً الى الأبد. ولكنها صغيرة جداً في السن يا عزيزي، وليست على الاطلاق كما نتوقع».

ثم تطلعت بهيلين وقالت لها بشيء من التهكم:

«اعتقد انك شجاعة جداً ايتها العزيزة... اذ تأخذين على عاتقك منذ البداية مسؤولية عائلة جاهزة».

ازداد توتر هيلين، اما لوسي فضحكت وتابعت حديثها قائلة:

«اوه يا عزيزتي، يجب الا يزعجك كلامي الى هذا الحد. كلنا في ملتشستر سيرحبون بك الى ابعد الحدود، وجستن بوجه خاص معتاد على ملاحظاتي السخيفة. أليس كذلك ايها الحبيب؟».

انتظرت منه ان يرد عليها بالإيجاب، الا انه هز برأسه قليلاً وقال بجدية:

«آه، نعم. ولكن زوجتي لم تعتد مثل هذه الملاحظات، ولست متحمسة لأن تعتاد عليها».

ثم تطلع الى القهوة التي تكاد تبرد. فما كان من لوسي الا ان وضعت



يدها على ذراع روجر قائلة:

«يجب الا نقاطع الاحتفال العائلي».

ثم اطلقت ابتسامة جذابة اخرى، ومضت الى الفوق موجهة حديثها الى جستن:

«يجب ان نتحدث عن فكرة انك ترغب في الانفراد لبعض الوقت. ولكن يجب ان تحضر قريباً، كما في السابق، احدى حفلات العطلة الاسبوعية».

وبعد ان سارت خطوتين، وقفت واستدارت نحوهم قائلة:

«وكيف سمحت لنفسي ان انسى؟ مبروك على زواجكما. اتمنى لكما السعادة والهناء».

تطلعت لوسي بعيني هيلين فقرأت فيهما الحيرة، والشكوك، والاشمئزاز... والعداء. ثم همست:

«ولكنكما بالطبع ستكونان سعيدين. وداعاً».

جلست هيلين في مقعدها محاولة طرد تلك الشكوك التي اخذت تراودها بشكل لا يمكن تفسيره. ان لوسي حتماً تعرف الحقيقة. ولكن، أليس من السخافة الشك بذلك؟! فكيف بامكان لوسي ان تعرف... ان زواجها لم يكن نتيجة عشق وهيام، بل مجرد اتفاق مبني على المصلحة المتبادلة؟! لا احد يعرف ذلك. فهي لم تخبر مخلوقاً بهذا الأمر، ومن المؤكد ان جستن ليس من الرجال الذين يفصحون عن مثل هذه الأسرار.

وفجأة مد جستن يده وأخذ منها فنجان القهوة البارد قائلاً:

«اتركي القهوة، ولنشرب شيئاً آخر. فنحن هنا لنحتفل... بشيء او بآخر».

وبعد ان استدعى الخادم وطلب منه ما يريد، وضع يديه على الطاولة وانحنى الى الأمام قليلاً ثم قال لها برصانة:

«اسمعي يا هيلين. الأفضل ان تعرفي القصة من قبل ان يشرع اشخاص آخرون للقيام بهذه المهمة، هذا اذا لم يخبروك فعلاً بها. في العام الماضي، كانت لي... علاقة مع لوسي سندانا. وأنا اعلم تماماً الكيفية التي ربط فيها بين اسمينا. واعلم ايضاً كيف تعمل عقول الناس في مجتمع كهذا حيث حرارة الطقس القوية معظم ايام السنة تشجع النساء على التجمع في منزل احداهن والبحث عن مواضيع جديدة للثرثرة. وعاجلاً

أم آنجلا ستشعر اتجاهي بلذة فائقة وسعادة بالغة عندما تخبرك بأن زوجك أقام علاقة مع لوسي سنوات وأنه يخفي عنك هذا الأمر.

«أنا أعرف القصة. ولا داعي لتوضيح مسألة حدثت قبل تعرّفي بك».

«أعلم ذلك، ولكني أفضّل إبلاغها لك بنفسي».

تلعثمت هيلين قليلاً وهي تجيب:

«نعم... هذا صحيح... ولكني أرجوك ألا تقلق... بسبب ما حدث سابقاً».

أجابها جستن بهدوء وبرودة أعصاب:

«لست قلقاً فيه. ولكني أكره الثرثرة والأقاويل، وكيفية زج اسمي في مواضيع قد تقلقك أو تضايقك».

«الناس في كل مكان يثرثرون، ولا مفر من ذلك».

«هذا صحيح. ولكن ثرثراتهم وأقاويلهم سوف تنشط الآن مع عودة لوسي. ولذا أردت إبلاغك بكل شيء».

قدّم لها سيكارة فرفضتها بتهذيب. أشعل سيكارته وأخذ نفساً عميقاً ثم قال:

«كنت على وشك الزواج من لوسي. ولكنها... رفضت وجود جولييت معنا... وأصرّت على أن أبقيها مع جدّتها في لندن».

شعرت هيلين بأنها في دوامة، ولم تعد تعرف كيف تفكر وماذا؟! لقد أحب لوسي سنوات، ولكنه فضّل سعادة ابنته ومستقبلها على حبه ورغباته. والسؤال الذي أرادت توجيهه ولم تتمكن... هل لا يزال يحبها؟

«وما بك يا هيلين؟ هل أزعجتك بما قلت؟».

تلعثمت مرة أخرى، وقالت له وهي تفرض على نفسها الابتسام:

«لا... لا. كل ما هنالك... أنني لم أفهم أبداً... رفض وجود جولييت. إنها أروع وألطف طفلة تعرّفت عليها في حياتي».

ترددت قليلاً ثم شعرت بأنه يجب عليها أن تقول ما يجول في خاطرها:

«من المؤكد أن لوسي لم تكن تعرف جولييت آنذاك. لأنها لو تعرفت عليها، لكانت...».

«لا يا عزيزتي. لوسي كالفراشة. أمثالها من النساء لا يمكن أن يشعرن بأية عاطفة أو اهتمام نحو أطفال امرأة أخرى، لا بل ربما يضمرن الضغائن نحوه.



شعرت هيلين بحزن عميق. فما قاله جستن قد يكون صحيحاً. ولكنه يمثّل القسوة والأنانية في هذا العالم المادي! هل كانت لوسي حقاً أنانية وبلا قلب إلى هذا الحد؟ ثم انتبهت فجأة إلى جستن وهو يقول لها برقة وحنان:

«حاولي أن تنسي هذا الموضوع نهائياً. إنه يلبّد أمسيتنا التي كنت أنعم بها».

ثم سكب كأسين جديدتين ورفع كأسه قائلاً:

«لنشرب نخبنا... ونخب جولييت».

بعد قليل دعاها جستن إلى الرقص. ومع الموسيقى الحالمة، والضوء الخافت، والشعور بالدفء والأمان بين ذراعيه، زال انقباضها وعادت إليها الابتسامة وراحة البال. وعندما سألها جستن عما إذا كانت تشعر بتحسن وأجابته شاكرة، قال لها:

«أنت إنسانة طيبة القلب إلى أبعد حد، تعانين من فرط التفكير بما كنت ستحدث... صدقيني، لا حاجة لذلك على الإطلاق. لقد أسعدت جولييت كثيراً لأنك منحتها عطف الأمومة. وهذا يسعدني أنا كثيراً. لأنه أصبح بإمكاني أن أبقيها معي وأنا مرتاح البال... إنها تلقى عناية واهتمام ست قادرة على منحها ما تفتقده».

يوماً ما سيستطيع حبها، وسيميل إليها. فما من رجل يمكنه رفض الحب إلى الأبد. وعندما يحين ذلك اليوم سيوجه حبه إلى زوجته. فهو إنسان شريف وذو مبادئ، وبالتالي لن يتحول إلى سواها.

رقصا حتى منتصف الليل، وفي طريق عودتهما إلى البيت شعرت هيلين برغبة في قضاء المزيد من الوقت مع زوجها. وقبل وصولهما بخمس دقائق طلبت منه بصورة مفاجئة العودة إلى البساتين. وبدون أن يحرك رأسه أو يخفف سرعة السيارة، سألها جستن باقتضاب عن سبب ذلك.

«لا أدري. إنها ليلة رائعة، وأنا... أشعر برغبة قوية في... السير قليلاً على الشاطئ».

«أنت مثل جولييت تماماً، عندما تحاول بشتى الطرق تأخير ساعة النوم».

«ألا يكفي أنها كانت ليلة رائعة؟ لقد استمتعت بها إلى أبعد حد، وحقاً!».

قالتها بلهجة حادة لا تنم عن شيء من مشاعرها وهي تختلج في صدرها. كيف يمكنها أن تبوح له بما تشعر هي به منذ الرقصة الأولى معه؟ وكيف يمكن أن

لزوجته عن ذلك الصمت المزعج؟ لا، لم تشعر هكذا نحو اي رجل آخر، حتى كلفن. وشعرت بصوت صارخ في اعماقها يقول: آه يا جستن! لماذا لا تفهم؟ ولماذا لا ازال غير قادرة على الوصول الى قلبك، او على الأقل الافصاح عن مشاعري تجاهك؟ لماذا لا تزال غريبا هكذا عني، وأنا اكاد احبك؟

توقفت السيارة فجأة فمدت يدها الى جهاز الراديو وأخذت تدير مفاتيحه بعصبية. ثم صرخت:

«كيف يعمل هذا الجهاز؟ اريد الاستماع الى الموسيقى».

فوجىء جستن بتلك النبرة القوية ووجد لها المحطة الثانية التي تبث انغاما هادئة وحالمة. ثم قال لها:

«كنت اعتقد انك تريدين السير على الشاطىء».

«لا، اريد ان ارقص».

«ترقصين؟ هنا؟ وفي مثل هذا الوقت؟!».

خرجت هيلين من السيارة وأخذت تتمايل في ضوء القمر. ثم اقتربت منه ومدت ذراعيها قائلة:

«ارقص معي».

تقدم جستن خطوة بإتجاهها، ثم توقف وقال لها بشيء من الانفعال:

«ماذا حدث لك يا هيلين؟ هل انت مريضة؟».

ردت عليه محاولة التقاط انفاسها:

«الم تقل ذلك؟ اريد ان ارقص مرة اخرى... معك».

انتهت المقطوعة الموسيقية وتبعتها اخرى هادئة. وكانت هيلين تتمايل طوال الوقت مع الانغام. ثم امسكت بيده، وشدته نحوها قائلة وهي تضحك بصوت عال:

«انا مهيئة للغناء. وأنت شريك جيد في الرقص. كل ما عليك ان تستسلم للموسيقى وهي تحملك وتنقل خطواتك».

والتف بذراعه وسار معها بضع خطوات الى وسط تلك الفسحة الصغيرة بين الاشجار. وهناك تقبلت بغنج ودلال. والتفت بنفسها عليه قائلة:

«ضمني الى صدرك. ضمني بقوة».

ابعدها جستن عنه قليلا، وأمسك بيديها بطريقة تقليدية قائلا لها:



«يجب الا ترقصي حافية القدمين!».

تنهدت بقوة وقالت له برقة:

«اوه، ارجوك. لا تذكرني بحفلات الرقص العادية. كم احب الرمال الناعمة والباردة، وأحب ان اغرز بها اصابع قدمي واصغي الى تنهدات الامواج وموسيقى القلوب».

ثم امالت شعرها وهزت رأسها بعنف، فتطايرت تلك السحابة السوداء، وكأن عاصفة قوية هبت عليها. صمت جستن وشد على كتفيها قائلا:

«هذه هي المرة الاولى التي اراك فيها تتصرفين على هذا الشكل الهستيري! هل انت...؟».

«انا مسحورة. ربما بسبب روعة الليل. ربما لان في البساتين سحراً و...».

وطوقته بذراعيها قائلة:

«انا بحاجة لحبك يا جستن. اريد حبك يا جستن، لا مجرد...».

ابعدها عنه قليلا وسألها بصوت هامس:

«وماذا تعنين؟».

«اوه، جستن. الا ترى...؟».

انتفض جستن مبتعدا عنها، وقال لها بعصبية:

«هذا جنون يا هيلين. لا تفعلي اي شيء تندمين عليه بمرارة في وقت لاحق والندم!».

وجلست في مكانها، وجالت على شفتيها رعشة الاعتراف بالحب، واعادتها نظراته القاسية وملامحه المتوترة الى عالم الواقع. فسيطرت على مشاعرها الحائرة، ثم ارغمت نفسها على الضحك، قائلة:

«بربك يا جستن، هل يجب ان تكون متزمتاً الى هذا الحد؟ الندم؟ وهل تعتقد ان اخذ المبادرة في الافصاح عن الحب هو من حق الرجال فقط؟».

حملها جستن ووضعها على المقعد الخلفي ثم انطلق بسيارته الى المنزل. وعندما توقفت السيارة، وقبل ان يخرج منها لفتح الباب الخلفي ومساعدتها على دخول المنزل، قفزت هيلين من السيارة وركضت الى غرفتها، وأغلقت الباب.

كيف ستواجهه بعد الآن؟ بعد هذا الجنون؟!

# ١٠- وكأنها انهيار ثلجي

«هيلين!»

ظلت البطة المرتعدة محدقة في الجدار البارد امامها ولم تجب. ناداها جستين مرة اخرى، فلم ترد. ارتفع صوته وتوترت نبرته:

«هيلين! هل انت بخير؟»

ارتفعت شفتاها وظلتا مقفلتين بعناد. وبقيت هيلين بدون حراك متمنية ان يمل ويذهب.

«هيلين! ان لم اسمع جوابك فوراً، فاني ساكسر الباب».

آه يا ربي، لماذا لا يذهب ويتركني اغسل احزاني داخل هذه الغرفة المظلمة؟ الا يعرف انني غير قادرة على مواجهته؟ اريد مزيداً من الوقت...

«هل تسمعينني يا هيلين؟ اجيبي، بربك، والا...».

وسمعت ضربة قوية على الباب. وضعت يدها على فمها بسرعة متذكرة حوليات التي لا تزال نائمة. وصرخت:

«لا، لا يا جستين! سأفتح...».

وهرعت الى الباب لتفتحه. وعندما سمع القفل يتحرك، دفع الباب بعنف فواجهت هيلين ولكنها لم تصب بأذى.

«اذاً انت بخير! لماذا اوصدت الباب؟ او ربما لا تتذكرين هذا الامر ايضاً».

ثم اضاف بلهجة لا تزال غاضبة:

«كيف كان لي ان اعرف انك بخير؟ الم يكن محتملاً ان تكوني مريضة؟ اياك ان تفعلي بي هكذا مرة اخرى».



ثم تقدم منها واعطاها كوباً من العصير الطازج، قائلاً:

«هذا ما تحتاجين اليه في وضعك الحالي».

«وما هو؟»

«انه مزيج من ثلاثة انواع عالية من الفضل، يصفه ابناء الجزيرة لمن هم في مثل وضعك الآن».

«ولكنني لست... احتاج الى... ربما...».

ولم تتمكن من انهاء جملتها، لانها لم تكن تقوى على النظر اليه. وبعد تردد وعنف، اخذت منه الكوب الكبير وذهبت الى النافذة، حيث ارغمت نفسها على شرب محتوياته. لم تكن ترغب في تلك اللحظة ان تشرب فنجاناً من الشاي. وكأنها سمعته يقول:

«اعتقد انه من الافضل لك ان تجلسي. وبعد الانتهاء من شرب العصير، ما عليك الا ان تشربي فنجاناً من القهوة المرة».

انه انسان قوي الشخصية، قاسٍ... حنون... متسلط... رقيق. اخذ الكوب منها واعطاها فنجان القهوة الساخنة. ثم وضع الكوب على الطاولة واحضر فنجانه وجلس قربها ليشاركها قهوة الصباح. رفعت رأسها بصعوبة فالتقت نظراتها، وقالت له بهدوء وخجل:

«انا آسفة! لا اعلم... لا ادري ماذا اقول. صدقني يا جستين انا...».

لم تتمكن من متابعة كلامها، فأحنت رأسها وعادت تحدق في ذلك السائل الاسود الذي تفوح منه رائحة منعشة وقوية.

«اشربي مزيداً من القهوة، ستشعرين بالتحسن خلال فترة قصيرة».

ثم توجه نحو النافذة وازاح الستائر وعاد ليجلس قربها ويتابع شرب القهوة. ولكن ما ان سطع الضوء داخل الغرفة وشاهد احمرار عينيها وآثار الدموع التي انهمرت على خديها اثناء ساعات الليل الموحشة، حتى قال لها بدهشة وحنان:

«كنت تبكين يا عزيزتي! من المؤكد ان البكاء ليس بسبب... آوه يا هيلين! انها ليست نهاية العالم... اطردي الافكار السوداء من رأسك، وانسي الموضوع برمته فهو غير جدير بلحظة ندم واحدة».

تأثرت كثيراً بالحزن القاسي في صوته وتصرفه، وبانت له محاولة ضبط أعصابها ومنع نفسها من البكاء مجدداً:

«ولكن... كيف أنسى فظاعة ما حدث؟ كان يوماً رائعاً... وعشاء ممتازاً. إلى أن... بمجيء تاتي... و...».

«لا، لا. قلت لك أن تنسي الموضوع. أنا مستعد لنسيانه تماماً، إن كان ذلك...».

توقف فجأة عن الكلام جيداً لكي لا يجرح شعورها، وقال مبتسماً: «حقاً انه كان عشاء رائعاً».

بعد فترة من الصمت الذي خيّم عليهما، لاحظ جسدن ان هيلين غير راغبة في تناول طعام الصباح. وعندما سألها عما اذا كانت تريد شيئاً آخر وأجابته بأنها ستحضر لنفسها فنجاناً من الشاي، قال لها:

«لا تتركي السرير. سأطلب من آني ان تعدّ لك ابريقاً بكامله، وسأتأكد من اعداد جوليت كيلا تزعجك. فأنت بحاجة ماسة الى النوم والراحة».

اختفت من وجهه آنذاك جميع مظاهر التعب والانقباض، وحلّت عليه النظرات الحلوة والرقيقة التي اعتادت عليها. وما ان خرج من الغرفة، حتى تفرقت من سريرها... متجاهلة نصيحته الشديدة، واخذت حماماً بارداً ثم ايقظت جوليت وجهزتها للذهاب الى المدرسة.

وبعد ظهر ذلك اليوم قامت ماريز بإحدى زياراتها الفجائية وهي تكاد ترقص فرحاً. فمعظم ما تحتاج اليه يوم زفافها اصبح جاهزاً.

«اخترت كل شيء باللون الأزرق، فهو لوني المفضل. وقد استلمت اليوم الحذاء وحقيبة اليد. كنت خائفة من التأخير فلم يعد هناك سوى ثلاثة أسابيع! وانت يا حبيبتي، ماذا سترتدين؟».

اعترفت هيلين بأنها لم تقرر بعد، الا انها لم تشعر بدنو الموعد الى ذلك الحد. وتابعت ماريز في ثرثرتها:

«لقد قررنا ألا نذهب خارج الجزيرة. سنأخذ عطلة لائقة بعد ان نستقر بصورة نهائية. اني ارغب كثيراً في زيارة نورمن ومشاهدة بعض المتاجر الراقية. ليت هذه الرحلة ليست باهظة التكاليف الى هذا الحد! لقد عاملك جسدن بطريقة يجب ان تفخري بها يا عزيزتي، مع ان الرحلة لم



تستغرق الا بضعة ايام. اوه، وهذا الخاتم الرائع!».

«هل تريدين المزيد من الشاي يا ماريز؟».

«نعم، شكراً. بالمناسبة، هل عرفت ان لويس سندال عادت الى الجزيرة؟».

تضايقت هيلين من طمع زوجة ابيها، ولكنها ضبطت اعصابها وردّت قائلة بهدوء:

«نعم. لقد التقيناها امس، عندما ذهبنا لتناول العشاء في مطعم الفندق».

«وما رأيك بها؟».

«انها جذابة للغاية. لم... لم نتحدث معها لفترة طويلة. كانت برفقة زوجها فريد».

«زوجها؟ انه مضطرب، أليس كذلك؟».

«نعم».

ارتفع حاجبا ماريز تعجباً، ثم هزت كتفيها وكأن الموضوع لا يهمها كثيراً وقالت:

«لا شك في ان فريد سيطلق لويس لو ترجعها الا هي ارادت مرافقته. احمد الله على انك وجسدن قد استقر بكما الحال قبل عودتها. انها...».

توقفت ماريز فجأة حين لاحظت وجه هيلين الشاحب، وقالت لها بلهفة:

«هيلين! تبدين مرهقة جداً اليوم. هل انت بخير؟».

«نعم، طبعاً».

«لا، لا يبدو عليك انك بخير».

تأكدت بالخصوص بينما نسيت لويس سندال وكل ما يتعلق بها. ثم خطرت ببالها فكرة جعلتها تبتسم وتسأل بصوت منخفض:

«هيلين، هل انت...؟».

«انا ماذا؟».

«أوه يا حبيبتي، يجب ان تتذكري انك متزوجة الآن... ولكن اعتقد انه من الباكر بعد ان تفكري...».

فهمت هيلين ما تعنيه ماريز. فاحمرّت وجنتاها وقالت لها بنبرة شبه غاضبة:

«لا، لست كما تظنين».

«حسناً، حسناً. لا داعي للغضب. كان مجرد سؤال عادي. ربما بعد بضعة اشهر... فهناك متسع من الوقت امامكما».

وقفت ماريز واتجهت نحو الباب مودّعة هيلين بمحبة وحنان ثم استدارت نحو هيلين، التي كانت ترافقها الى الخارج، وقالت لها:

«اعتقد انه من الأفضل لك ان تستريحي قليلاً قبل رجوع جستن الى البيت. لا تهملي نفسك هكذا، فالرجال سرعان ما يلاحظون».

نعم، هذا صحيح. ولكن، هل يلاحظ جستن؟ تطلعت نحو المرآة خلفها، قبل ان تشيع برجهها بعيداً وقد ازعجها ما شاهدته من تعاسة وبؤس واضحين. وعلى الفور لبست اجمل ما عندها من ثياب، واختارت افضل ما في خزانتها من مساحيق لاخفاء اي اثر للتعب والارهاق. ثم توّجت ذلك كله باختيارها عطرها المفضل لديه، بالاضافة الى تسريح شعرها حسب الطريقة التي يحبها. وجلست تنتظر قدومه...

لم تختلف تحيته لها في تلك الامسية عن سابقاتها. ابتسامة رقيقة، وكلمة رقيقة، ويد تربّت برفق على كتفها. ثم يفتح ذراعيه لاحتضان جوليت التي تلقي بنفسها عليه وكأنها انهار تلحمي. وتساءلت للمرة الأولى منذ زواجهما... كيف كان سيحيّيها لو لم تكن جوليت موجودة؟ هذه مسألة يجب ألا تفكر بها مرة اخرى. فلولا جوليت اصلاً، لما كانت هنا... ولما تزوجها جستن.

كانت امسية عادية جداً، لم يشر فيها جستن لا من قريب ولا من بعيد لما حدث في الليلة السابقة. بل كان يمزح كعادته ويتصرّف معها وكأن كل شيء على ما يرام.

ومرت بضعة أيام شعرت خلالها هيلين بأن الحاجز النفسي الذي يبعد جستن عنها يزداد اتساعاً. وكان يزيد في المها وتأثرها انها لم تكن قادرة على تبرير هذه المخاوف. فالرجل لم يقم بأية خطوة او يتفوه بأية كلمة لا تعتبر طبيعية معتادة. اذن، فلماذا هذا الشعور؟ ولماذا لا تشعر بالراحة وتتصرف بشكل عادي كلما كان قربها؟



وحاولت هيلين التخلص من هذا الشعور المزعج وذكرياته المؤلمة بالتركيز على تدريب جوليت لمدة ساعتين كل يوم. وقد شكرت الظروف لأن الفتاة الصغيرة وافقت اخيراً على البدء بالتدريب قبل الحصول على جميع الاغراض الضرورية دفعة واحدة. ففي احد الايام قالت لها بتأفف:

«هل يجب ان انتظر بعد مدة طويلة قبل وصول الحذاء؟ الا يوجد احد هنا في السوق يبيع احذية كهذه؟».

«لا، مع الأسف الشديد».

قالتها هيلين بحنان وتفهم تام لتشاؤم جوليت التي عيل صبرها. ثم اضافت موضحة:

«احذية الباليه تصنع خصيصاً لهذا النوع من الرقص. ولذلك اضطررنا للكتابة الى لندن لاحضار زوجين منها».

بعد محاورة قصيرة، اقتنعت جوليت بفكرة هيلين البدء بالتدريب على بعض الحركات الاولية. وصباح ذلك اليوم بالذات، وكان اليوم الأول في العطلة الاسبوعية، تركهما جستن وخرج من المنزل مبتسماً بطريقة غامضة، ثم عاد بعد فترة قصيرة وقد تحوّل التمرين في ابتسامته الى فخر واعتزاز.

اشار الى هيلين للالتقاء خارج الغرفة ثم اعطاها علبة صغيرة قائلاً:

«قبل ان تراها جوليت، ارجو التأكد من ان بامكانها استخدامها. واذا كنت تعتقدين ان لا فائدة لها، فيمكن وضعها جانباً لتقديمها هدية في عيدها او في مناسبة اخرى».

فتحت هيلين العلبة لتشاهد حذاءين رائعين هما اقرب شيء لاحذية الباليه. وكمعظم الرجال الذين لم يتزوجوا، يفتقر في حياتهم عن شراء حاجيات تخص النساء او الفتيات. قال جستن:

«اردت شراء الحذاءين حتى ولو لم تستخدمهما في الرقص. هل ينفعانها قليلاً في مجال التدريب؟».

«انا متأكدة من انهما سيكونان مفيدين، بطريقة او باخرى. اذهب واعطهما لها بنفسك. انها ستطير فرحاً».

اخذ العلبة وتوجه نحو باب القاعة، ثم استدار نحوها ورمى بعلبة مشابهة، قائلاً لها:

«التقطي. هذه لك».

تحولت دهشتها الى سرور بالغ وهي تخرج عقدين مماثلين لا يختلفان بشيء عن حلي جولييت الا من حيث الحجم واللون. فقد اختار اللون الازرق لابنته . . . والوردي لزوجته.

والآن ليتها الفتاة الصغيرة تجرؤ ان تجيء مع مدربة الرقص الجميلة الى الغرفة الخاصة التي اعدتها لكلتيهما.

كان جستن قد حول تلك الغرفة الكبيرة الاضافية في الجانب الخلفي للفيلا الى قاعة تمرين ناجحة جداً. فأرضيتها الخشبية اللماعة، ونوافذها العريضة الواسعة، والاجهزة الموسيقية الحديثة، والكنبة الكبيرة المريحة، اجتمعت كلها لتجعل من تلك الغرفة مسرحاً مثالياً لتدريب جولييت.

وبدأت التمارين اليومية. ساعة في الصباح الباكر، وساعة في المساء. وفي بداية الامر كان جستن ممنوعاً منعاً باتاً من حضور التدريبات. وقد صدر قرار المنع من جولييت، التي قالت لوالدها:

«انها مجرد تدريبات نقوم بها في البداية. ليس هناك من رقص على الاطلاق، بل محاولات تنسيق و . . . وهيلين ايضاً، تشعر وكأنها تقضي حفلتي علاء العشا . . .».

تطلع جستن بهيلين وقال مقاطعاً ابنته:

«من المؤكد انك لا تشبهين قضيباً حديدياً يعلوه الصدأ. ولكني اشعر بأن وجودي غير مرغوب فيه. سأترككما الآن. انتبهي الى رجليك يا هيلين».

ثابرت جولييت على التدريب وفرحت هيلين كثيراً بفهمها السريع والكامل للناحية النظرية، وحفظها الرائع للتعابير الفنية لجميع التمارين. وقد اثار الفتاة الصغيرة وابهجها الى حد كبير، استخدام الفرنسية لغة للرقص. وكانت تفرح كثيراً كلما تمكنت من اطلاع والدها على مفردات او جمل جديدة عندما يسألها كل ليلة تقريباً عن مدى تقدمها.

وفي احدى الامسيات فاجأته جولييت بتدربها على تنفيذ الخطوات الاساسية الاولى بشكل جيد ولفتت النظر. وبعد ان ذهبت مسرورة الى فراشها، تطلع جستن بهيلين قائلاً:

«ولكني، يا جنّي، لم اكن اظن ابداً ان هناك هذا القدر من العمل والتعب ليصبح الانسان راقص باليه!».



وهذا ليس كل شيء».

وخلعت هيلين حذاءيها وجلست على الكنبة، ثم تابعت حديثها:

«وعلى الراقصة ان تكون مطلعة على الانغام الموسيقية بتفاصيلها. كما عليها ان تتعلم شيئاً عن جوانب فنية عدة وتاريخ اشكال الرقص، وذلك لكي يصبح لديها انطباع اوسع يساعدها على التعبير عن نفسها بأسلوب اسهل».

هز برأسه اعجاباً وقال:

«اتصور ان انجازات الراقص هي من اعظم الانجازات الفنية واصعبها. فالعازف تكون آلته موجودة وجاهزة، وما عليه الا ان يبرع في عزفه عليها. اما آلة الراقصة فهي جسدها. وعليها اولاً ان تصوغه في القالب المطلوب، وتدربه وتضبط حركاته، قبل ان يصبح جاهزاً للرقص».

حدقت به هيلين متعجبة من هذا التفسير المنطقي الشاعري، وقبل ان تعلق بشيء على ما قاله، سمعته يضيف:

«لقد راقبتك كثيراً في الآونة الاخيرة ورأيتك تمشين، وتركضين، وتقفزين مع جولييت، وفي احدى المرات . . . ترقصين. ولم الاحظ طوال هذه الفترة اي عرج في رجلك او ارتجاج منها. وقلت لنفسي مرة ان رجلك شفيت تماماً، وانه لم يعد هناك اي سبب يمنعك من العودة الى الباليه . . . مستقبلاً. ولكن، بعد ان شاهدتك تعملين مع جولييت، عرفت معنى التضحية. فالعازف الماهر لن يرغب بآلة موسيقية تعرضت لخلل مهما كان صغيراً او بسيطاً».

ابتسمت هيلين وقالت له، وهي تحاول اخفاء الرجفة من صوتها:

«هذا صحيح. ولكن المحزن هو اني لا اتمكن من استبدال القدم المعطل او شراء آلة جديدة».

«وانا متأسف جداً».

وغرق جستن في صمت مطبق، بينما حولت هي نظراتها الى الافق البعيد واخذت تفكر. فالجزيرة لم تعد تبدو غريبة عنها . . . وكذلك الحشرات الليلية . . . والامطار الاستوائية الغزيرة التي تهطل بضع مرات فقط وتدوم ثلاث ساعات بعد الظهر. الماضي وحده يبدو الآن بعيداً . . . بعيداً جداً.

واستيقظي!».

استدارت قليلاً فشاهدت جستن يقف قربها ويناولها كوباً من العصير

«انه مفيد جداً لك. لا اعني العصير... بل هذا الاهتمام الجديد بجولييت يرقص الباليه. والذي آمل في ألا يخف او يتلاشى».

ثم تردد لحظة واضاف:

«وانك... انك تبدين الآن وكأنك استعدت قليلاً من سعادتك وارتياحك».

تجاهلت نظراته الحنونة وملاحظته الرقيقة قائلة:

«إن اهتمام جولييت قد يكون صرعة مؤقتة، وهذا امر طبيعي بالنسبة لسنها».

«نعم، ولكني لم اكن افكر بجولييت. بل باستعادتك الثقة بالنفس».

سار نحو النافذة ووقف فترة يتأمل الأشجار. ويصغي الى حفيف اوراقها. ثم التفت نحوها قائلاً بهدوء:

«من المحتمل ان يثبت الوقت ان الحادثة لم تكن بالخطورة التي تصورين وحكم الطبيب ليس نهائياً وصارماً. فالطبيب انسان، والانسان يخطئ. وانا متأكد ان طبيبك سيفرح كثيراً لو ثبت له انه لم يكن محقاً في تشخيصه الضرر الذي حل بكاحلك؟».

اقترب منها ووقف امامها متأملاً وجهها برقة، ثم وضع يديه على كتفيها قائلاً:

«انا لا احاول رفع معنوياتك، ولكني افكر منذ بعض الوقت في عرض حالتك على طبيب اختصاصي ماهر في دوربين. وبمجرد موافقتك، سأباشر في اعداد الترتيبات الضرورية».

كانت دهشتها قوية لدرجة انها لم تتمكن من التفوه بشيء. لم كان منه الا ان اضاف مشجعاً:

«ولم لا؟ وهل من ضرر في المحاولة؟ أليس هذا ما تريدينه اكثر من اي شيء آخر في العالم؟».

بعد فترة طويلة من اجابتها المتلعثمة والمترددة، وتغييره للموضوع الذي يؤلمها كثيراً، ظل سؤاله يضج في رأسها طوال ساعات الليل. نعم، فهي لا تزال تحن كثيراً الى الرقص. ولكن حباً آخر دخل حلبة المنافسة من بابها



الواسع. صحيح انها تريد العودة الى الرقص... ولكنها تريد شيئاً آخر اكثر من ذلك... تريد حبه لها.

ما هي الاسباب التي دفعت جستن الى تقديم مثل هذا الاقتراح؟ هل يتطلع الى اليوم الذي؟ لقد مرت ثلاث سنوات تقريباً على زواجهما، ولم يتغير شيء. هل يريد حريته؟ هل ينوي فك الارتباط؟

توترت اعصابها وشعرت بحزن عميق وهي تتقلب في فراشها غير قادرة على النوم. عليها ان تواجه احتمال تخليه عنها وتبحث في امر مستقبلها. واذا كانت عودتها الى رقص الباليه التقليدي امراً مستحيلاً، فان هناك مجالات واسعة اخرى في عالم الرقص، مثل التلفزيون... والمسرحيات الغنائية... والنوادي الليلية! ولكنها لا تريد اياً من هذه الاحتمالات! انها لا تريد اي شيء سوى...

كلا... لماذا طرح فجأة فكرة احتمال عودتها الى الرقص؟ هل كان ذلك نتيجة...؟ هل هناك اية علاقة بين هذا الاقتراح المفاجئ... وعودة لويس سنكلير؟

لم تنم هيلين تلك الليلة وظلت تفكر وتتقلب حتى الفجر. ومع بزوغ الضوء الاول، نهضت من سريرها واخرجت رزمة صغيرة كانت مخبأة في حقيبتها منذ وصولها الى الجزيرة قبل ثلاثة اعوام.

فتحت الرزمة واخرجت حذاء الباليه الوردي الذي اشترته قبل يومين من حادثة الدراجة. لقد حان الوقت لتجيب نفسها، وبالطريقة الوحيدة المتاحة لها، على سؤال يقض مضجعها منذ سنوات. هل تتمكن ام لا؟ الآن ستعرف الجواب، لانها سترقص! ونتيجة المحاولة هي التي ستقوي او ستقطع ذلك الخيط الرفيع الواهن الذي يربطها بماضيها.

اغمضت عينيها وكأنها سترقص في المسرح وامام مئات من المعجبين والنقاد. وعلى انغام تشايكوفسكي بدأت رحلة السعادة. نعم بامكانها ان ترقص مرة اخرى... نعم... نعم... نعم. وشعرت انها تعطي في تلك الرقصة ما حرمت من اعطائه في سنوات ثلاث. فحلقت وابدعت. ومع اقتراب الرقصة من ذروتها، قفزت عالياً في الهواء وحطت... كطائر جريح. فقدمها المصابة لم تتحمل... وسمعت صرخة قوية:

«هيلين! هيلين! وحقك الموت! هل كسرته؟ هل تتمكنين من



www.liilas.com

تحريكها؟».

رفعت رأسها باتجاه الفتاة الصغيرة المذعورة التي كانت لا تزال بثياب النوم، وقالت لها وهي تحاول ارغام نفسها على الابتسام:

«لقد زلت بي قدمي. لا تقلقي يا حبيبتي، فالألم سيختفي خلال لحظات».

«كنت رائعة ومبدعة في رقصك. اوه يا هيلين! هل باستطاعتك الوقوف؟».

ثم خرجت من الغرفة راكضة وهي تصرخ:

«ابي، ابي! هل انت مستيقظ؟ يجب ان تحضر الطبيب! رجل هيلين تؤلمها كثيراً».

تحاملت هيلين على نفسها ووقفت واضعة معظم ثقلها على الرجل الصحيحة، وعادت جوليت قائلة:

«عودي الى هنا فوراً. لا تزعجيه! انا بخير، صدقيني!».

عادت جوليت غير مصدقة تماماً كلام هيلين ثم قالت:

«ربما كسرت قدمك! يجب ان يستدعي ابي الطبيب».

«لا يا حبيبتي، انها ليست مكسورة. كان مجرد انزلاق بسيط».

انها بلا شك مالحة وحاذقة. ولكنها تابعت حديثها باصرار:

«سيزول الوجع خلال فترة قصيرة. يجب الا تخبري والدك لانه... ».

«الا تخبريه بماذا؟ هل هناك من مشكلة او...؟».

ودخل الغرفة قادماً من الشرفة، وعندما شاهد زوجته الشابة، صرخ مستفهماً:

«هيلين! ماذا حدث لك؟».

«لا شيء... انا آسفة جداً على هذه الجلبة والبلبلة اللتين احدثتهما. لقد اردت فقط ان... ».

«لا يا ابي! لقد زلت قدمها. انا شاهدتها وهي تقع. انها غير قادرة على السير».

«لا تبالغي يا جوليت، ارجوك».

لم يعلق جستن بشيء على حجة هيلين، بل انحنى الى الارض والتقط حذاءها الباليه ثم استوى واقفاً وقال لهيلين متعمداً عدم الاقتراب منها:



«تفضلي».

كان رد الفعل الطبيعي على دعوته الواضحة، السير نحوه لاستلام الحذاء من اليد الممدودة نحوها. وما ان حاولت ذلك حتى كادت تقع، فرمى جستن الحذاء وتلقاها بين ذراعيه قبل ان تهوي الى الارض.

هرعت جوليت وفتحت غرفة هيلين، فلحق بها والدها الذي كان يحمل زوجته برفق وحنان. ثم قال لابنته الحزينة:

«اذهبي بسرعة الى ابي واطلبي منها ان تعد بعض الشاي، فوراً. ثم عودي» الى غرفتك وارتدي ثيابك. انا سأعتني بجانيته».

اطاعته جوليت بتردد، فأغلق الباب وراءها ثم استدار نحو هيلين قائلاً لها بلهجة قلقة:

«لماذا السير؟ الم يكن بامكانك الانتظار حتى اجراء فحوصات طبية على القدم المصابة، قبل الاقدام على مثل هذه المحاولات؟».

«لقد وفرت عليك نفقات الرحلة والطبيب والاقامة. جربت حظي... وفشلت. والآن اصبحت متأكدة من انهم لم يخطئوا معي في لندن... عندما قالوا لي ان العودة الى الباليه... مستحيلة».

جلست في سريرها ثم قالت دون ان تنظر اليه:

«ستكون بخير بمجرد ان ترعيها قليلاً».

«وهل انت متأكدة من ذلك؟ علينا اولاً ان نعرف مدى الضرر الذي الحقته بها اليوم».

توجه جستن الى الغرفة الثانية وعاد منها بعد قليل وهو يحمل صندوق الاسعافات الاولية. ثم قال لها:

«سأربط قدمك الآن ثم نضع عليها قليلاً من الثلج لعل ذلك يخفف التورم. واذا ظلت متورمة، سنضطر لاستدعاء الدكتور بارنز».

وبعد ان فتح الصندوق واخرج منه لفة كبيرة من الرباط المطاطي، التفت نحوها وقال لها بلهجة من نفد صبره:

«هيا يا صغيرتي! لا تجلسي هكذا! اخلعي جوربك».

ارتبكت هيلين قليلاً وقالت له متلعثمة:

«هذا... هذا سروال ضيق... خاص بالباليه. وسأضطر لخلع... بقية ملابسي... قبل ان اتمكن... من خلعه».

تنهد جستن متضايقاً وقال:
«وما هي المشكلة؟ انت زوجتي ، هل نسيت ذلك؟».
وقبل ان تتحرك او ان ترد عليه بشيء، كان جستن قد بدأ يساعدها في نزع ثيابها.
«والآن، بعد ان تخلصنا من مشكلة القميص والاحتشام، هل من الممكن ان نحوّل اهتمامنا الى القدم المتورمة؟».
رفعت قدمها المصابة والقتها على الكرسي الصغير الذي وضعها امامها، فربطها جستن برفق قائلاً:
«تبادل المساعدة هو جزء لا يتجزأ من العلاقة الزوجية. وانا اريد مساعدتك من كل قلبي ، فلا ترفضي».
احضر كيساً من قطع الثلج ووضعه على قدم عبلين، بعد ان ساعدها على الجلوس في سريرها وقال لها بحنان واضح:
«انا آسف جداً لما حدث لك. الكلمات تعجز عن وصف مدى اسفي وتأثري».
ثم ربّت على كتفها برقّة ونعومة قائلاً:
«حاولي الا تقلقي يا صغيرتي، حتى ولو كان الالم الجسدي والنفسي لا يطاق. فالحزن بسبب المرض والاعياء».
«ساكون بخير خلال فترة قصيرة، بإذن الله. اعتقد انني كنت احلم في اعماقي ان مثل هذه الحادثة ستقع... ولكني اردت التأكد».
«يؤسفني جداً ان المحاولة لم تنجح. ما من شيء، نريده فعلاً في هذه الحياة ويتحقق».
ثم توجه نحو الباب متأففاً:
«أوه، اين أي وعد الشاي الذي نعده؟».



# ١١-القرار الآخر

انهى الدكتور بيارد ربطه للقدم المصابة قائلاً:
«يجب ان ترتاحي... وان تمتنعي عن الرقص».
ابتسمت عبلين بجهد وقالت له:
«وهل ستطول المدة؟ اعني... ما هو الوقت الذي ستستغرقه عودتي الى الوضع الطبيعي؟».
هزّ الدكتور بيارد كتفيه، واجابها بهدوء:
«الأمر يتوقف عليك انت يا عزيزتي، وعلى ما تعنيه بالوضع الطبيعي. قدمك سبق ان تعرضت لتمزق في الانسجة الخارجية للرسغ. ربما انك تعرفين ذلك. فقد استغربت جداً ان تقدمي على تلك المجازفة الخطيرة. رقص الباليه بشكل خاص يتطلب قدمين سليمتين مئة في المئة».
ثم تطلع بجستن واضاف:
«يجب ألا يقع اي ضغط على هذه القدم لحين زوال التورم. وحتى بعد ذلك...».
عقد جبينه ونظر الى صور الأشعة المعلقة امامه قائلاً:
«اخشى انه سيكون هناك ضعف دائم في هذه القدم، واريد تحذيرك بشكل جدي من احتمال تطور المشكلة الحالية، مع مرور الزمن، الى التهابات في المفاصل».
خيّم صمت مطبق في عيادة الطبيب، قطعه جستن قائلاً:
«لن تحدث بعد الآن اي اعمال سخيفة تؤدي الى مشاكل كهذه، وسوف اتأكد من ذلك بنفسي. شكراً لك يا دكتور. هيا بنا يا عبلين».
كانت جوليت تنتظرهما في السيارة، وعندما شاهدتهما يخرجان من

المباراة، ركضت نحوهما وسألت بشوق:

«هل ستحضرين قاعة بسرعة لكي تشكي من حضور العرس؟».

اجابها والدها وهو يساعد زوجته على دخول السيارة:

«فكرة حضور حفلة الزفاف لم تعد واردة، هيلين يجب ان ترتاح».

شعرت جولييت بغصة وقالت بلهجة حزينة:

«ولكن الزفاف سيتم بعد غد! بامكانها ان ترتاح اليوم وغداً . . . ثم . . . ثم تأخذها بالسيارة، وتجلس هناك على كرسي طوال فترة الحفلة».

«لا، يا جولييت! لا تكوني سخيفة! هل ما في مكان الحفلة لا يشكل اي معضلة على الاطلاق. ولكنك انت المشكلة، اذ انك لا تقدرين على الجلوس في مكان واحد اثناء حفلات الزواج . . . وخاصة هذه».

كانت تلك احدى المرات النادرة التي يفقد فيه جستن صبره مع ابنته. وقد شعرت جولييت بأن والدها متوتر الاعصاب لتكت على مضض محاولة اخفاء حزنها وتأثرها. وكانت هيلين تعرف مدى تشوق الفتاة الصغيرة لحضور تلك المناسبة السعيدة. فوضعت ذراعها على كتفيها وضمتها قائلة لها بمحبة وحنان:

«ولكن لا يزال بامكانك الذهاب، مرتدية فستانك الجديد، واخباري في وقت لاحق عن كافة التفاصيل».

لم يحرك جستن ساكناً، فقالت له هيلين:

«ستأخذها الى الحفلة. أليس كذلك؟».

اجابها ممتعضاً بعض الشيء:

«اعتقد ذلك. كما . . . أنا لا احب حفلات الزفاف، حيث يضطر الانسان ان يتنقل بين الناس وأن يكون مرحاً مع اشخاص كثيرين لا يعرفهم . . . وليس مهتماً على الاطلاق بالتعرف اليهم».

استغربت هيلين تلك الملاحظة كثيراً. فاما انه مهتم بها اكثر مما تصور، واما ثلاثة من اشخاص معينين يعرف انهم سيحضرون حفلة الزواج.

«في اي حال، كما لا افهم تماماً هذا الحماس الشديد عند جولييت لحضور حفلة الزفاف! لو انها احدى اشبينات العروس لعرفنا السبب. ولكنها . . .».

ظلت هيلين صامتة. فتلك لم تكن اللحظة المناسبة لشرح مدى الاهمية



التي تعلقها فتاة بعمر جولييت على ارتداء فستان جديد لحضور احدى حفلات الكبار، وعلى كونها الفتاة الوحيدة المدعوة الى الحفلة. وما زاد في حزن هيلين ان دروس الرقص سوف تتوقف لفترة لا تعرف مداها، ولا تجرؤ حتى على التفكير بها.

وفي صباح اليوم التالي، حاولت جولييت التدريب بمفردها. ولكن الرقص، وخاصة الباليه، لا يمكن اتقانه او التدريب عليه بطريقة صحيحة اذا اكتفى المتدرب بتوجيه التعليمات النظرية. يجب ان تقوم بالحركات المطلوبة امام جولييت لكي تقلدها وتتبع خطاها. وكيف يمكنها ذلك وهي . . . شبه مقعدة؟ وبكت هيلين تأثراً واسفاً، وقد اضاف جستن الى همومها عقدة الشعور بالذنب. الا انه اخذ يتصرف بعصبية ظاهرة مع جولييت، في حين انه يعاملها هي بكثير من الصبر وطول الأناة . . . ويعمل جاهداً للعناية بها وتأمين راحتها، على الرغم من احتجاجاتها المتكررة.

وصبيحة يوم الزفاف، قال لها بهدوء وعطف:

«لو ان جولييت مريضة لكنت قربها ليلا ونهاراً، أليس كذلك؟».

«نعم، ولكن الأمر مختلف».

«كيف؟ لو حدث لي شيء ما فانك بكل تأكيد ستكتشفين في نفسك مواهب التمريض والتطبيب. اذن، اين هو وجه الاختلاف؟».

انسحبت هيلين ولم تعلق بشيء على جملته الاخيرة. فهذا هو النوع من المنطق الذي يستخدمه الرجال عندما لا يريدون متابعة النقاش.

«سأساعدك الآن للذهاب الى الشرفة وتأمين كل ما يلزمك هناك اثناء حضورنا ذلك الزفاف اللعين. واذا شعرت بالحر في الخارج، فانتظري لي. لا تدخلي الى القاعة او الى غرفتك بدون مساعدة. لا يمكن المجازفة بالحاق مزيد من الضرر بهذه القدم. مفهوم؟».

«نعم».

قالتها متعبة، وقد شعرت فجأة برغبة قوية لأن يضع ذراعيه حولها، ويضمها اليه؛ و . . . لا، انها خطوة لا أمل فيها . . . فهو لن يقدم عليها ابداً. انه يهتم بها ويرعاها، ولكنه لن يقع في حبها. ها هو الآن مثلاً يتأكد من ان قربها عدداً كبيراً من الكتب والمجلات، وابريقاً من الشاي، وكمية متنوعة من الفاكهة. و . . .

«والآن، اين هي جولييت؟».
«هنا يا ابي».
وخرجت الى الشرفة وهي لا تزال ترتدي سروالها القصير الأزرق وجلست على كرسي صغير قرب هيلين.
«هل انت مستعدة؟».
«لا يا ابي. فأنا لست ذاهبة».
دهش جستين وقال لها بتعجب:
«لست ذاهبة معي؟ لا تريدين حضور الزفاف؟».
اجابته ابنته بلهجة جدية لا تراجع فيها:
«لا. لقد غيرت رأيي. لم اعد راغبة في الذهاب».
تساءلت هيلين، وقد اصيبت هي الأخرى بالدهشة لهذا التحول المفاجئ، قائلة:
«ولم لا يا حبيبتي؟ كنت اظنك مشوقة لحضور حفلة الزفاف، وارتداء فستانك الجديد، وتسليم الهدية بالنيابة عنا، وأكثر من ذلك... لكي تحضري لي قطعة من كعكة الزواج».
«ابي يمكنه تسليم الهدية واحضار قطعة من قالب الحلوى».
«وهذا ما تظنين ايتها الآنسة؟ انا كنت سأذهب لأجلك. اما الآن، فقد وفرت عليّ مشقة الذهاب. سأتصل بروبرتا [illegible] يا هيلين للاعتذار عن حضور اي منا حفلة زفافها».
تضايقت هيلين كثيراً، خاصة ان جستين الغاضب وجولييت الثائرة المتمردة كانا على وشك البدء بشجار لن يؤدي الا الى المزيد من التوتر فقالت محاولة رأب الصدع:
«لقد تأخرنا كثيراً للاعتذار. فمن المؤكد انها الآن في طريقها الى الكنيسة حيث سيتم زفافها. وأنت يا جولييت، اذا كنت تعتقدين انك مضطرة للبقاء معي كيلا اظل بمفردي، فأنت مخطئة يا حبيبتي. اني اتمنى...».
ووضعت هيلين ذراعها على كتفي جولييت وشدتها اليها قائلة والدمع ينهمر من عينيها:
«هذا كله بسببي انا. فلو لم...».
«لا ليس بسببك ابداً».



قالها جستين بعصبية ملحوظة، ثم اشعل سيكارة وسار نحو الطرف الآخر للشرفة. وبعد لحظات من الصمت المشبع بالتوتر، استدار نحو هيلين قائلاً:
«انا آسف جداً. سأذهب بمفردي. اظن ان اللباقة تقضي بوجود احدنا هناك. اما انت ايتها الآنسة، فسيكون لي معك حديث مطوّل لدى عودتي».
انحنى جستين وقبّل رأس هيلين ثم قال لها:
«لن أتأخر في العودة... بعد ساعتين على ابعد تقدير. سأبلغ [illegible] اشواقك وتحياتك».
لم تقل جولييت شيئاً حتى انطلقت سيارة والدها فعلاً. وعندها تنهدت وقالت:
«انه في حالة من الغضب الشديد».
«نعم، ولا يدهشني ذلك ابداً. لماذا عدلت عن رأيك، بعد ان عملنا جاهدتين على اقناعه بأخذك معه؟».
«لأنه لم يكن راغباً فعلاً بذلك. وعندما يكون الانسان مكرهاً على القيام بعمل ما، أو على الأقل مضطراً لتأديته، فان النتيجة لن تكون بالمستوى المطلوب».
وصمتت جولييت لحظة ثم تابعت حديثها بشيء من التحدي:
«لو ذهبت معه اليوم، لكان حرمني من الاستمتاع الكلي بوقتي. ولهذا رفضت الذهاب».
كانت هيلين تستمع الى كلمات جولييت وتراقب في الوقت ذاته تلك الاصابع الصغيرة التي تتحرك بعصبية وانفعال. ثم تنبهت الى احتمال وجود أمر آخر يقلق الصبية الصغيرة، فقالت لها بدورها:
«هل تذكرين ما قلته لي مرة من ان الناس ليسوا دائماً طيبين في دواخلهم كما هم خارجها؟ كنت تحاولين القول بذلك ان الناس يتظاهرون بأنهم طيبون عندما يقابلون الغرباء او الذين لا يعرفونهم حق المعرفة، في حين انهم يظهرون على حقيقتهم مع افراد عائلاتهم. ولكن ما من انسان يمكنه ان يكون دائماً سعيداً ومحبّاً وقادراً على ترفيه الآخرين كل الوقت. فحياة كل انسان منا، راشداً كان ام طفلاً، تتخللها احزان كثيرة ومشاكل مقلقة.

«هل تفهمين ما اعنيه؟».

هزت جوليت رأسها وظلت صامتة، وكأنها تحاول تحليل ما تستمع اليه من نصائح وارشادات. ثم تابعت هيلين حديثها:

«والدك يا حبيبتي هو احد اكثر الناس الذين عرفتهم حنانا واحساسا وتفهما. وهو يحبك كثيرا. ولكن يجب الا تنتظري منه ان يكون دائما فرحا ومرحا معك. اذ لا يمكنك توقع ذلك من اي انسان، مهما كان طويل البال ومراعيا لمشاعر الآخرين».

«اعرف ذلك. واعتقد انه يتصرف على هذا النحو لأنه قلق على قدميك، ولأنه . . .».

رفعت رأسها نحو هيلين وسألتها بلهفة:

«هل صحيح انك كنت فعلا تنوين العودة الى المسرح؟».

شعرت هيلين وكأن كمية من الماء البارد القيت عليها، وردت على جوليت بتجهم:

«انا . . . انا . . . لماذا توجهين مثل هذا السؤال؟ انا لم اقل اني سأغادركما. انا جزء من هذه العائلة . . . من هذا المكان».

ثم نظرت الى قدميها المصابة وقالت:

«اضافة الى ذلك، فكيف يمكنني العودة الى رقص الباليه بقدم كهذه؟ اسمعي يا حبيبتي، انا لن اتمكن ابدا من العودة الى الباليه . . . ابدا».

«كنت تنوين عرض قدمك على طبيب اختصاصي في لندن لمعرفة ما اذا كان بامكانك العودة الى الرقص. لقد سمعتكما انت ووالدي تتحدثان عن هذا الموضوع. سألت ابي فقال ان ذلك ممكن. الا ان هناك ايضا امورا اخرى».

«وما هي هذه الأمور الأخرى؟».

«لا اعلم. ولكنه قال ان عودتك ستكون لصالحي، لأني سأكون في انكلترا وسأتمكن من مشاهدتك اكثر بكثير مما لو كنت هنا».

صمتت جوليت قليلا، ثم لاحظت ان هيلين لم تكن على ما يرام، فسألتها بصوت خافت:

«هيلين، ما بك هكذا خائفة؟ لقد اخفتني لوهلة».

وعندما لم تسمع جوابا، اغرورقت عيناها بالدموع والقت بنفسها على



زوجة ابيها، التي تعتبرها اما واختا وصديقة، وقالت:

«ارجوك يا هيلين، لا تذهبي! لا تذهبي ابدا. ارجوك ايضا ان تقنعي والدي بعدم ارسالي الى انكلترا او الى مكان آخر. لماذا يا هيلين، لماذا لا نتمكن من البقاء معا طوال حياتنا، كما تفعل بقية العائلات؟».

ضمتها هيلين الى صدرها بمحبة وحنان، وقالت لها والغصة في قلبها:

«انا معك يا حبيبتي، فلا تحزني. انه من الخطأ التفكير كثيرا بما سيحدث مستقبلا. ومن الأفضل ان نفكر بالحاضر، وبما لدينا الآن. سنتمتع يا جوليت، صدقيني. ويجب الا تقلقك اشياء قد لا تحدث ابدا».

رغبت هيلين في قرارة نفسها ان تكون تلك الكلمات انعكاسا حقيقيا لما يدور في رأسها. ثم ارغمت نفسها لتبدو هادئة، وابتعدت جوليت عنها بابتسامة رقيقة قائلة:

«اطلبي من لي ان تحضر لي فنجانا من القهوة، واسأليها ايضا عما اذا اعدت بعض الحلوى».

بعد شرب القهوة والمشاركة في احدى ألعاب جوليت التعليمية، قالت الفتاة الصغيرة:

«الى انه مضى اكثر من ساعتين على ذهاب والدي. هل ننتظره على الغداء؟».

«لا اعتقد ذلك. لأنه سيأكل بعض الاشياء اثناء الحفلة».

«هذا صحيح. وربما امضى وقتا اطول لأنه بالطبع لم يعد مضطرا للعودة في وقت معين بسببنا».

يبدو ان تحليل جوليت كان صحيحا. اذ انه مضت ساعتان على تناولهما الغداء قبل ان تصرخ الفتاة معلنة وصول والدها. رأت هيلين سيارته تدخل الساحة الخارجية، ثم اعربت مع جوليت عن الدهشة عندما شاهدتا سيارتين اخريين تدخلان الساحة.

«معه العمة ماريا والسيد ماكورا! اذن، فحفلة الزفاف قد انتهت. انه وهذه توريز و . . .».

توقفت جوليت عن ابداء دهشتها فيما كان ركاب السيارات الثلاث ينزلون منها. وبلغت دهشة هيلين ذروتها عندما شاهدت زوجها ينزل من سيارته ويفتح الباب بلباقة لصبية رائعة الجمال . . . لوسي سنداد، ولتطبع

لحظات شعرت ان الآخرين غير موجودين . . . وان هناك لوسي وحدها!

«لم تتمكني من حضور الزفاف، فأحضرناه لك».

قالها كيث ماتيون ضاحكاً وهو يقبل الوجنات الثلاث ويعانق هيلين بحرارة. وبعد ان تأملها لحظة قال لها باعجاب:

«انك رائعة يا هيلين، كما كنت دائماً».

وقبل ان تتمكن من الرد عليه او تهنئته بزفافه، قبّلها على جبينها وقال مازحاً:

«اعتقد انه يمكن اعتباري الآن كزوج امك لانني تزوجت زوجة ابيك. ولذا يحق لي تقبيلك كابنة لي. كيف قدمك الرقيقة الآن؟».

«افضل نوعاً ما، على ما اظن. اوه، كم كنت اتمنى ان اكون معكم جميعاً. انا . . .».

وتوقفت عن الكلام عندما احتضنتها ماري وعانقتها بحرارة ومحبة، ثم بدا ان الجميع تجمهروا على الشرفة، واخذ كل منهم يعانقها بقوة ويسألها عن حالها . . . باستثناء لوسي ساندانا، التي ظلت بعيدة عنها . . . قرب جستن.

بدأ المرح والمزح خلال دقائق قليلة، وبدا كأن احتفال الزواج قد انتقل الى فيلا ميموزا. وتعالت الضحكات والقهقهات وكان الجميع في سعادة بالغة. ثم اقتربت منها لوسي وهي تمسك بيد راي ساندانا وتغمزها بتلك، وهي تشير الى خاتم الخطوبة في اصبعها:

«انا وراي ايضاً مستعدان لعقد القران».

تمنت لها هيلين التوفيق والسعادة. وما ان انتهت من تمنياتها حتى سمعت صوتاً ناعماً وصاخباً يقول:

«ما اكثر حفلات الزفاف في الآونة الاخيرة. انها تجعلني اشعر بالوحدة».

ابتسمت لوسي وهي تتكئ على الكنبة التي تجلس عليها هيلين، ثم عقدت جبينها وهي تنظر الى الرباط الابيض العريض الذي يلف القدم المصابة وقالت:

«لماذا لم تخبرينا عما حدث؟ لقد اكتشفت لتوي ان الحادثة وقعت قبل حوالي اسبوع! اعربت عن غضبي الشديد لجستن لانه كان بامكاننا ان نعد



لك شيئاً ما. لا شك انك تشعرين بضجر قاتل لانك غير قادرة على التنقل».

«هل تشعرين بالضجر يا هيلين؟».

خرجت الكلمات جافة من فم جستن، الذي كان يقف صامتاً وراءها بدون ان تعرف بوجوده. كتمت هيلين شفتيها. شعرت ان ايّاً منهم لم يعره اهتماماً، اذ سارعت لوسي الى القول بوجه يشرق ضاحكة:

«طبعاً انها تشعر بالضجر. من منا لا يشعر بذلك في مثل هذه الحالة؟ انا قد اجن اذا وقعت في مثل هذه الحادثة».

«وانت يا لوسي؟ لا يمكنني ان اصدق ذلك».

كانت ابتسامة جستن التي صاحبت ملاحظته هذه كطعنة مفاجئة في صميم هيلين. الا انها حاولت التخفيف من ألم الغيرة الحارقة وارغمت نفسها على الابتسام، بينما كانت لوسي تقلب شفتيها وتقول لجستن مازحة:

«ان مشكلتكم ايها الرجال، انكم تميلون الى حدود معينة لا تتخطونها. اما بالنسبة لعطلة نهاية الاسبوع . . . فاني اصر ان تحضروا جميعاً لتمضية اليوم بكامله معنا. ستكونين في ذلك عزيزتي هيلين. وبالطبع، يجب احضار جوليت . . . سنجد عدة اشياء لتسليتها والترفيه عنها. اتفقنا؟».

تطلعت هيلين مشككة نحو جستن، فرفع حاجبيه قائلاً:

«ولم لا؟ شكراً يا لوسي».

«حسناً. هل ستبدأ حصاد القصب في الاسبوع القادم؟».

«ابتداء من يوم الاثنين، ان شاء الله».

«وهذا يعني انه يجب ان تحضرها لكي لا تقلق قبل انتهائك من حصاد الحقول الباقية».

ثم وجهت ابتسامة تعاطف نحو هيلين وقالت:

«سوف تكتشفين خلال ايام قليلة ما يعنيه الزواج من رجل يملك حقولاً من قصب السكر. سيعود اليك كل يوم متسخاً ومتعباً و . . .».

وهزت كتفيها بطريقة جذابة قائلة:

«ورغم ذلك ايتها الحبيبة، فانك لن تبالي. أليس كذلك؟».

تجاهلت هيلين هذا السؤال ووجهت بدورها عدداً من الاسئلة الى جستن حول تفاصيل الحصاد، وانتاج السكر وتكريره. واثناء ذلك وقع

«طفلات شعرت ان الآخرين غير موجودين. . . وان هناك لوسي وحدها!
«لم تتمكني من حضور الزفاف، فلتحضري الحفلة».
فاطا كيت مالتون ضاحكاً وهو يقفز الدرجات الثلاث ويعانق هيلين بحرارة. وبعد ان تأملها لحظة قال لها بإعجاب:
«انك رائعة يا هيلين، كما كنت دائماً».
وقبل ان تتمكن من الرد عليه او تهنئته بزفافه، قبلها على جبينها وقال مازحاً:
«اعتقد انه يمكن اعتباري الآن كزوج امك لأنني تزوجت زوجة ابيك. وهذا يعني ان تقبيلك كابنة لي. كيف قضيتما الرحلة الآن؟».
«افضل نوعاً ما، على ما اظن. اوه، كم كنت اتمنى ان اكون معكم جميعاً. انا. . . .».
وتوقفت عن الكلام عندما احتضنتها ماري وعانقتها بحرارة ومحبة، ثم بدا ان الجميع تجمهروا على الشرفة، واخذ كل منهم يعانقها بدوره ويسألها عن حالها. . . باستثناء لوسي ستانداد، التي ظلت بعيدة عنها. . . قرب جستن.
بدأ الفرح والمرح خلال دقائق قليلة، وبما كان احتفال الزواج قد انتقل الى فيلا ميموزا. وتعالت الضحكات والقهقهات وكان الجميع في سعادة بالغة، ثم اقتربت منها لوسي وهي تمسك بيد والدي ستاندا وتغمزتها قائلة، وهي تشير الى خاتم الخطوبة في اصبعها:
«انا ووالدي ايضاً سنعقد لنحتفل الشهر».
«لك منا هيلين التوفيق والسعادة. وما ان انتهت من عبارتها حتى سمعت صوتاً ناعماً وصاخباً يقول:
«ما اكثر حفلات الزفاف في الآونة الأخيرة. انها تجعلني اشعر بالوحدة».
ابتسمت لوسي وهي تتكئ على الكنبة التي تجلس عليها هيلين، ثم عقدت جبينها وهي تنظر الى الرباط الابيض العريض الذي يلف القدم المصابة وقالت:
«ماذا لم تخبرينا عما حدث؟ لقد اكتشفت لتوي ان الحادثة وقعت قبل حوالي اسبوع! اعربت عن غضبي الشديد لجستن لانه كان بامكاننا ان نعد



لك شيئاً ما. لا شك انك تشعرين بضجر قاتل لأنك غير قادرة على التنقل».
«هل تشعرين بالضجر يا هيلين؟».
خرجت الكلمات جافة من فم جستن، الذي كان يقف صامتاً وراءها بدون ان تعرف بوجوده. كتمت هيلين شعورها، شعرت ان اياً منهما لم يعره اهتماماً، اذ سارعت لوسي الى القول بوجه يشوبه ضاحك:
«طبعاً انها تشعر بالضجر. من منا لا يشعر بالملل في مثل هذه الحالة؟ انا قد اجن اذا وقعت لي مثل هذه الحادثة».
«وانت يا لوسي؟ لا يمكنني ان اصدق ذلك».
كانت ابتسامة جستن التي صاحبت ملاحظته هذه كطعنة مؤلمة في صميم هيلين. الا انها حاولت التخفيف من ألم الغيرة الحارقة وارغمت نفسها على الابتسام، بينما كانت لوسي تقلب شفتيها وتقول لجستن مازحة:
«انتم ايها الرجال، تصرفكم يصل الى حدود معينة لا يتخطاها. اما بالنسبة لعطلة نهاية الاسبوع. . . فلا امر ان تحضروا جميعاً لتمضية اليوم باكمله معنا. سيكون في ذلك تغيير لهيلين. وبالطبع، يجب احضار جوليت. . . سنجد هناك اشياء لتسليتها والترفيه عنها. اتفقنا؟».
تطلعت هيلين مشككة نحو جستن، فرفع حاجبيه قائلاً:
«لم لا؟ شكراً يا لوسي».
«حسناً. هل ستبدأ حصاد القصب في الاسبوع القادم؟».
«ابتداء من يوم الاثنين، ان شاء الله».
«وهذا يعني انه يجب ان تحضروا لكي لا تنظر قبل انتهائك من حصاد الحقول الباقية».
ثم وجهت ابتسامة تعاطف نحو هيلين وقالت:
«سوف تكتشفين خلال ايام قليلة ما يعنيه الزواج من رجل يملك حقولاً من قصب السكر. سيعود اليك كل يوم متسخاً ومتعباً و. . .».
وهزت أنفها بطريقة جذابة قائلة:
«وربع ذلك ايتها الحبيبة، فلك ان تتخيلي. أليس كذلك؟».
تجاهلت هيلين هذا السؤال ووجهت بدورها عدداً من الاسئلة الى جستن حول تفاصيل الحصاد، وانتاج السكر وتكريره. واثناء ذلك وقع

نظرت لوسي الى العلبة الموسيقية الصغيرة، فقالت:
«أوه، ما هذه؟»
ثم تناولتها من مكانها قائلة:
«هل تسمحين؟ أنا مغرمة جداً بمثل هذه الأشياء».
وبإشارة ذات مغزى فتحت الغطاء، وأخذت تتأمل راقصة الباليه الصغيرة ثم سألت هيلين:
«انها لطيفة جداً. هل هي لك؟».
«لا، انها لجوليت».
«ولكن أنت أعطيتها لها. أنا متأكدة من ذلك».
وتطلعت لوسي بعيداً وكأنها تحاول ان تتذكر شيئاً هاماً. ثم قالت:
«أعرف هذا اللحن الموسيقي... ولكني نسيت عنوانه».
ثم أحنت رأسها قليلاً وكأنها تستمع وتركز تفكيرها كله على هذه المقطوعة. وفجأة نظرت الى جستن وبدأت تغني كلمات الأغنية بصوت ناعم جميل. ولم يكن عنوان الأغنية سوى:
«عودي الى قلبك مرة أخرى»
وتساءلت هيلين بانزعاج... هل كانت مصادفة! هل هي تتخيل أو تتصور أشياء ليست موجودة، كتلك النظرة الناعمة التي وجهتها الى جستن... أم انها كانت تعني...
كان منزل عائلة مندانا يقع على قمة تلة تشرف على الخليج. ويلاحظ القادمون اليه مدى ضخامته وشساعة الحديقة التي تحيط به، والتي تضم حوضاً للسباحة بالاضافة الى جزء كبير من الشاطئ. ويوجد أيضاً مرسى لليخوت والقوارب وبيت خاص ليخيم بالقدم.
وقد اظهرت جوليت على الأقل حباً ملحوظاً لتلك الزيارة، التي اعدت لها ثياب البحر وآلة التصوير المزودة بعدسة خاصة. وشغلها حماسها وشوقها لتمضية ذلك اليوم بكامله خارج البيت عن ملاحظة جو التوتر الصامت الذي كان سائداً حولها. فهيلين كانت مرتبكة بعض الشيء، ووالدها كان يجيب على اسئلتها المتلاحقة بكلمة نعم أو لا.
«أجمل ما في جوليت، بالنسبة للزيارات، انها ليست خجولة. اذ يمكن نقلها الى أي مكان».



فألقى جستن بالتحية شبه جافة بعد ان اوقف السيارة وشاهد ابنته تقفز نحوها ملوحة للمضيفة الجميلة.
«أهلاً وسهلاً ومرحباً. ولكن ارجوك...».
وضحكت لوسي وهي تواصل ترحيبها بجوليت قائلة:
«ارجوك، لا تستعملي كلمة العمة عندما تتحدثين معي».
ثم صافحت هيلين وجستن وقالت لهما:
«البيت سيكون تحت تصرفنا طوال النهار، اذ ان الوالدين ذهبا لصيد السمك ولن يعودا قبل المساء. بعض الاصدقاء الآخرين سيصلون في وقت لاحق».
لم يكن بالامكان انتقاد لوسي كمضيفة. فقد كان كل شيء معداً وجاهزاً وكان الضيوف سيحضرون بوجبهم في انخم الفنادق العالية. ولفت نظر هيلين بشكل خاص المقعد المريح للمدبة الذي وضع قرب بركة السباحة تحت مظلة كبيرة تقيها حر الشمس. هذا بالاضافة الى عدد من المجلات وجهاز راديو وابريق من عصير الفاكهة.
احتجت هيلين بتهذيب واعجاب قائلة:
«ولماذا هذا العذاب كله؟ أنا لست مقعدة!».
«طبعاً لا يا عزيزتي. ارتاحي، وافعلي ما تريدين. فالجميع هنا يتصرفون بحرية وكما يشاؤون».
«هل يمكنني النزول الى بركة السباحة يا عمتي... عفواً، يا لوسي».
ابتسمت صاحبة الدعوة وهي تتأمل الصبية الصغيرة التي كانت السباحة لارتداء ثياب السباحة، ثم قالت لها:
«بالطبع يا حبيبتي. الجزء العميق يقع في الجهة المقابلة. بالمناسبة، هل تعومين جيداً؟».
«الى حد ما».
علقت لوسي معطف البحر الأبيض الذي كانت ترتديه فوق ثياب السباحة قائلة:
«سانضم اليك على الفور».
ثم تطلعت بجستن وهيلين وقالت:
«هيا رافقانا بالانضمام الينا».

هزت هيلين برأسها قائلة:
«لا شكراً».
اما جستين فرد بالقول انه لم يحضر معه ثياب البحر. رفعت لويس حاجبيها وقالت:
«يوجد الكثير منها في غرفة الملابس... هل نسيت؟».
«ربما في وقت لاحق. أنا... اشعر بشيء من الكسل».
كانت عيناه مختبئتين وراء نظارات شمسية داكنة، ولهجته عادية جداً لا تنم الا عن مجرد جواب مهذب. الا ان هيلين شعرت بأن نظراته تلاحق الفتاة الجميلة وهي تنزل الى الماء بغنج ودلال. وهل يمكن فعلاً لأي رجل ان يتجاهل هذا الجمال وهذه الجاذبية... خاصة مع هاتين القطعتين الصغيرتين اللتين ترتديهما!
حول جستين نظره فجأة الى زوجته قائلاً:
«انها تحاول تعليم جوليت على ما يسمى بضربة الفراشة».
«نعم. انها صبورة جداً مع جوليت».
وفجأة ادهشها جستين بسؤال لم تكن تتوقعه:
«يبدو انه ليست لديك أي رغبة على الاطلاق في اقامة صداقة معها، أليس كذلك؟».
صمتت هيلين لحظة محاولة ايجاد الكلمات المناسبة للرد على هذا التحدي. ولكنها لم تتمكن، واكتفت بكلمة نعم التي قالتها بضيق وانفعال. فهي فعلاً غير راغبة بمثل هذه الصداقة.
«انها انسانة كريمة جداً».
«هذا صحيح».
صحيح انها مشهورة بكرمها وحسن ضيافتها. فهي عطوفة بما فيه الكفاية لأنها قادرة مادياً على البذخ والانفاق. ولكن، هل هي كريمة بأمور غير مادية؟ وسألها جستين بهدوء وتمهل:
«هل سبب تحفظاتك هذه يعود الى ما اخبرتك اياه؟».
احتفظت هيلين بنبرة ثابتة وهادئة، وقالت له بدون تردد:
«لا، ليس ذلك بالتحديد. ولكن ليس بامكان كل انسان ان يقيم صداقة قوية مع انسان آخر. اضف الى ذلك، ان للمرأة اسلوباً مختلفاً في



اقامة علاقات صداقة مع بنات جنسها».
لم يعلق جستين بشيء على تلك الملاحظة، ولكنه وقف فجأة وقال:
«اعتقد انني سأبدل ثيابي واسبح قليلاً».
وبدون ان يلتفت الى الوراء، او ينتظر تعليقها، توجه بخطى سريعة نحو غرفة الملابس وخرج منها بعد قليل لينضم الى لويس وجوليت. اما بالنسبة لهيلين، فكانت ساعات النهار تمضي بتثاقل وكسل. وعلى الرغم من محاولاتها الجاهدة، فانها لم تتمكن من مبادلة لويس الكلمات الودية والرقيقة التي كانت توجهها لها باستمرار. ولم تشعر بشيء من الانفراج الا عندما وصل روجر ومن بعده دوك وعدد آخر من الشبان والشابات، واضطرت لويس للاختلاط بهم. وما ان غابت الشمس وحل الظلام الاستوائي بسرعة حتى اضيئت الانوار حول بركة السباحة، وانسابت موسيقى حالمة من مكبرات خفية.
ارتدت لويس آنذاك قفطاناً من الحرير الأزرق الشفاف واخذت تتنقل بين المدعوين توزع عليهم ابتساماتها الرقيقة، وتتبادل معهم النكات والطرائف، وتسألهم عما اذا كان ينقصهم أي شيء على الاطلاق. وكان روجر اول من دعاها الى الرقص، فاستجابت مبتسمة وشاكرة.
وسحبت لورين كرسياً قرب مقعد هيلين، وقالت لها وهي تشير الى روجر:
«انظري الى هذا الشاب المسكين الذي سلبته لويس عقله وقلبه. هل يمكنك القول انه ضحية تحب وتنتظر الى أمد مداه؟ ولكن هذه العلاقة لن تدوم طويلاً... الانتصارات التي تحققها لويس بسهولة لا تدوم عادة اكثر من فترة قصيرة. وسيشعر هذا المسكين بوخز الضمير والندم، ربما عندما لا يعود الندم ينفع».
ادهشت لورين ميكلاس هيلين بسرعة ان تنكد هذا السؤال. لم تمهلها وقالت:
«من المؤسف جداً ان تمضي سهرتك هكذا وحيدة في مثل هذا الوقت. فزوجك المحبوب يبدو وكأنه الضحية الثانية».
اجابتها هيلين بلهجة حاولت ان تظهرها مقنعة، مع انها كانت تشعر في اعماقها بعكس ذلك:
«لا يمكن ذلك. فجستين رجل راشد ولا يعد شاباً مراهقاً يقع في الشرك

مثل هذه السهولة.

ومع ذلك بدأت تراقبه باهتمام بالغ. وشعرت بأنها ستتألم كثيراً إذا رقص معها أكثر من مرة... أو إذا... وتنهدت هيلين عندما رأته يبتعد عن لويس ويحني لها رأسه بلياقة وتهذيب، ثم يتحول إلى ابنته ليأخذها بين ذراعيه ويضمها بحنان.

وفجأة سألتها نورين:

«ألست قلقة؟ أعني بالنسبة لعودتها بهذه الصورة بعد... لو كنت مكانك لشعرت بقلق عظيم. أنا أعرف لويس منذ عدة سنوات... وأشكر الله عز وجل لأنني سأتزوج أخاها، وليس رجلاً آخر».

«لو أرادها، لكان تزوجها. لقد انتهى كل شيء، فلماذا القلق؟».

عقدت نورين جبينها وقالت:

«لا أعرف... هناك أمر ما بالنسبة لكي، أنت وجستن و... أوه، أنى على الأرجح أتخيل أشياء لا وجود لها. في أي حال، فأنا لا أثق بها إطلاقاً. ولو لم يكن رأي شقيقها لعملت جاهدة للابتعاد عنها قدر الإمكان».

وابتعدت نورين بسيكارة ثانية ثم أضافت قائلة:

«وأنا أعتقد أن لويس ليست راغبة في الزواج الآن. فهي حالياً سعيدة جداً بإضافة أسماء جديدة إلى قائمة ضحاياها الطويلة ولو كنت مكانك، لحاولت جاهدة عدم إقامة علاقة ودية معها. السماح بالاقتراب أو التودد يفتح الباب أمام الأخطار».

«أعتقد أن الأوان قد فات».

قالتها هيلين بمرارة شاعرة لحظة بأنها على وشك مصارحة نورين بما يجول في خاطرها، والاستعانة بخبرتها ونصائحها. ولكنها أحجمت عن ذلك... لأن إرشادات نورين لن تنفع، ما من شيء ينفع! عليها أن تقنع بما قرره جستن... إلى أن يقرر شيئاً آخر. ولم تسمح لنفسها حتى بالتكهن بما سيكون عليه القرار الأخير. ولكن، في وقت لاحق من تلك الليلة... عندما كانت لا تزال مستيقظة في غرفتها، في فيلا ميموزا، تمنت هيلين من أعماق قلبها وبكل جوارحها لو أن لويس ستيدمان ظلت بعيدة عن سلطنتي... إلى الأبد.



# ١٢ - الزوجة العاشقة

صبيحة اليوم التالي بدأ جستن والعمال الراقصون له جهوداً موسمية من قصب السكر لذلك العام. وصدقت بعض توقعات لويس، من حيث أنه عاد متأخراً... ومتعباً... ومتوتر الأعصاب. ولكن الأمر الذي أثار استغرابها وقلقها هو امتناعه عن تناول العشاء. وتكررت الصورة نفسها مساء الثلاثاء.

وعندما شاهدته مساء الأربعاء وعلى ذراعه جرح كبير، شعرت بأنها لم تعد قادرة على إخفاء قلقها والتزام الصمت بصدد متاعبه وتوتر أعصابه. ولكنه طمأنها قائلاً:

«إن الجرح ليس عميقاً على الإطلاق. والأفضل أن تسيه معقماً وليس جرحاً».

«أعلم ذلك يا جستن. ولكن أرى أن تكشف الضماد قليلاً... وسوف تزيل الرباط غداً صباحاً».

«وهل سيسعدك ذلك؟».

أدهشتها تلك النبرة في صوته... إلى لم تحكي كالعادة شعور الرجعة والتعليل، بل شعور الإنسان المتعب الذي يريد راحة بأي ثمن وبدون أية مناقشة. وعندما انتهت من تضميد الجرح، تمتم جستن بكلمة شكر واحدة بدون الالتفات إليها. ما هو سبب هذه التصرفات الجافة المؤذية يا ترى؟ أهو الحصاد ومتاعبه ومشاكله، أم أنه ذلك الوضع الذي تحيي هي فيه كل لحظة منذ بعض الوقت؟

وتنهدت هيلين قائلة لنفسها أن موسم الحصاد سينتهي قريباً وينتهي معه توتر الأعصاب حول تأمين شحن الكميات المتوفرة إلى معمل التكرير في



www.liilas.com

كل هذه السهولة.

ومع ذلك بدأت تراقبه باهتمام بالغ. وشعرت بأنها ستتألم كثيراً لو رقص معها أكثر من مرة... أو اثنتين!... وتنهدت هيلين عندما رأته يبتعد عن لوسي ويحني لها رأسه بلباقة وتهذيب، ثم يتحول إلى ابنته ليأخذها بين ذراعيه ويضمها بحنان.

وفجأة سألتها نورين:

«ألست قلقة؟ أعني بالنسبة لعودتها بهذه الصورة بعد... لو كنت مكانك لشعرت بقلق عظيم. أنا أعرف لوسي منذ عدة سنوات... وأشكر الله عز وجل لأنني سأتزوج أخاها، وليس رجلاً آخر».

«لو أرادها، لكان تزوجها. لقد انتهى كل شيء، فلماذا القلق؟».

عقدت نورين حاجبيها وقالت:

«لا أعرف... هناك أمر ما بالنسبة لكِ، أنت وجستن، و... أوه، إني على الأرجح أتخيل أشياء لا وجود لها. في أي حال، فأنا لا أثق بها إطلاقاً. ولو لم يكن رأي شقيقها لنصحت جاهدة للابتعاد عنها قدر الإمكان».

وابتسمت نورين بسخرية ثم أضافت قائلة:

«وأنا أعتقد أن لوسي ليست راغبة في الزواج الآن. فهي حالياً سعيدة جداً بإضافة أسماء جديدة إلى قائمة ضحاياها الطويلة ولو كنت مكانك، لحاولت جاهدة عدم إقامة علاقة ودية معها. السماح بالاقتراب أو التودد يفتح الباب أمام الأخطار».

«أعتقد أن الأوان قد فات».

قالتها هيلين بمرارة شاعرة فجأة بأنها على وشك مصارحة نورين بما يجول في خاطرها، والاستعانة بخبرتها ونصائحها. ولكنها أحجمت عن ذلك... لأن إرشادات نورين لن تنفع، ما من شيء ينفع! عليها أن تقنع بما قرره جستن... إلى أن يقرر شيئاً آخر. ولم تسمح لنفسها حتى بالتكهن بما سيكون عليه القرار الآخر. ولكن، في وقت لاحق من تلك الليلة... عندما كانت لا تزال مستيقظة في غرفتها، في فيلا ميموزا، تمنت هيلين من أعماق قلبها وبكل جوارحها لو أن لوسي سندانا ظلت بعيدة عن سلطنتي... إلى الأبد.



# ١٢ - الزوجة العاشقة

صبيحة اليوم التالي بدأ جستن والعمال الإضافيون له حصاد موسم من قصب السكر لذلك العام. وصدقت بعض توقعات لوسي، من حيث أنه عاد متأخراً... ومتعباً... ومتوتر الأعصاب. ولكن الأمر الذي أثار استغرابها وأقلقها هو امتناعه عن تناول العشاء. وتكررت الصورة نفسها مساء الثلاثاء.

وعندما شاهدته مساء الأربعاء وعلى ذراعه جرح كبير، شعرت بأنها لم تعد قادرة على إخفاء قلقها والتزام الصمت بصدد متاعبه وتوتر أعصابه. ولكنه طمأنها قائلاً:

«إن الجرح ليس عميقاً على الإطلاق. والأفضل أن تسميه خدشاً وليس جرحاً».

«أعلم ذلك يا جستن. ولكن أتمنى أن تدعني أضمده قليلاً... وسوف نزيل الرباط غداً صباحاً».

«وهل سيسعدك ذلك؟».

أدهشتها تلك النبرة في صوته... التي لم تعكس كالعادة شعور الرفض والتجاهل، بل شعور الإنسان المتعب الذي يريد راحة بأي ثمن وبدون أية مناقشة. وعندما انتهت من تضميد الجرح، تمتم جستن بكلمة شكر واحدة بدون الالتفات إليها. ما هو سبب هذه التصرفات الجافة الموترة يا ترى؟ أهو الحصاد ومتاعبه ومشاكله، أم أنه ذلك الوضع الذي تعيش هي فيه كل لحظة منذ بعض الوقت؟

وتنهدت هيلين قائلة لنفسها أن موسم الحصاد سينتهي قريباً وتنتهي معه توتر الأعصاب حول تأمين شحن الكميات المطلوبة إلى معمل السكر في

موريشيوس. والمؤسف في الأمر أن الثلج المستخرج من قصب السكر لم يكن كافياً لإقامة معرض تكريم فيها.

ولم تكن هيلين وحدها ضحية للعائلة والمشاكل الناجمة عن مشاغل جستن المرهقة. فجولييت أيضاً أصبحت مضطرة خلال تلك الأيام للعودة إلى البيت مستخدمة سيارة الركاب الكبيرة التي تمر قرب مدرستها، عوضاً عن العودة بسيارة والدها. وفي يوم الخميس الرابع شعرت هيلين بأن الورم قد خف من قدمها، وأن بإمكانها السير مسافات قصيرة بدون الشعور بألم أو تعب. فقررت عند الظهر ملاقاة جولييت على الطريق العام ومرافقتها حتى المنزل.

انتظرت هيلين حوالي عشرين دقيقة قبل أن تصل السيارة الزرقاء المتوسطة الحجم متأخرة نصف تلك الفترة. توقفت السيارة واتكأ السائق على مقوده بانتظار صعود الراكبة الوحيدة الموجودة هناك. وعندما لم تتحرك، هز بكتفيه مستغرباً وانطلق نحو محطته التالية. وكانت هيلين أشد استغراباً من السائق، إذ أن جولييت لم تنزل من تلك السيارة. لماذا يا ترى؟ هل انطلقت السيارة من موقفها أمام المدرسة قبل انتهاء الدرس الأخير؟ هذا ليس ممكناً. فالسيدتان ... كما يسميهما جستن، مشهورتان بدقة مواعيدهما.

عادت هيلين إلى البيت وبعد لحظات تفكير وحيرة، رفعت سماعة الهاتف واتصلت بالمدرسة. وجاء جواب الاستفسار ليقلقها ويثير في نفسها المخاوف والشكوك. نعم، غادرت جولييت وبقية التلاميذ المدرسة قبل عشر دقائق من موعد الباص! أعادت سماعة الهاتف إلى مكانها وأخذت تفكر بالخطوات التالية التي يجب أن تقوم بها. وفجأة رن جرس الهاتف...

«جولييت؟».

عرفت هيلين صاحبة الصوت قبل أن تجد لوسي ضرورة لتقديم نفسها والترحيب التقليدي الشائع في بداية المكالمات الهاتفية. ولكن، لماذا لوسي في مثل هذا الوقت؟ وجاء الجواب على الفور، عندما سمعتها تقول لها برقة ونعومة:

«شعرت بأن من الأفضل إبلاغك بأن جولييت موجودة هنا... وذلك



كيلا تقلقي».

ردت عليها هيلين بلهجة حاولت قدر المستطاع إخفاء حدتها وغضبها:

«ولكني قلقت كثيراً عندما لم تصل إلى البيت في الموعد المحدد. بالمناسبة، أين أنتما بالتحديد؟».

«في بيتنا طبعاً. وجولييت على وشك البدء بالتمرين على قصيدة الفراشة التي كنت أدربها عليها في الأسبوع الماضي. هل تذكرين؟».

«أذكر ذلك جيداً. ولكن، هل لي أن أسأل متى تم إعداد هذه الترتيبات؟».

«أوه، هيلين! لم تكن هناك أية ترتيبات معدة سابقاً. فكل ما حدث هو أنني كنت أمر بسيارتي صدفة أمام مدرستها، وكانت هي خارجة من الصف... كانت دعوة مرتجلة، ولكن سرّت بها جولييت كثيراً. طلبت من الخادمة أن تعد لنا قليلاً من الشاي والحلوى لما بعد التمارين».

كان غضب هيلين قد بلغ آنذاك مرحلة الغليان. فقالت بحدة واضحة:

«وهل خطر في بالك كيف ستعود جولييت إلى البيت؟ السيارة مع جستن، والموعد التالي لمرور سيارة الركاب قرب منزلكم يتأخر كثيراً عن الموعد».

ردت عليها لوسي بصوت منخفض يعبّر عن شيء من التهكم والسخرية عندما قالت:

«وهل تظنين أنني كنت سأرسلها إلى البيت مشياً على الأقدام؟ لا تخشي

شيئاً، رأيي أن أنا سأوصلها بالسيارة... في الوقت المناسب. هل كل شيء الآن على ما يرام؟».

«لا، ليس على ما يرام إطلاقاً. كان عليك إبلاغي في وقت سابق. على الأقل، الذوق يقضي بذلك؟ ثم، كيف تعرفين أنني لم أقم فعلاً بترتيبات أخرى لجولييت في مثل هذا الوقت؟».

أجابتها لوسي بهدوء وقد تبدلت نبرة صوتها من التهكم إلى الانزعاج:

«أوه، يا عزيزتي! إنك تأخذين موضوع أمومتك الجديدة بكثير من الجدية. أنا متأكدة من أن جستن لا يقوم بمثل هذه الجلبة التي لا ضرورة

لها.

«وانا ام جوليت الآن».

قالتها هيلين باصرار مشددة على كلمة ام. ثم تابعت حديثها بنفس الجدية:

«وانا امها ومسؤولة عنها. هل بامكانك ان تتذكري هذا الأمر في المستقبل وتستشيريني قبل ان توجهي دعوة اخرى من دعواتك المرتجلة هذه؟».

لم ترد لوسي بشيء، تجاهلت الخطاب، ثم قالت بتهكم وعصبية:

«لقد اختار جستن بالتأكيد صانعاً صارماً وقاسياً لتولّيه امر جوليت الصغيرة المشاكسة. حسناً يا عزيزتي، سنعيدها خلال فترة قصيرة. وداعاً».

وضعت هيلين سماعة الهاتف في مكانها بعنف، وقد استبد بها الغضب والقلق. كيف تسمح لوسي ستدانا لنفسها بان تأخذ جوليت هكذا الى بيتها، بدون استشارة احد او ابلاغ احد؟ ولماذا قامت بما قامت به؟ انها ليست من الاشخاص الذين يجلسون في مصادقة الاطفال الصغار لبسطاء سعادة او تسلية او اكتفاء ذاتياً ام انها تسعى الى الفوز باعجاب الصغار بعد ان ضمنت لنفسها اعجاب الكبار؟ ولكن الوصول الى الصغار والشعور نحوهم بعاطفة الامومة ليسا من خصائص لوسي. ولو لم يشعر جستن بذلك ابداً...

لا! هل ان لوسي تحاول الآن بطرق شيطانية وحيل خبيثة استعادة اهتمام جستن بها وعاطفته نحوها؟ باستخدامها جوليت؟ لا، لا. ان ذلك مستحيل. لوسي ليست من الاشخاص الذين يدوسون على كرامتهم وعزة نفسهم لتحقيق اهدافهم. وجستن... رجل متزوج، ولكن... هل تمنع ذلك لوسي من العمل على نيل مآربها؟

ظلت هيلين مشوشة الافكار بعض الوقت. ولم تفق من شرودها الا عندما شاهدت جوليت تنزل من سيارة داري ستدانا. ارغمت نفسها على وجوب التصرف بهدوء مع الفتاة، التي بدا واضحاً انها استمتعت الى حد كبير بتلك الدعوة المفاجئة. ومع ان هيلين امتنعت عن تأنيبها او التحدث معها بلهجة قاسية، لشعورها بأن اللوم كله يقع على لوسي، فقد تنبهت



جوليت الى الاستياء الصامت وسارعت الى القول:

«لقد ترددت بالذهاب مع العمة لوسي بدون ابلاغك بالأمر. ولكنها قالت انه لا بأس بذلك، لأننا سنتصل بك بمجرد وصولنا الى منزلها. هل كان تصرفاً سليماً يا هيلين؟».

«لا بأس هذه المرة يا حبيبتي. ولكن الافضل في المرات القادمة ابلاغنا مسبقاً، فلو كان والدك في البيت، لشعر بقلق وانزعاج».

«اوه، العمة لوسي قالت ان والدي لا يمانع، فهما يعرفان بعضهما معرفة وثيقة منذ زمن طويل. ولكنها كانت تخشى غاضبك».

وهكذا اذن.

واخذت هيلين نفساً عميقاً، ثم سألت جوليت بتمهل:

«هل تحبين العمة لوسي؟».

«كثيراً. انها لطيفة جداً... ولكنها ليست بلطفك انت. انها سباحة ماهرة... وبركة السباحة رائعة».

ظلت هيلين تفكر لفترة طويلة بعد ذهاب جوليت الى النوم بأفضل طريقة او اسلوب لابلاغ جستن بما حدث. كان شعورها الأول ان تخبره القصة بحذافيرها، بما في ذلك غضبها وسخطها من لوسي. ولكن مرور الوقت جعلها تهدأ قليلاً. ربما كانت متسرعة في اصدار حكمها... ربما كانت لوسي فعلاً تعني ما قالته من ان الصداقة والعشرة لعبت الدور الأكبر في دعوتها لجوليت! اليس ممكناً ايضاً ان ينظر جستن الى الموضوع بمنظار آخر... او ان يجد غضبها سخيفاً، وربما مستغرباً؟ واخيراً، عندما عاد جستن الى البيت وتوجهت لاعداد شراب بارد له، سمعت صوتاً باطنياً يطالبها بان تنسى القضية برمتها وان تمتنع حتى عن الاشارة اليها.

مضى ذلك الاسبوع بدون حدوث شيء يذكر. وبحلول يوم الاثنين من الاسبوع التالي، كانت هيلين قد نجحت تقريباً في محو تلك الحادثة تماماً من تفكيرها. ولكن الحادثة تكررت... ولوسي لم تزعج نفسها هذه المرة حتى بالاتصال الهاتفي. تملكت هيلين هلعاً شديداً وانتظرت فترة بدت طويلة جداً قبل ان تسمع لوسي تقول لها:

«اوه، مرحباً. كنت على وشك الاتصال بك. نعم، انها هنا».

ردت عليها هيلين بعصبية:

«أرجو ألا تتكرر هذه القصة مرة أخرى يا لوسي».

ضحكت لوسي بسخرية وقالت:

«آه يا عزيزتي، هل يجب أن تكوني عصبية هكذا؟ جولييت تحب زيارتنا».

توقفت لحظة، ثم تابعت حديثها بسرعة قائلة:

«يجب أن أذهب الآن... أنا مستعجلة. ليت بإمكانك مشاهدتها الآن... كم هي جميلة في ثياب البحر، وبهاتين القطعتين خاصة».

ثم أقفلت الخط. ظلت هيلين مذعورة بعض الوقت. إن كانت لوسي تعتقد أن هذه الزيارات ستصبح منتظمة، فإن الوقت قد حان لردعها عن ذلك... وبصورة نهائية. أيضاً كانت أهداف لوسي ومخططاتها، فإن من الظلم استغلالها جولييت. وتمنت هيلين أن تكون لوسي هي التي ستحضر جولييت إلى البيت... لأنها ستكون المرة الأخيرة. ولن تضطر لوسي بعد ذلك للتظاهر بالمودة والمجاملة.

ولشدة غضبها وحنقها، لم تسمع هيلين صوت السيارة التي دخلت الباحة الخارجية. ولكنها سمعت أصوات أقدام وباباً يفتح... فركضت باتجاه الباب وهي...

«آه جستين... فوجئت، وحاولت أن تقول شيئاً... ولكنها لم تتمكن. إذ إنها لم تتمكن من إخفاء معالم التأثر والذهول عن وجهها وعينيها.

«مرحباً... ماذا حدث؟ أهكذا يبدو عليك عندما تستقبلينني؟».

«لا، طبعاً لا... لم أشعر بوصول السيارة. جستين...».

«أليس هناك أية مشكلة جديدة مع هذه القدم على ما أرجو؟».

خلع سترته، ثم توجه إلى المطبخ سائلاً:

«ألم تعد جولييت بعد؟».

«لا».

ثم تبعته ووقفت في الباب قائلة:

«إنها في منزل لوسي [illegible]».

«عند لوسي؟».

وجمدت يده الممسكة بقبضة البراد، ثم استدار نحوها قائلاً:



«وماذا تفعل هناك؟».

«تسبح».

ثم أطلقت نفساً عميقاً وفرغت أمامه كل شيء:

«هذه هي المرة الثانية يا جستين... ولكن لوسي لا تحبذني. تذهب إلى المدرسة وتأخذ جولييت من هناك، ثم تتصل...».

استمع جستين إلى كافة التفاصيل دون أن يتفوه بكلمة واحدة. وازدادت هيلين قلقاً بعد لحظات من الصمت، ثم قالت له:

«دعوة جولييت إلى منزلها لا تضايقني! ما يضايقني لا بل يزعجني كثيراً هو الأسلوب الذي تتم فيه الدعوة والزيارة. وأعتقد أن أسلوب لوسي... ليس صحيحاً».

تمهل جستين في إعطاء الجواب، ولكنه قال:

«لا، ليس صحيحاً. أنا أوافقك الرأي... لم يكن تصرفاً حكيماً. وأعتقد أنه تصرف وقح».

رفع جستين حاجبيه ووضع كأس الشراب الفارغة في المكان المخصص لها، وقال:

«أنت فعلاً متضايقة كثيراً. خففي من غضبك قليلاً. هل تريدين شراباً بارداً؟».

«لا شكراً».

تضايقت هيلين لأنه بدا وكأنه لم يهتم كثيراً بما حدث. وسألته بشيء من الانفعال:

«ألا تعترض على هذه التصرفات؟».

وجه إليها نظرة حادة ثم اتكأ على البراد وقال:

«نعم، إن كانت هذه التصرفات تضايقك. ولكني لا أعتقد أن لوسي تقصد الإهانة أو المضايقة. إنها عفوية التصرف، وهي فعلاً ذات قلب محب وكريم. على الأقل فإن هذه هي نظرتي إليها دائماً».

طبعاً، طبعاً. هكذا يفكر فيها، يا لسخرية الأقدار! وقبل أن تتمكن من الإجابة، سمعته يتابع حديثه قائلاً:

«لماذا لا تنظرين إلى الموضوع من جانبه الإيجابي؟ أنا أحب أن تتمتع جولييت بين الفترة والأخرى فلتفعل. إن من شأن ذلك أن يرفعك بعض

الشيء لتصبح مثلك تماماً».

ردت عليه بعناد ظاهر:

«لا اريد مثل هذه الراحة. واريد ان اعرف اين هي جولييت عندما لا تكون في البيت».

تنهد جستن قائلاً:

«حسناً، ان الامر في غاية السهولة. انت الآن ام جولييت... استخدمي سلطة الام واطلبي من جولييت عدم قبول اية دعوات من اي انسان قبل حصولها على موافقة مسبقة منك».

ثم ابتسم قليلا وسألها:

«هل تريدين مني ان اتحدث الى جولييت بهذا الشأن؟».

«لا. لقد حدثت جولييت... ولوسي، خلال المرة الاولى. هذه المرة سأكون واضحة تماماً».

عبس جستن ثم قال:

«وربما كان من الافضل ان نبحث الموضوع مع لوسي بطريقة لبقة. اعتقد انها ستتفهم القضية ببساطة وسهولة».

وجهت اليه هيلين نظرة غاضبة وقالت له بثبات واصرار:

«لا، دعنا نتفاهم على ذلك. لقد اردت ان... ابحث المسألة معك قبل ان...».

«قبل ان تشهري الحرب بسبب مبدأ معين؟».

«نعم».

قطب حاجبيه قليلا ثم سألها بلهجة غلب عليها الحنان:

«هل راودتك اية شكوك حول امكانية وقوفي في الصف المعارض لك؟».

لم تتمكن من الاعتراف له بأن هذا الاحتمال ورد في رأسها اكثر من مرة. وعندما احنت رأسها ولم تجب، قال لها بهدوء:

«اسمعي يا عزيزتي. انا اعرف انك تحبين جولييت كثيراً وتعملين مخلصة على تأمين سعادتها ورفاهيتها. وهذا كل ما يهمني. تأكدي انني لن اجادلك او اعارضك ابداً في اي قرار تتخذينه بالنسبة لجولييت، بغض النظر عن الشخص او الاشخاص الذين يزعجهم قرارك».



ثم ربت على كتفها وقال لها بحنان ظاهر:

«والآن، وبعد ان سويت الامور على النحو المطلوب، لنذهب وننتظر تلك الفتاة التائهة».

شعرت هيلين وهي تسير قربه باتجاه القاعة الرئيسية بانها حققت انتصاراً جزئياً. لقد انصفها جستن في الدور الذي تقوم به في حياة جولييت. ولكن من ينصفها في الدور الذي تصبو اليه بكل جوارحها... دورها كزوجة عاشقة؟

بعد ساعة تقريباً، وصلت جولييت يرافقها هذه المرة روجر فورد. ما هي الطريقة التي لفاتحة جولييت بالموضوع بدون ان تبدو قاسية او متسلطة؟ اليس من الممكن ان تكون لوسي قد اطلقت عليها هاتين الصفتين، عندما كانت تتذمر جولييت من حفلات السباحة قد توقفت بسبب اعتراض زوجة ابيها؟ وقبل ان تفتح فمها لتقول شيئاً، سمعت جستن يتحدث الى ابنته باعصاب باردة قائلا:

«لقد تأخرت يا جولييت. لا، لا ترهقي نفسك بالشرح والتوضيح. تذكري فقط ان تطلبي اذناً قبل الذهاب لزيارة اي كان على الاطلاق».

استدار جستن نحو روجر وسأله عما اذا كان يرغب بكأس من الشراب البارد. اما جولييت فقد ظلت واقفة بدون حراك لبعض الوقت قبل ان تقول لهيلين بتردد:

«انا آسفة يا هيلين. لقد نسيت ما قلته لي، وكان الطقس حاراً جداً...».

لم تتمكن هيلين من ابقاء متوترة الاعصاب ومنتجة، فسارعت الى مقاطعة جولييت قائلة:

«اعرف. ولكني اعتقد انك تفهمين الوضع الآن. كان على لوسي الا تشجعك على عدم اطاعة الاهل. انها انسانة راشدة، وكان عليها ان تفكر بطريقة افضل».

«واعطتني درساً قصيراً... حوالي ثلث ساعة فقط. ثم حضر العم روجر، وتحدثت معه قليلا ثم...».

توقفت جولييت عن اتمام جملتها وسألت:

«وما هذا؟».

«لا أعرف».

شعرت هيلين في اللحظة نفسها التي توقفت فيها جوليت عن الكلام... بهزة في جميع أنحاء الفيلا، وكأن قطاراً مر في نفق تحت الأرض على مقربة منهم. ولكن... ليس في الجزيرة أية قطارات أو أنفاق. ثم تكلمت بجوليت قائلة:

«سأطلب من أبي أن تعد لي شيئاً ما. اذهبي الآن وضعي كتبك في مكانها. ربما قررنا بعد قليل الذهاب إلى الشاطئ».

استعادت جوليت ابتسامتها وركضت باتجاه غرفتها. أما هيلين فظلت واقفة على الشرفة... تفكر بجستن ولوسي. كيف يمكنها القضاء على ذلك الخطر الذي تشعر مخافة بأن لوسي تشكله على...

«هيلين، بدأ شرابك يسخن».

دخلت الغرفة لأن الحرارة في الخارج لا تسمح للانسان بالوقوف طويلاً. وفجأة، شعرت بتلك الهزة الغريبة مرة أخرى. كذلك شعر بها جستن وروجر اللذان توقفا عن الحديث بضع لحظات قبل أن يسأل روجر:

«هل هذا زلزال؟».

وقف جستن بعصبية، وقال هو يتجه نحو هيلين:

«لا أعرف. ولكنه إذا حدث، فسيكون أول زلزال في تاريخ الجزيرة المعروف».

تسارعت ضربات قلب هيلين وقالت لها:

«كانت هذه المرة الثانية. فقد حدثت مرة أخرى عندما كنت أتحدث مع جوليت قبل بضع دقائق».

صمت الجميع لحظة وظلوا واقفين بدون حراك، وكأنهم ينتظرون، ثم صرخت هيلين:

«سأذهب لأحضار جوليت».

في تلك اللحظة بالذات كانت الضجة الصغيرة تنادي من الخارج بصوت عالٍ وخائف. ركض الثلاثة كشخص واحد إلى الشرفة. كانت جوليت تقف في زاوية الشرفة خارج غرفتها مباشرة وهي تحدق بعيداً... باتجاه أعلى جبل في الجزيرة.

«انظروا! انه العين! ان الدخان يتصاعد منه! ان البركان... لم يعد



ساكناً».

كان جستن سباقاً في التخلص من آثار الصدمة، فهرع إلى الهاتف، في حين ظل روجر وهيلين يحدقان خائفين بتلك السحابة السوداء التي تتصاعد بكثافة فوق فوهة البركان، المسمى بالعين.

«هل سيحدث شيء؟».

سألت جوليت ذلك بصوت هامس يسيطر عليه الفزع والهلع. فأجاب روجر وقد ظهر الذعر في عينيه:

«لا أعرف، لا أعرف. أحياناً يظل الدخان يتصاعد من فوهته عدة أيام قبل أن يقذف المواد الملتهبة. وأحياناً... أوه، أنا لا أحب هذه الهزات الأرضية على الاطلاق».

«أين أبي؟».

وركضت جوليت فتبعتها هيلين وروجر بطريقة لا شعورية. ولدى دخولهم الثلاثة كان جستن يضع سماعة الهاتف.

«تحدثت مع المفوض العام فأبلغني أنه أعلن حالة الطوارئ في الجزيرة. سوف تعمل على اجلاء جميع السكان عن أعالي، واشكر الله على أن السفينتين المخصصتين لنقل قصب السكر لا تزالان في المرفأ. ستقلع على متنها معظم النساء والأطفال. أما الباقون فسوف نخرجهم بطريق الجو. هيا يا روجر، فليس هناك وقت نضيعه».

كانت هيلين واقفة كتمثال لا حياة فيه، فالرعب جمدها في مكانها. إلا أنها عندما سمعت جستن يقول تلك الجملة لروجر ثم يرمي سترته على كتفه ويهم بالخروج، أفاقت من دهشتها وصرخت:

«جستن، لن تذهب إلى أعالي... قرب البركان مباشرة! لا... لا يمكنك ذلك جستن، أرجوك!».

شد يديه على يديها المرتجفتين قائلاً:

«يجب أن أذهب... هناك أكثر من ثلاثمئة شخص في أعالي، ومعظمهم هم عمالي وعائلاتهم. يجب مساعدتهم. لقد بدأوا فعلاً باخلاء أماكن الاقامة هناك».

ثم صمت قليلاً وقال لها بلهجة مشجعة:

«يجب أن أذهب. ان ثورة البركان قد لا تحدث. ولكن لا يمكننا

المحارقة.

«اتقث، خذني معك. . . ارجوك. دعني اذهب معك، دعني اساعده.

«لا يا هيلين، اريدك ان تظلي هنا. ان لم يتبع زلزال بضرب جميع انحاء الجزيرة. فانك هنا في مأمن تام نسبياً».

«انا لا اريد ان اكون في مأمن!».

صرخت هيلين بتلك الجملة الرافضة وقد امتقع لونها وكانت الاعصاب بانهيار عصبي. لم يعد يهمها شيء في الدنيا اكثر من وجوده قربه. وكررت جادة بأسى:

«لا اريد ان اكون في مأمن. . . ما لم تكن انت كذلك».

تطلع روجر بعيداً ثم سار نحو الباب، مفسحاً المجال للزوجين لكي يتبادلا كلمات خاصة بين وحدهما. اما جستن فقد ضم زوجته بحنان قائلاً لها:

«اسمعي الآن يا صغيرتي. انا لست ذاهباً الى حتفي. انا، بكل بساطة، ذاهب لكي احاول تأمين سلامة الآخرين».

«ولكن اذا بدأ البركان يقذف حممه وموادّه الملتهبة عندما تكون. . . تكون قربه. . .».

واختنق صوتها وتعلقت به بقوة. لم يكن منه الا ان اجابها بهدوء وثقة:

«هذا يعود الى الله عز وجل. والآن، عديني بأنك ستبقين هنا وتعتنين بجوليت، لا تذهبي الى المرفأ. سأعود بمجرد انتهائي مما علي القيام به. اتفقنا؟».

«اتفقنا».

قالتها بصوت هامس ومرتجف. وللمرة الاولى قبلها بمحبة ثم عانق ابنته وضمها اليه بقوة وحنان. . . وودعهما مبتسماً ومشجعاً. احتضنت هيلين الفتاة المذهولة واخذت تتأمل ذلك الافق البعيد بذهول كامل. هل ستدمر هذه الحقول الجميلة والبساتين الرائعة لمدة غامضة، لا يعرف الانسان قربها او يمكنه التكهن بدنوها؟ وهل هذا هو انعكاس لضوء الشمس الغاربة على تلك القمة المظلمة، ام انه ألسنة اللهب التي بدأت تتصاعد من النار المتأججة في الداخل؟



# ١٣ - خذني مرتين

عند المغيب، كان البركان قد بدأ يقذف حممه الملتهبة. وكان بامكان هيلين وجوليت رؤية مشاهدة الانفجار الكبير على الرغم من المسافة الشاسعة التي تفصل بين البركان والمنزل. وكانت تراقب السائلة والحارقة التي يقذفها من فوهته كألعاب نارية عملاقة، تعلو كشلال من الجمر ثم تنطفئ كمطر اسود مدمر. وانطلقت هيلين تصلي بصمت مرددة باستمرار اسم الرجل الذي تحب.

خلال اقل من ساعة على مغادرة جستن منزله مع روجر، كانت القافلة الطويلة قد بدأت مسيرتها نحو السلامة. وقد استخدم المشرفون على عملية الاجلاء كل ما توفر لديهم من سيارات وشاحنات ومركبات، وحتى الدراجات، لنقل الرجال والنساء والاطفال. وكان العمال والافراد وعائلاتهم الخائفون يحملون بعض الاشياء الثمينة التي تمكنوا من اخراجها من بيوتهم. . . تلك البيوت التي حكم عليها، وعلى ما تبقى فيها، بالدمار.

اخذت هيلين تراقب وصول القافلة بحزن وأسى، تتجاذبها مشاعر متناقضة. . . اطاعت تعليمات زوجها لها بعدم مغادرة البيت، ورغبتها القوية في الذهاب الى المرفأ للمساعدة. السلطات المحلية ستفتح المدارس ودور العبادة وقاعة الاجتماعات الكبرى. ولكن هؤلاء الناس سيحتاجون الكثير من المأكولات والملابس والاغطية و. . .

رفعت سماعة الهاتف وطلبت عيادة الدكتور بيارث. الخط مشغول. . . من المؤكد ان اشخاصاً كثيرين يحاولون الاتصال للاستفسار. واخيراً، ردت عليها مساعدة الطبيب، الآنسة جين كينكايد وهي فتاة اسكتلندية مرحة. أكدت لها بصوت هادئ مطمئن ان كل شيء على ما يرام، وانها كانت فعلاً المجموعة الاولى، ان يتمّ اجلاء جميع المواطنين عن منطقة البركان قبل

دقائق من مبيحاه. ونصحتها الآنسة كينكايد بعدم الذهاب إلى منطقة المرفأ لأنها تعج بالمتطوعين... ولكن يمكنها أن ترسل إلى المرافقة ما تريد تقديمه من أغطية وبطانيات وما شابه. فوعدتها هيلين بذلك.

أعادت سماعة الهاتف وطلبت من جوليت الذهاب إلى الطريق العام وإيقاف أي سيارة أو آلية تمر من هناك، وبمساعدة آلي، جمعت هيلين كمية كبيرة من الأغراض التي تحتاج إليها الحاجة في مثل هذه الظروف... وجلست تنتظر عودة جستن.

كان من المستحيل تلك الليلة اقناع جوليت بالذهاب إلى النوم في الموعد المعتاد. كما انها لم تستطع مقاومة تلك الرغبة الغريبة للخروج إلى الشرفة ومراقبة ألسنة النار وأعمدة الدخان التي يقذفها البركان. كان الصمت قد خيّم على الجزيرة... ولم تعد هيلين تسمع سوى دقات قلبها.

شعرت هيلين برعشة غريبة، فدخلت تتبعها آلي وجوليت، وأنزلت جميع الستائر لتحجب المنظر المرعب. لماذا لم يعد جستن حتى الآن؟ ذكرت المرضة حين أن الاصابات كانت خفيفة للغاية، نظراً للسرعة والدقة اللتين اتبعتا في عملية الاجلاء. حدثت حروقات بسيطة عندما وقعت بعض الاحجار الصغيرة الحارقة على الساحة الأخيرة. كما التقلت شاحنة أخرى في منتصف الطريق بين اتفاتو والمرفأ بسبب جنون السائق. كما كان من الباكر جداً آنذاك معرفة عدد المفقودين أو تحديد هوياتهم.

أين هو جستن الآن؟ هل شاهده أحد يغادر اتفاتو؟ هل هو... وتوالت الاسئلة المرعبة، ولكنها قررت فجأة طرد الأفكار السوداء من رأسها، وركزت همتها على اقناع جوليت بالنوم. ونجحت بعد جهد كبير في حملها على ابدال ثيابها والتمدد في سريرها، الا انها امضت معها فترة طويلة، لان الفتاة الصغيرة رفضت البقاء بمفردها وكانت تطالب بإلحاح بتأكيدات لم تتمكن هيلين من تقديمها. وآلي ايضاً كانت قلقة على السيد جستن وعلى طوم الذي ذهب معه للمساعدة.

امضت هيلين الساعتين التاليتين متفقدة جوليت بين الحين والآخر... كانت تقفز نحو النافذة كلما سمعت صوتاً أو حركة... ثم تعود إلى غرفة الجلوس وترتشف قليلاً من الشاي. وبحلول منتصف الليل اصبحت اعصاب هيلين على وشك الانهيار. ماذا ستعمل؟ من ستتصل؟



الهاتف لا يعمل! والسيارة غير موجودة! آه، ماريزا جستن لا يمانع ان هي ذهبت لرؤية ماريز والاستفسار منها عما جرى ويجري. ولكن... ماريز لم تعد قريبة، فقد انتقلت إلى مكان يبعد حوالي خمسة كيلومترات عن المرفأ... وعرضت الفيلا لورثاء البيع. ماريز لن تنفعها! ما من أحد يقدر ان ينفعها! فقط عودة جستن سالماً تنفعها.

بزغ الفجر وكانت هيلين لا تزال مستيقظة تنتقل من مكان إلى آخر داخل الفيلا وعلى الشرفة. آلي رحمها، بل توسلت إليها، كي تأخذ قسطاً من الراحة. ولكنها لم تتمكن من الجلوس في مكان واحد أكثر من بضع دقائق. آلي المسكينة نامت وهي جالسة على كرسي هزاز.

تعلقت جوليت لرجلي عمتها في نوم عميق. ذهبت إلى الحمام، غسلت وجهها وارتدت فستاناً نظيفاً وذهبت إلى المطبخ لاعداد الشاي. عادت بعد قليل ومعها الشاي وقطعتان من الحلوى. استيقظت آلي ورأت هذا... إلا ان هيلين اسكتتها بابتسامة صغيرة وهي تناولها فنجان الشاي.

بعد انتهاء آلي من شرب الشاي، وقفت قائلة:

«لقد انتهى وقت القعود. سابدأ على الفور بتنظيف البيت. وأنت يا حبيبتي، لماذا لا تحاولين النوم قليلاً؟ لن تفيدي نفسك ان اصابك ارهاق جسدي! سأهتم أنا بالآنسة جوليت وبأعمال البيت... وسأخبرك فور وصول الرجال. ربما تأخروا في مكان ما... وسيصلون بعد قليل وهم جائعون كالكلاب المفترسة».

«لا اقدر يا آلي... لا أقدر على الراحة أو النوم قبل ان اعرف. اوه، يا آلي، ألست خائفة؟ ألست خائفة من ان...؟»

اغمضت عينيها وشدت بقوة على صدغيها، ثم قالت:

«لا يمكنني تحمل المزيد. ان هذا الصمت المطبق يزعجني... يضايقني كثيراً. فكأنه لم يبق شيء سوى... سوى...!»

تسمرت آلي إلى صدرها بحنان قائلة:

«تمالكي نفسك يا حبيبتي، واسمحي لي ان اؤكد لك ان الله العلي القدير قوياً وراسخاً. سيعودون جميعهم سالمين بإذن الله. السيد جستن ذكي جداً وطوم قوي ومعتاد على الحياة القاسية. سيعود لكل منا رجلها. لا تخافي».

هرعت مسرعة إلى المطبخ مرة اخرى فغسلت وجهها ثم غادرت المنزل.

وما ان وصلت الى منتصف المدخل الخارجي للفيلا حتى سمعت صوت سيارة... ولكنها زرقاء! ليست بيضاء... ليست سيارته...

خرج روجر دو من السيارة وكتفاه منحنيان. اما طوم، الذي حياها بتهذيب قبل ان يذهب الى الفيلا، فقد بدا مرهقاً وعابساً.

«واين هو؟ اين جستن؟ اليس...؟».

ثم صرخت بصوت عال:

«اخبرني بربك يا روجر، اخبرني!».

تطلع فيها روجر مذهولاً واجابها متلعثماً:

«ولكن... أليس جستن هنا؟ ألم... يأت بعد؟ كنت اعتقد... انه...».

«وهل تعني انك لا تعرف اين هو؟ يجب ان تعرف... يجب! انت كنت...».

هزّ برأسه قائلاً:

«لقد جئت بالسفينة التي وصلت قبل ساعتين. لم ارَ هاتفي الآن... ولكن...».

ثم وضع يديه ثانيتين على كتفي هيلين وقال مشجعاً:

«لا تبكي ارجوك! انا متأكد من ان الجميع بخير. المشكلة ان خطوط الهاتف تعطلت، و...».

وبكت هيلين بحرقة وصرخت:

«اين جستن! اين هو يا روجر؟».

«لا اعرف، ولكن سأرافقك الى المرفأ. علّنا نجده. من المؤكد انه لا يزال هناك».

اشار الى سائق السيارة الزرقاء ليقترب منهما ثم قال وهو يفتح الباب:

«كانت ليلة مرعبة مرهقة جداً، واتوقع...».

توقف عن تحريك السيارة، ثم انتصبت قامته ولمعت عيناه ببريق الفرح والامتنان، وصرخ:

«ها هو! انه جستن!».

وتحركت سيارة السائق البيضاء بسرعة كبيرة وتوقفت على بعد سنتيمترات من سيارة روجر. كان جستن يجلس في المقعد الامامي... ووراء المقود كانت لويس مسندة تجلس مرتاحة وانيقة... ومبتسمة! همست شيئاً بأذن جستن الذي ردّ عليها مبتسماً ووضع يده على يدها التي كانت لا تزال ممسكة بالمقود. حبست هيلين انفاسها... فقد بدت تلك



الحركة وكأنها تعكس مزيجاً من التعب والحنان والاسى.

تطلعت اليها لويس ولوّحت بيدها مازحة، وقالت بصوت عال وبابتسامة ساخرة:

«ها قد احضرته لك سليماً معافى. ولكن يجب ان احذرك ايتها العزيزة، لقد كانت ليلة... قاسية... وهو متعب جداً».

ظلت هيلين صامتة وتقدم خطوات لا تعبّر عن الجواب. وجهها بدوره مثلاً بعد تلك الساعات المرعبة والطويلة كان اليوم من عمرها. ثم... فهمت كل شيء. كلمات لويس... ووجودها في تلك الساعة المبكرة... نظرات جستن اليها وتعلقت به طويلاً... ثم انهارت سيطرتها الهشة على اعصابها. منظر ذلك الوجه الجميل اليابس، وتلك الابتسامة الفارغة، وهذه الكلمات الساخرة، اجتمعت كلها بقسوة لتعيد اليها غضبها... وحقدها. انها هي الآن مع جستن... وفي مثل هذا الوقت بالذات؟ ماذا؟

نسيت هيلين المنطق والتفكير السليم، وتحوّل غضبها الى جستن. لماذا؟ كيف يمكنه ان يتصرف معها على هذا الشكل؟ كان يتقدم نحوها لذلك، مدّت ذراعيها الى الامام صارخة به، وهي تتراجع خطوة الى الوراء:

«لا! لا!».

لم تسمع كلمات جستن، ولم تنتبه لمظاهر الاضطراب التي علت وجهه. حتى قدميها، لم تشعر بالمها الذي بدأ يظهر بعد ساعات من الوقوف والمشي عليها. استدارت فجأة وركضت نحو الدرب! ولكن الى اين؟ لم تعد تعرف! الى اي مكان تحملها قدماها المتعبتان. خدشت ذراعيها العاريتين اغصان الشجر، ولم تشعر بالاوجاع والخدوش. كل ما تعرفه انذاك ان كل شيء قد انتهى... لم تعد تتحمل... لم تعد قادرة على مقارعة لويس وعلاقتهما! وصلت الى الشاطئ... ولمست المياه قدميها.

لم تعرف من جستن الا اللطف والتهذيب... ولكنه لن يعطيها اكثر من ذلك! ألم يوضح لها ذلك منذ البداية؟ كل ما حدث في تلك الليلة التعيسة لم يؤد الا الى ذهابه الى لويس... حبه القديم. كل شيء يؤدي به الى لويس! وهي الآن مسألة وقت قبل ان...

«هيلين! هيلين!».

شاهدت خياله على الرمال قربها، فصرخت:

«ابتعد عني! اتعبه».

«لن ابتعد قبل ان توضحي سبب هذا التصرف».

«لن اوضح اي شيء. اتركني وحدي!».

ثم ارتفع صوتها بشكل عصبي:

«وهل هناك شيء لايضاحه؟ لماذا لا تعود اليه؟ لقد فهمت كل شيء، لا توضح لي بكل بساطة...».

شد على كتفيها... وتركها الالم منه يخف متزحزحة:

«الا تلمسني!».

«هيلين!».

وكتف يداها قائلا:

«اسمعي! اصغي لحظة واحدة! هل ستشعرين بسعادة بالغة عندما تذهب لتعقدت مرة اخرى، وربما بالمشكلات اصعب واخطر؟».

امسكها من كتفيها وأدار وجهها نحوه بقوة، وبشكل لا يسمح لها بالافلات منه مجددا. ثم قال:

«بصراحة المسألة يمكن فهمها ببساطة تامة، أليس كذلك؟ اوه، انا اعرف عن الغرفة ماذا يدور في هذا الرأس الصغير للخليص، وأي لم تلك الاشياء الأخرى. لكنها شعرت به يجري منذ وقت طويل. لكن ما اسمع من معرفته الآن هو سبب ذلك في بطرك وصوت التساؤلات في وجهه على ما تتصورينه منذ عودة لوسي منذ ثانيا هذا صحيح، أليس كذلك؟».

وازدادت حدة انفعاله وتابع كلماته:

«انت تعتقدين اني امضيت الليلة، او ما تبقى منها، مع لوسي. أليس كذلك؟ أليس كذلك؟».

«قل لي انت، أليس ذلك صحيحا؟».

«نعم. ولكن ليس كما تعتقدين على الاطلاق. ولا أجد لا سبباً واحداً لذلك، وهو الغيرة! اعترفي بذلك! انها الغيرة القاتلة! ليس هناك اي سبب آخر سوى الغيرة القاتلة».

حاولت هيلين ان تنفي تلك الصفة بشدة:

«لا، ليست الغيرة! انا لا اغار منها! انا... انا افتح لوسي... اوه، اتركني وحدي! انت تؤذيني! انا... انا اكرهك! انت... انت...».

www.liilas.com



واختنقت الكلمات في حلقها. فأجابها بهدوء:

«لا يا هيلين، لا يمكنك ذلك. اوه، ايتها المجنونة الصغيرة... كم قوية عزة النفس عندما لا يمكنك ان تكرهيني، ولكن... هل يمكن انك بدأت... تحبينني؟».

انزل يديه عن كتفيها وتراجعت هي خطوة غير ثابتة الى الوراء خائفة من التطلع بعينيه الخائرتين. وتركها عند الزاوية تحاول الهروب... او حتى الابتعاد عنه.

«وهل هذا معقول؟ لا يمكنك الاعتراف بحبي اذا كان ذلك صحيحا؟ هل تخجلين من حبك لي؟».

ضمت قبضة وأنشدت بنفسها بين ذراعيه المفتوحتين. ثم احنت رأسها وهمست قائلة:

«وهل احبك؟ انا احترق لأجلك... وهذا السبب لم اعد للقدرة على التحمل، ولم اعد اصبر! انه ليس زواجنا. هذا الذي بيننا! انه لم يكن ابدا... زواجا!».

«ولكن يمكنه ان يصبح زواجا حقيقيا... وسيصبح. اوه يا حبيبتي! كنت امس... كنت سنسقط...».

وقف لحظة... ومن وراء نحو فيها تناعات الغضب والرغبة والارتياح تطل من ملامح وجهه تحمل عينيه نظرات حب والحنان. ثم سمعته يقول:

«مرات عديدة كنت اتساءل... واقول... واقول لنفسي: اني اقبل انك تحبينني، لأنني اريد حبك وليس التفس به. لم تحرم منك اية اشارة... حتى مساء امس، عندما... وبعد ذلك، اتى اللقاء على لوسي منذ عندنا!».

ضمها الى صدره بقوة وحنان. ومضى الى القول شارحا لها ما حدث معه في الليلة السابقة:

«توقفت بي السيارة في طريقها لأني نسيت ان جميع السيارات تحتاج الى وقود. لم اجد احداً في الطريق ليقلني الى البيت. ثم... اوه، ما لك والكلام الآن».

ضمها مرة ثانية وسألها هامسا:

«هل صحيح ما سمعت قبل قليل؟ هل حقاً تحبين رجلا يدعى جستن فالوتت؟ والا تعرف؟».

كانت خائفة حتى من الهمس، خشية ان يرجع صوتها حالا تلك

الملطفة وزوجها.

«جيمس. . . هل أنا في حقيقة أم خيال؟ هل أنت الآن فعلاً لي؟».

«كما أنت لي. نعم يا هيلين. . . كم أحبك كثيراً».

ثم ابتسم وسأل:

«هل تشعرين بعد بالغيرة من لويس المسكينة؟».

هزت رأسها وهي لا تزال مغمضة العينين.

«لم يكن هناك أي سبب لذلك. صدقيني يا حبيبتي! لقد انتهى كل شيء بيننا منذ زمن طويل. نعم، لقد كنت في حديقتها الساعة الرابعة صباحاً. . . على ذلك المقعد الموجود قرب بركة السباحة».

لم تبد ارتياحاً وتابع شرحه لما حدث:

«عندما انتهت عملية الإجلاء والإنقاذ، لم أكن أفكر إلا بشيء واحد هو العودة إليك. وكنت مستعداً لأن أحضر بأية وسيلة نقل متوفرة. وصادف وجود لويس هناك، فقبلت دعوتها شاكراً. لم أكن راغباً في الذهاب إلى بيتها والاستحمام هناك، مع أني كنت في حالة يرثى لها وبحاجة إلى حمام ساخن. كذلك لم أرد الشراب الذي أصرت على تناوله. ولكن التهذيب الاجتماعي فقط حملني وقراً مني على القبول».

كانت هيلين تستمع إليه وهي سابحة في بحر من السعادة والامتنان. أخيراً، تحققت أمنيتها وما كانت تصبو إليه منذ بضع سنوات.

«توقفت بي السيارة في طريقنا لتفقد الوقود. وكانت تعج بالنساء والأطفال الذين اضطروا من الحي. كان جل همي في تلك الليلة نقل أكبر عدد من الأشخاص بعيداً عن منطقة الحرائق وتأمين المأوى لهم. مررنا حتى لوفا، ثم أقلت إحدى الناقلات العسكرية وعدت لأحمل أشخاصاً آخرين كانوا قد قطعوا نصف المسافة سيراً على الأقدام. في تلك الفترة كانت لويس في قاعة الاجتماعات تعمل مع بقية المتطوعين على تأمين ما يلزم لإيواء العمال والعائلات. عرضت إيصالي إلى البيت، فقبلت شاكراً. ولكنها كعادة النساء، أرادت أن تستحم وتبدل ثيابها. وسألتني أن كنت مانعاً بانتظارها نصف ساعة، فلم أتمكن من الرفض. لم أعلم أن نصف الساعة معها سيطول هكذا. وشعرت بالنعاس يتملكني. . . ولم أنتبه لنفسي إلا عندما لسعتني حرارة الشمس. وكانت لويس قد قررت بدون



استشارتي أن تدعني أنام قليلاً. . . وهذه هي القصة الكاملة بدون زيادة أو نقصان».

لم تعلق هيلين بشيء، ولكن عينيها اللتين كانتا تشعان ببريق الحب عكستا ارتياحها البالغ واقتناعها الكامل. فما كان منه إلا أن ابتسم مبتكراً وسألها بحب:

«ولماذا لم تخبريني قبل عدة أسابيع؟ ماذا لم تصارحيني بأدنى إشارة إلى ما تشعرين به نحوي؟».

أغمضت عينيها وأزاحت وجهها بعيداً عنه ثم أجابت:

«وكيف كان بإمكاني أن أقدم على شيء كهذا؟ ألم نتفق على أن زواجنا سيكون صورياً وشكلياً؟».

«أوه، أعلم ذلك. ولكن هل كنت تظنين أنه كان من السهل علي أنا مفاتحتك بمسألة أكثر الحاجات الطبيعية للزواج؟».

«أنا لم. . . لم أدرك شيئاً لأجلي. . . لأجل تلك الحاجة، أردت حبك. . . كل حبك، وليس. . . .».

تنهد بعمق وهو يقاطعها قائلاً:

«آه من ذلك التحفظ المتصرف! لقد أحببتك بكل جوارحي منذ تلك الليلة التي طلبتك فيها للزواج».

دهشت هيلين وارتفع حاجباها تعجباً واستغراباً. ثم قالت:

«هل تعني أنك كنت. . . ؟».

أجابها بابتسامة تعلوها مسحة من الحزن:

«نعم. لقد أحببتك منذ ذلك الوقت، ولكنك لم تحبيني في تلك الفترة. . . هذا على الأقل ما اعتقده. وكنت كثيراً في ما إذا كنت ستقبلين بي آنذاك زوجاً وحبيباً. أليس هذا صحيحاً؟».

«لا أدري. لقد بدأت أحبك قبل زواجنا. ولكني أثناء الزواج، كان الوقت قد فات. . . إذ أننا عقدنا اتفاقاً كأحدى الصفقات التجارية. وبعد ذلك لم أتمكن من. . . .».

«تلك الاتفاقية اللعينة والمشؤومة! آه، كم من مرة لعنتها ونعتها في يقظتي وفي أحلامي! أتذكرين عدوينا؟ الليلة الأولى في شهر العسل؟ لقد عذبتني كثيراً عذباً حوليت إليك. . . مع أني أعطيك أكثر لأنك وضعت

بوعدك لها. ضايقتني. . . لأنه كانت لديّ خططي الخاصة بي للفوز بحبك وبقلبك. اعتقدت انني عندما اهديك ذلك العقد. . . واضعه بنفسي حول عنقك. . . انك ربما لاقيتني في منتصف الطريق! اعني. . .».

ثم تنهّد بقوة متأسفاً وتابع حديثه المتردد والمتلعثم قائلاً:

«اعني ان اموراً كانت ستحدث. خطوة منك. . . وأخرى مني. كنت آمل في ان تسير الامور سيراً حسناً منذ البداية، وان يجد كل منّا في الآخر الشريك الحقيقي لحياته. ولكن. . .».

وهزّ رأسه بأسى ثم قال:

«ولكن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن. لا بل بالعكس. . . فقد اتسعت الهوة بيننا حتى وصلت الى هذا الحد».

ظلت هيلين صامتة تتأسف على اسابيع السعادة التي كان من الممكن عدم اضاعتها. ورأته يتطلع الى ساعته ثم سمعته يقول:

«اعتقد اننا مضطرون للعودة الى المنزل. . . والا فان حملة تفتيش مؤلفة من جولييت وحدها، او مع أبي على الأكثر، ستكون هنا بين لحظة وأخرى».

ثم ابتسم وقال لها بحنان ظاهر:

«يعجبني شعرك هكذا، متدلياً ومسترخياً على كتفيك بحرية وبدون قيود. هل ستتركينه على هذا الشكل بين الحين والآخر؟».

«طبعاً، ما دام انه يعجبك».

صمت جستن قليلاً، ثم قال لها بلهجة تجمع بين الجد والهزل:

«لأنك متعبة ومرهقة ويجب ان تذهبي فوراً الى النوم بدون الاضطرار للرد على اسئلة قد تكون محرجة، فسوف اطلب منك ان تعيدي الى وجهك الآن تلك الملامح الجدية والهادئة التي تعودت جولييت على مشاهدتها».

وخفض صوته لدرجة الهمس قائلاً:

«انك الآن تبدين على حقيقتك الحلوة. . . امرأة عاشقة وهانئة، وجدت حبها الضائع. . . واستمتعت به».

ثم طوّقها بذراعه وقال لها وهما يعودان الى قفصها الذهبي:

«احتفظي بالجدية والهدوء طوال. . . فترتي الصباح وما بعد الظهر ففي المساء. . . يبدأ شهر العسل الحقيقي».



www.lilas.com

# طائر بلا جناح

هيلين طائر

مكسور الجناح، فقدت أملها بالحياة

بعد حادثة ادت الى اصابة احد قدميها وأرغمتها

على ترك عالم الباليه الذي ولدت لتكون احدى نجماته.

فتمنيت بالبجعه وسافرت الى جزيرة سمنلر، وكالفراشة حين تحرم

من الضوء تفقد روحها وهدف وجودها. هكذا الانسان حين يحرم من الحلم

يفقد محور حياته. وهيلين استسلمت لأحزان قدرها وبقت بيتها الجديد في

النسيان والعزلة. ولكن الحلم لم يتركها اذ تجسد لها في صداقة طفلة صغيرة

تدعى جولييت وهي ابنة جستن صاحب أكبر معامل السكر في المنطقة. جستن

قلبه كبير يحاول مساعدة هيلين لتستعيد أملها في الحياة. وهي تجد في ابنته

تعويضاً عن عذابها. تحبها الى درجة انها تقبل الزواج من رجل لا تحبه من

أجل البقاء مع الطفلة. ولكن بعد أن تصبح زوجته تكتشف أنها

مغرمة به! فهل تعترف لجستن بما يعتمل في صدرها من

مشاعر؟ اعترافها قد يلغي عقد الزواج بينهما. لأن

الحب لم يكن أحد بنود الاتفاقية.

www.liilas.com

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت: [illegible] - موبايل: [illegible]